



حَبِيبٌ

للحِرَاسَاتِ الصُّوفِيَّةِ

الكتاب الأول

التصوف لاسلامى من الرمز الى العرفان

للكوثر محمد بن بريك
ابو زيد الحسنى

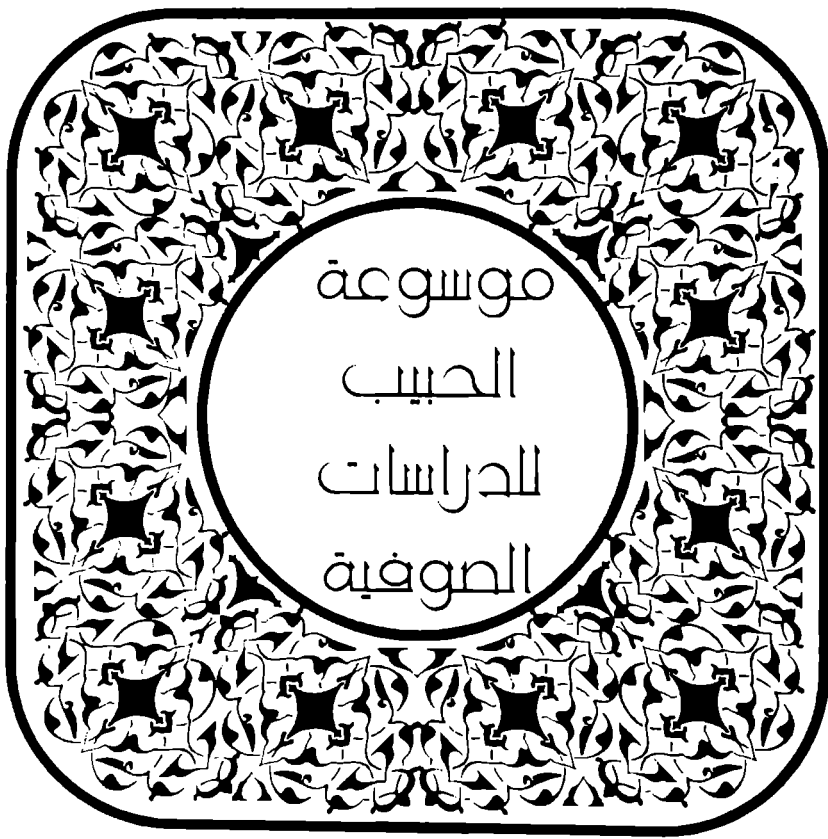
استاذ محاضر في التصوف الاسلامى و الفيلسفة الاسلاميه
بجامعة الجزائر

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان



التصوّف الإسلامي
من الرمز إلى العرفان

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلام

من الرمز إلى العرف

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية

الكتاب الأول

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الدكتور محمد بن بريكة

(البوزيدي الحسني)

أستاذ محاضر في التصوف الإسلامي والفلسفة الإسلامية

بجامعة الجزائر



التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

© دار للمتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع 1427هـ / 2006م

DAR AL - MOUTOON

الطبعة الأولى

2006م/1427هـ

المؤلف: الدكتور محمد بن بريكة (البوزيدي الحسني)

العنوان: التصوف الإسلامي / من الرمز إلى العرفان

Titre: Le Soufisme Islamique

(Du Symbole à la gnose)

Docteur : BEN BRJKA Mohamed

(AL-BOUZIDI AL-HASSANI)

الإيداع القانوني: 537/2006

ردمك: 9961-744-24-1

الناشر: عبد الرحمن هنانو

دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع

الجزائر- الجمهورية الجزائرية

الهواتف: 078311838/062914444

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمَح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.

تقديم المتون

يحق لدار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع - الجزائر - أن تفاخر بهذا العمل الرائد وهو (موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية) للدكتور محمد بن بركة البوزيدي الحسني الأستاذ المحاضر بجامعة الجزائر والخبير الدولي في التصوف، فهذه الموسوعة بالإضافة إلى كونها تؤصل للبحث الصوفي وتسد فراغا يعاني منه الكثير من القراء فإنها تعتبر الموسوعة المغاربية الأولى في التصوف بعد تلك التي وضعها الدكتور عبد المنعم الحفني بمصر سنة 2003 واعتبرها ناشرها "غير مسبوقة".

إن دار المتون للنشر والترجمة والطباعة

والتوزيع، مؤسسة حديثة جاءت تلبية لرغبة صاحب المجموعة خلق فضاء جديد لنشر العلم والوعي وتوصيل الأفكار النيرة والصحية والمتخلصة من الطرق البدائية في التفكير وأساليب وطرائق وصول القارئ المتعطش واليائس من الكتاب وتعاده إلى الكاتب مع إشاعة عزوف الناس عن الكتاب وهي إشاعة مفرضة أصحابها لا يستندون إلى أي أساس علمي ولا واقعي لغياب معطيات حقيقية في السوق المعنية بالكتاب. لهذا تتطلق متون من مبدأ تحديث أدوات تخطيط وتصميم طرائق مبدعة لنشر وتسويق الكتاب والكاتب نفسه بأحدث التطبيقات المتاحة والتي نطمح في خلقها وريادتها. ولهذا أيضا ندعو كل المبدعين والعلماء والمؤلفين في مختلف الميادين التواصل معنا ودعم مبدتنا للوصول إلى

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

القارئ المحتمل والقارئ الذي توفره المعطيات والدراسات الميدانية التي توفرها مؤسسات مختصة.

وإذ نقدم اليوم هذه الموسوعة الموسومة بـ: «موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية» أبي مؤلفها الخبير العالم والمتقاني في تأصيل العلم والمعرفة الدكتور محمد بن بريكّة البوزيدي الحسني إلا أن يجعلها مفتاح خير ووهج وإشراق وقد أخرج لنا هذا الكتاب الأول من الموسوعة و اسمه بـ: "التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان" والذي نتوقعه حسن قبوله عند قراء المتون وزاد علم تنتفع به الأمة الشاهدة والواردة .

إننا في دار المتون نعتقد أنه لا غنى للباحثين وطلبة العلم ومحبي التصوف ومعتنقيه عن هذا العمل الرائد الذي يخرج اليوم الكتاب الأول منه وكما جاء في المثل أول الغيث قطر ثم ينهمر.

دار المتون

الإهداء

إلى روح سيّد الوجود وعلّم الشّهود،
الحبيب المصطفى صلوات ربي و سلامه
عليه، أهدي ﴿ موسوعة الحبيب للدراسات
الصوفية ﴾، وهذه حلقتها الأولى، فإن قبلها
منّي فهي السّعادة التي لا شقاء بعدها.

الدكتور محمد بن بريكة
(البوزيدي الحسني)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

شكر و عرفان

شكر الله سعي الاخ في الله المحبّ الحبيب
الحاج الجمعي بن الطاهر بوروبه
الذي أعان على إخراج هذا العمل،
و تقدّس سرّ من قال: سائق السّعادة
يسوق أقواماً إلى هذه الحضرة و الصّارف
الإلهي يصرف عنها آخرين.
الدكتور محمد بن بريكته
(البوزيدي الحسني)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتح بالذي هو خير لي في عاجلتي و آجلتي موحداً
ربّي جلّ وعلا في كبريائه و تقدّس و تنزهه في عليائه، لم يدرك
كُنْهَهُ الواصفون وأيقنوا بمخالفته للظنون، و أصلى و أسلم على
الرّحمة المهداة و النعمة المسداة، الدليل الأقوم و النبي الأكرم،
سيدّ الكونين و الثقلين و الفريقين مولانا محمد صلى الله عليه
وسلم و عظم و أنعم و مجدّ و كرم و على آل بيته الأطهار
وصحبه الأخيار فاللهم صلّ على سيدنا محمد صلاة تخرجنا بها

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

من ظلمات الجهل و تكرمنا بها بنور الفهم و توضح بها ما أشكل علينا حتى يفهم إنك تعلم و لا نعلم أنت علام الغيوب.
و بعد فإن اهتمامي بالتصوف الإسلامي يعود إلى سنين مبكرة من حياتي، فقد كان لمحيطي العائلي دور في ذلك، إذ لطالما سمعت والدي رحمه الله يقرأ صلاة الفاتح دُبُر كل صلاة مفروضة يعقبها بجملة من الأدعية و الأنكار.

وكان ملازماً لسبحته لا تفارق شفتيه تَمَتَّات ما كان بوسعي أن أفقهها و أنا في الرابعة من عمري. و في هذه السن أرسلني إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم كما هو ديدن أسرتي كإبراً عن كابر. و صرت ملازماً له في الليالي المعظمة كليلة المولد النبوي الشريف التي يستغرق الاحتفاء بها شهراً كاملاً، و ليلة القدر و ليلة عاشوراء. و في هذه الليالي طرق سمعي بل اخترق أسوار قلبي أعذب القصائد بأعذب الألحان و انتقشت في ذاكرتي بردة البوصيري و همزيته و المولد البرزنجي . و مازال فيض تلك الأجواء السبوحية منتشراً في كياني إلى حين لقاء خالقي ورحماني. و كانت والدتي بآرك الله في عمرها الشريف هي الأخرى معيناً روحياً لا ينضب بفضل جلوسها الطويل إلى حلقة جدي عليه رحمات الله تترى مع أخويها محمد و عبدالله.

و قد كان هذا الأخير طوداً شامخاً في العلم تخرّج من جامع الزيتونة المعمور بأعلى الشهادات و ختم الله له بالشهادة في الثورة التحريرية المباركة حين تولى فيها منصب القضاء الشرعي، أمّا الأول و أعني به خالي محمداً فمازال على قيد الحياة مؤثراً العزلة و الذكر الدائم أسأل الله أن يرزقه ما تقرّ به عينه في الدارين، و قد حقزني ذات يوم على الاشتغال بهذا العلم الذي هو جوهر الدين للجمع بين شرف التسبب و شرف الطلب فاعتق الصلْب و القلب فله الحمد أولاً و آخراً.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لقد كانت ثلاثية ابن عاشر:

في عقد الأشعري و فقه مالك *** و في طريقة الجنيد السالك هي محاور المعرفة الذينية التي نشأت عليها وزادها عمقا الأوقات الثورانية و الإشرافات القدوسية مع من لا نظير له في الناس يخلفه، بقیة السلف الصالحين و قطب الأخيار العاملين سيدي وشيخي الشيخ محمد بلكبير العثماني نسبا التواتي مدفنا المالكي مذهبا، رحمه الله و رضي عنه وتقبله بقبول حسن. وما زال دعاؤه لي بالنصر و الفتح و القبول ترن حلاوته في أذني قلبي. و قد كانت مرحلة الطلب الجامعي بابا آخر لرحلتي الصوفية فقد وجدت برنامج الإجازة خلوا من مادة مستقلة اسمها التصوف الإسلامي إذا استنيت إشارات بسيطة من أستاذ مادة الأخلاق الدكتور عبد الله شريط إلى المعنى العام للتصوف عند فخر مغربنا الإسلامي عبد الرحمن بن خلدون في كتابه المشهور "المقدمة" كما أن أستاذي الدكتور عبد الرزاق قسوم توقف مرارا عند النظرية الأخلاقية في "الإحياء" معتبرا إياها خلاصة مذهب الغزالي في التصوف. و أذكر أنني أنجزت معه في هذه المرحلة بحثا عنوانه "المعرفة عند الصوفية: ابن عربي نموذجا"، و لم أكن أعلم أن هذه البذرة ستثمر وتصبح شجرة يانعة، فقد تحصلت على شهادة المنهجية في البحث في هذا الموضوع ثم طوّرتّه إلى أطروحة ماجستير ليبقى خطي العلمي الذي اخترته واحداً إلى غاية الحصول على شهادة دكتوراه الدولة بالتقدير الأعلى مع تهاني اللجنة و توصيتها بطبع العمل المنجز حول إشكالية المنهج و المصطلح في التصوف الإسلامي.

و لطالما راودتني فكرة وضع موسوعة صوفية تشمل البحث المحض و جمع النصوص ووضع قواميس المصطلحات، و لكنّ قلة ذات اليد من ناحية و الإفراط في التآني من ناحية أخرى حالا

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

دون ذلك إلى أن يسر الله الأسباب فهبت رياح التوفيق بعد معاناة لأواء الطريق فاستخرت فائق الحب و النوى المعطي كل امرئ ما نوى فكان عنوان هذه الموسوعة موافقا لهوى في نفسي فسميتها " موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية"، والحبيب الذي أعنيه لا يغيب عن ذي لب و لا يخفى نعته على محب، كيف وهو المخاطب بلولاك لولاك ما خلقت الأفلاك، خلق العالم من نوره وكان رحمة للعالمين ظهوره. ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك بالحق شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا﴾ حبيبنا المصطفى صلى الله عليه و سلم. هذا و إن كنت أردت العلم لغير الله فقد أبى أن يكون إلا الله كما قال فيض البحور الإمام الحجة أبو حامد الغزالي رضي الله عنه. و أعترف أنه قد يكون لقناعاتي الخاصة ممثلة في ميولي الصوفية بعض مسحة على ما أكتب إلا أنها لا تأخذ الموقع النهائي في أحكامي إذ ليس العلم مجال العاطفة الأمل، كما أعترف بأن أصل أحكامي هو مزيج من التحكم العقلي والتصوف إذ هما مركزان في جبلتي بغير تكبير مني و لا حيلة لا أنفصل عنهما إلى حين الرأفة والرأفة، علما بأن العقل السليم لا يتعارض مع التدين كما أراده الله لا كما يصوره بعض دجاجة الدين و سماسرة الفكر.

لقد آليت على نفسي الغرف من أمهات كتب التصوف فنهلته ومازلت فما نفذ الشراب و لا رويت. و لا يكاد يوجد كتاب معتمد في هذا الفن إلا اطلعت عليه و نهلت منه أو جعلت تحصيله بغيتي والثور عليه منيتي، و إن حصل التقصير فهو من جملة العبر إذ هو دليل استيلاء التقص على جملة البشر، و الحمد لله الذي تكرّم فأعطى بعد أن و جدني ضالا فهدي، و جعلني من العاملين بوصيته الإلهية الجامعة والربانية النافعة ﴿فأما اليتيم فلا تقهر و أما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث﴾ و صلى الله

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

على الحبيب المصطفى صلاة تكون لنا على الله باباً مشهوداً
وعلى أعدائه حجاباً مسدوداً و سلم تسليمًا كثيرًا ما ذكره الذاكرون
و غفل عن ذكره الغافلون صلاة و سلاماً أرجو بهما الصّحبة في
الذّارين وتحصيل القرب منه و الحسنيين:
فإنّ لي نعمة منه بتسميتي *** محمّداً وهو أوفى الخلق بالذم
و سلام على المرسلين و الحمد له ربّ العالمين.

الدكتور محمد بن بريك

(البوزيدي الحسني)

دكتوراه الدولة في التصوّف الإسلامي
أستاذ الدراسات العليا - جامعة الجزائر

شهر الله المحرم 1427

التصوّف الإسلامي
من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الباب الأول

[I]

التأسيس المعرفي
للتصوّف في الإسلام

التصوّف الإسلامي
من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفصل الأوّل

[1]

المعرفة والمنهج في الإسلام

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يعرف كلّ علم أو يعرف بما يتميز به من موضوع ومنهج، ويستطيع الباحث أن يلاحظ في يسر الرّباط الوثيق الذي يصل المنهج بالموضوع إذ أنّ هذا الأخير – أعني الموضوع – يستلزم دائما طريقة علميّة لمعالجته هي التي تواط العلماء على تسميتها منهجًا. ولكنّ هذا التعريف لا يُنبّه إلى ميزة ثالثة للمبحث العلمي وهي المصطلح. ولعلّ هذا يعودُ إلى اعتبار المصطلح مدخلا إلى الموضوع والمنهج معًا وذلك أنّنا لا نستطيع القراءة الصحيحة لأي علم من العلوم إلا في لغته كما أنّه لا يمكننا أن نُحكّم الحديث عن حلقات المنهج إلا في لغة ذلك العلم نفسه وإلا غدا المنهج صورة نظريّة مجردة نوظفها في الفهم. وبذلك يتحوّل الموضوع إلى غاية نحاول التحكّم فيها بتحليلها وتركيبها في شكل أنساق فكريّة مبهمّة.

والحقّ أنّ طبيعة البحث الإنساني في العلوم لا تأتي بهذا الشكل أبدًا بل إنّها تستعين بالألفاظ والكلمات الخاصّة بمبحث ما – وهي التي نسميها مصطلحات – للوصول إلى أبعد حدّ ممكن من استشراف الحقيقة الخاصّة بهذا المبحث. يتبيّن من هذا أنّنا ملزمون بالبحث في الجانب الاصطلاحي للعلوم. ولا مانع بعد هذا من القول: يتميز كلّ علم بموضوع ومنهج ومصطلح.

ولا بدّ قبل مواصلة الحديث عن هذه الأركان الثلاثة التي لا يخلو منها أيّ علم أن أذكر بأنّ المنهج وهو الميزة الثانية قد تحوّل إلى علم قائم بذاته هو علم المنهج و يرادفه اسم المنهجية⁽¹⁾ وهي التسمية الغالبة اليوم ، كما أنّ المصطلح وهو

(1) المنهجية: Méthodology / Méthodologie.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الميزة الأخيرة قد عرف هو الآخر نفس التطوّر وصار يعرف بعلم المصطلح^(١) وإذا جاء من يمنع هذا التوسّع في التعريف اكتفينا معه بالقول بأن المصطلح مدخل ضروري لفهم أي علم من العلوم.

ولهذه التعليقات مجتمعة فإتني - وأنا أحاولُ رفع اللبس عن التصوّف الإسلامي - سأعالج مسألتين رئيسيتين هما المصطلح والمنهج. وواضح أنّ تقديمي للمصطلح له خلفيّة علميّة لن يزيد بها هذا البحث إلا جلاءً. وفي هذا الكتاب الذي يعالج علم التصوّف الإسلامي، أجدني مضطراً - بالإضافة إلى تقديم نبذة مختصرة عن هذا العلم - إلى وقفة موضوعيّة مع مفهوم المعرفة في الإسلام (أو نظرية المعرفة عند المسلمين) باعتبار المنهج والمصطلح المبحثين في هذا البحث يعتبران جزءاً أصيلاً منه.

ففي تعريف علم التصوّف سأحاول تناول مختلف الإشتقاقات اللسانية مع ترجيح أقرب هذه الإشتقاقات إلى الفهم الموضوعي في تقديري. ولأن المعاني الواقعة في هذا العلم تصبح مشكلةً مبهمّة حين تصاغ في قوالب لغويّة تمثّل اللغة الصوفيّة، ويزيدها إبهاماً المناهج المطبّقة عليها حتّى من قبل المناقحين عن التصوّف، فنحن إذن أمام إشكالية معرفيّة هي التالية:

(١) علم المصطلح: Terminologie.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ علم التصوّف الإسلامي له موضوع هو التّركية وإنّ طبيعة هذا الموضوع ذوقية محضة، وإنّ له منهجا هو التّربية الروحية.

وهذا المنهج قائم أساسا على الدّوق فهو بهذين الاعتبارين يحمل مواصفات الذات فإذا أردنا أن نفهمه احتجنا إلى أمرين هما المنهج واللغة. وإذا أقررنا بأنّ اللغة ليست وعاءً للدّوق الصّوفي واجهنا السؤال التالي: كيف نستطيع أن نحيط بمعاني هذا الدّوق؟

يترتّب على هذا الإشكال المندرج تحت فلسفة المعنى أو فلسفة اللغة إشكال آخر من جنسه ولكنه متّصل بعلم المنهج وهو: كيف يكون المنهج العقلي الموضوعي وسيلة لفهم المعاني الدّوقية الذاتية؟

والجواب على هذا السؤال هو أنّ الغموض الواقع في فهم التصوّف الإسلامي له أصلان رئيسيان: أحدهما من ذات التصوّف هو اللغة الصّوفية، والآخر من خارج التصوّف هو المنهج الموضوعي في تعامله مع الدّوق الصّوفي.

ويستطيع الباحث المنصف أن يكتشف بسهولة بأنّ هذين الإشكاليين لهما صفة واحدة هي الصّفة المعرفية ولهذا فهما جديران بالبحث من زاوية فلسفة العلم أو الإبيستيمولوجيا أو ببساطة من زاوية العلم المجرّد الذي ينحو نحو فهم الحقيقة ما استطاع استخدامه إلى ذلك سبيلا.

أمّا السبب الذي هو من ذات التصوّف وهو اللغة فإنّنا نجدّه يتجلّى في ثلاثة مظاهر:

أ-المظهر الإصطلاحي المجرّد كقولك المقام والحال والجدب والسلوك الخ...

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ب- الشطح وهو مظهر غريب يتمثل في استخدام هذه المصطلحات وغيرها في كلام غير مفهوم في كثير من الأحيان وربما يوهم الكفر في أحيان أخرى.
ج - الرمز بجميع أنواعه.

وسأحاول قدر المستطاع وأنا أبحث اللغة الصوفية أن أبين أن في هذه اللغة ما هو ذو أصل قرآني أو سني ولكنه قد يختص بمعنى جديد لا عهد للباحث به فيجد نفسه بحاجة إلى النظر في المعنى الخاص لهذا المصطلح قبل أن ينتقل إلى استخدامه في المصادر الصوفية.

فلا شك إذن أن الوقوف مع المعاني الخاصة لأهم هذه المصطلحات يغدو ضرورة ثملها طبيعة هذا البحث. أما في جانب قراءة النصوص الصوفية فإننا نجد أنفسنا أمام نصوص هامة تتجلى في جانبين من التصوّف هما:

الأخلاقي و العرفاني (1)

وإذ كنا نستطيع أن نضرب صفحا عن اللون الأول من النصوص لسهولة فهمها كما هو الشأن في كتب المحاسبي أو الغزالي فإننا لا نستطيع أن نتجاهل اللون الأخير الذي جاءت نصوصه معقدة جدًا كما هو الحال في كتب ابن عربي وابن سبعين و الجيلي وغيرهم، ولذلك نجد أنفسنا أمام مشكلة هي أننا لا نفهم كلامًا كتب بلسان عربي مبين! ويُستحسن في

(1) العرفاني: gnostique ويسمى أحيانا غنوصيا اشتقاقا من الكلمة الأعجمية هذه. وهو التصوف الذي كتب بلغة معقدة ورمزية يصعب معها فهم نصوصه وأقوال أصحابه. وسنحاول إمطة اللثام عن كنهه في آخر مبحث اللغة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

هذا المقام أن نقف مع نصوص نموذجية تعبر عن هذا المعنى. أمّا ما يسمى بالسطحات فكلام صادر عن الصوّفي تحت وطأة الأحوال التي يعانيتها، شأنه في ذلك شأن الرموز حكمية كانت أو حرفية أو عددية أو فلكية أو حتى غزلية إشارة وتحتاج إلى وقفة خاصة ضمن مبحث خاص⁽¹⁾ ويقتضي المنهج العلمي منّا الوقوف عند بعضها رغبة منّا في استجلاء الحقيقة، ولكنرة ما لحق التصوّف الإسلامي بسببها. لذا نستطيع أن نقول بشأن اللغة الصّوفية إنها تقودنا إلى جملة من الاستنتاجات، منها:

– أصالة المصطلح الصّوفي

ب- صعوبة هذا المصطلح

ج- خصوصية هذا المصطلح

د- ضرورة اعتناء الباحثين بلغة التصوّف.

هـ استنتاجات أخرى.

بعد أن نتخطى مشكلة اللغة الصّوفية بمختلف جوانبها أي الرمز والمصطلح والسطح نقف لنتساءل: الآن وقد استطعت الإلمام بلغة التصوّف كيف أقرأ هذا العلم وهو تجربة ذوقية في شكلها الأكبر؟ والجواب هو التالي: إمّا أن أتصوّف لمعانقة الحقيقة الذوقية لهذا المبحث وإمّا أن أتحرّى الحقيقة بعقل موضوعي قدر استطاعتي.

فأمّا المنهج الأول فيعطينا من طرح المشكلة المعرفية أصلاً، وأمّا المنهج الأخير وهو مسلكننا في هذا البحث فإنه يفضي بنا إلى هذا السؤال الهام:

(1) وهو ما فعلناه إذا خصّصنا مبحثاً للرمز في مختلف هذه التفريعات وهذا المبحث واقع ضمن دائرة علم الرمز أو السيميولوجيا الصّوفية

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

هل المقدمات العقلية التي ينطلق منها المنطق الإنساني إذا أضفنا إليها الروح العلمي - الذي لا يعني شيئا سوى الموضوعية في البحث والحكم - يكفيان للإحاطة بموضوع نوقى وجداني كالتصوّف الإسلامي؟ إن هذا هو الإشكال الذي سنحاول الجواب عليه في هذا البحث.

إن ما تواطأ الباحثون على تسميته فلسفة إسلامية إضافة إلى كل العلوم الشرعية الحادثة في الملة كعلم الحديث وعلم أصول الفقه وعلم الفرائض وعلم القراءات وعلم التصوّف وما إليها تفتح كلها بنظرية أصيلة للمسلمين حول المعرفة.

إن نظرية المعرفة تسمية مركبة من جزأين هما:

1 - النظرية (1) : وتعني مجموعة من الأفكار والمعارف المتناسقة بعد أن كانت تعني عند اليونان تأمل العالم وخاصة الكواكب (2). وتطور معناها في عصر النهضة فأصبحت تعني كل ما يبدعه العقل البشري. إلا أن التقدّم العلمي حصر معناها في التركيب العقلي الواسع الذي يهدف إلى تفسير عدد كبير من الظواهر يقبله أكثر العلماء في وقته من جهة ما هو فرضية قريبة من الحقيقة مثال ذلك نظرية الذرة (3).

(1) في الإنجليزية Theory وفي الفرنسية Théorie وفي اليونانية Theoria

(2) Librairie 'Didier Julia, Larousse philosophique
Larousse Paris 1964 P.300

(3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت 1978، ج2 ص 478.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2 - المعرفة⁽¹⁾ ومعناها العلم بالشيء أو الاطلاع

عليه. وهي التصوير الذهني للشيء المعروف أو هي صورة لما يجري في العالم. وعند البعض هي تأليف فكري يأتي من طريق الحواس ويسمى بسيطاً ومن طريق العقل ويسمى مركباً⁽²⁾.

ويرى البراجماتيون⁽³⁾ أنّ المعرفة بيان لما يمكن أن يكون عليه سلوكنا في الحياة العملية. بخلاف المثاليين فالمعرفة بنظرهم هي الوجود شيء واحدٌ ولذلك تتشابه المدركات لأنها صورة مصغرة لحقيقة كبرى هي الله. وقد عرف الجرجاني المعرفة بأنها " حالٌ مسبقة بنسيان حاصل بعد العلم ولذا يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف " ⁽⁴⁾.

ولهذا قال بعضهم إنّ نظرية المعرفة هي " رأي الفيلسوف في تفسير المعرفة أيّا كانت الحقيقة المعروفة " ⁽⁵⁾. فهي بهذا المعنى مجموع الآراء والأفكار التي يكوّنها الفيلسوف حول الحقائق أيّا كان نوعها حسية كانت أم عقلية أم ذوقية

(1) المعرفة (Gnosis) أو (knowledge) في الإنجليزية (Connaissance) في الفرنسية من اللاتينية (Cognito) أصله الفعل (Cognescere) أو (Noscere) ومعناه عرف.

(2) لأنّ ميزة العقل التحليل والتركيب

(3) البرجماتية وهي مضادة العقلانية ولا تعترف بالحقيقة إلا من خلال الفائدة العملية وهي مدرسة وليام جيمس وجون ديوي (لاروس الفيلسوف ص 239).

(4) الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت 1969، ص 163 لفظ معرفة.

(5) د/ محمود عبد القادر، نظرية المعرفة، دار الفكر العربي، بيروت 1966

ص 7.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الخ... ولا شك أنّ هذا التعريف يُبقي موضوع الحقيقة مفتوحاً
خلاقاً لمن يرى أنّ مباحث نظرية المعرفة تنحصر في:

1- تعريف مادة العلم

2 - التمييز بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي.

3- البحث في موضوع الوجود والتغير.

وقد عكس المعجم الفلسفي " لاروس " النزعة
الديكارتيّة عند الفرنسيين إذ جاء فيه: " إنّ نظرية المعرفة هي
كلّ تفكير نقديّ في طبيعة وحدود العقل البشري " (1) واختصر
صاحب (المعجم الفلسفي) هذه التعريفات حين قال إنّ نظرية
المعرفة هي:

1 - البحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها

ووسائلها.

2 - هي البحث في المشكلات الفلسفيّة الناشئة عن

العلاقة بين الذات المدركة والموضوع المدرك أو بين العارف
والمعروف (2).

ولن نحيد عن جادة الصواب إذا اكتفينا بالتعريف الأوّل
أعني القائل بأنّ نظرية المعرفة هي البحث في طبيعة وأصل
وقيمة ووسائل المعرفة فيكون طرحنا لمشكلتي المصطلح
والمنهج بعد تعريف علم التصوّف الإسلامي إنّما هو نزول
منطقي عند مقتضى هذا التعريف الموجز الدقيق.

(1) Didier Julis, Larousse philosophique P.301

(2) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، ج2، ص478.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد رأيت وأنا أدرجُ مبحث التصوّف الإسلامي ضمن دائرة المعارف الإسلاميّة أن أخصص صفحات لهذا الإطار العلمي - المعرفي قبل الخوض في المعنى الخاصّ بالتصوّف. لقد اختصر أحد الباحثين⁽¹⁾ المباحث المعرفيّة في الإسلام بالشكل الذي يلي:

1 - تنظيمات الإسلام:

- أ- علاقة الإنسان بربه وتشمل العقائد والعبادات.
- ب- علاقة الإنسان بنفسه وتشمل الأخلاق.
- ج- علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وتشمل المعاملات والجنایات والعقوبات
- د- علاقة الدولة بالدول الأخرى.

2 - أقسام التشريع الإسلامي:

أ- العبادات

* بدنيّة كالصلاة والصيام

* مالية كالزكاة

* مركبة كالحج والجهاد.

ب- المعاملات والعقود

* علاقة الإنسان بالإنسان كالبيع والرهن والزواج.

* علاقة الفرد بالدولة.

* علاقة الدولة بالدولة في حالات السلم والحرب والحياد.

* الإيقاعات كالطلاق والعنق والوقف.

ج- الأحكام كالميراث والديّات

د- العقوبات

(1) أحمد زكي تفاعّة، الإسلام والحكم، دار التعارف، بيروت 1977.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهي مقترنة كالقصاص وغير مقترنة كالتعزير.

3 - مقاصد الشريعة

أ- الضروريات الخمس (النفس - العقل - الدين - العرض - المال).

ب- الحاجات (عدم الحرج في الأوامر - عدم التكليف بما لا يطاق).

ج - التحسينات وهي مكارم الأخلاق. (1)

إن الناظر بإمعان في ثنايا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد زخما من النصوص تحثّ كلها على العلم والمعرفة وترفع من شأن المشتغل بهما. وهي نصوص نستنتج منها:

1 - الأمر بطلب العلم وحثّ عليه

2- حصر المعرفة في العلماء

3 - رفع درجة العلماء عند الله بما يترتب عليه

بداهة رفعها بين الناس.

فلا غرابة أن توصف حضارة المسلمين حين رفعت بين بنيتها راية العلم بأنها شمس طلعت على الغرب (2). وقد أرجع بعض الباحثين سبب التفوق العلمي عند المسلمين إلى ميزتين أساسيتين هما:

(1) وهذا المبحث يشير إلى مقام الإحسان ومعناه التزكية أو التربية الروحية وهو الأصل في التصوّف الإسلامي. وقد جعل الأكثرون تزكية النفوس وتطهيرها منهجا لمعرفة الله، فالعارف حينئذ هو الذي صلت نفسه فعرّفها فعرّف ربه.

(2) زيغريد هونكه، شمس العرب تمتطع على الغرب، ترجمة وتحقيق الدكتور فؤاد حسنين علي، دار رحاب الجزائر 1986.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1 - التّسامح الدّيني إذ رسّخ الإسلام في أبنائه احترام أهل الدّينات الأخرى وعدم التفاضل بلون أو جنس (1).
2- الحضنّ على طلب العلم على نحو لا مثيل له، ونجد الرّوح المعرفي عند المسلمين زمن تفوقهم الحضاري يمتاز بثلاثة أشياء:

1- توجّه جماعي تلقاء إيقاظ العقل من حيث هو مناط التّكليف وأداة أساسية لقراءة الكون وما فيه.
2- إخلاص للحقّ يسقط معه اتهام الناس في اجتهاداتهم وأفكارهم.

3- رحابة أفق اتّسعت للأفراد والجماعات وإن اختلفت مذاهبهم ومشاربهم. وقد أفسدت هذه الصّورة النيرة بعض مظاهر التعصّب للرأي أحياناً ولكنّها في حكم ما يحفظ ولا يقاس عليه.

والمعرفة في الإسلام لها وجهان: مثاليّ أدواته القلب والرّوح والعقل المشرق أو الإشراقي ووجه كونيّ تدرج تحته المباحث الحسيّة.

فالوجه الأوّل يتّجه عمودياً ومجاله المعارف الدّوقيّة والبحث في أصل وأبعاد النفس الإنسانيّة ومحبة الله سبحانه وتعالى. أمّا الآخر فيتّجه أفقيّاً للبحث في أثر الإنسان في العمران والفكر والبحث في ما يحيط به من ظواهر وأثار مضبوطة بقوانين يكشفها ويستفيد منها.

(1) د/ محمّد عبد الرّحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب - الجزائر - منشورات عويدات باريس، بيروت، 1988، ص7.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد أمر الإسلام بطلب المعرفة فتكررت اشتقاقات فعل عرف كقوله تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَنُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (1).

وقوله: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) (2) وقوله: (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ) (3) وقوله: (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ) (4) الخ...

وقد ورد الفعل عرف بمختلف اشتقاقاته ثلاثمائة وسبعاً وأربعين مرة في كتب الصحاح (5).

هذا ولم يضع الإسلامُ حدًّا للبحث المعرفي خلافاً للمسيحية التي يعرف كلُّ باحثٍ منصفٍ تاريخ محاكمها التفتيشية (6).

بل إنَّ هذا الدين الحنيف في الخطاب القرآني و الحديثي قد سعى لتحقيق أمرين هامّين هما:

1- الوصول إلى الحقائق الإيمانية عبر الحقائق التي يصل إليها العلم.

(1) سورة النمل الآية 93.

(2) سورة البقرة الآية 146.

(3) سورة يوسف 62.

(4) سورة التحريم الآية 20.

(5) أ.ب. ونسك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، دار الدعوة، إستانبول، دار سخنون تونس 1988 ج.4 ص 189 إلى 196.

(6) يوجد في الخزنة العاشورية بتونس مخطوط عنوانه (الأنوار النبوية) لواحد من أواخر مهاجري الأندلس اسمه محمد بن عبد الرقيب المرسي الأندلسي بصور أحوال المسلمين في أيامهم الأخيرة مع محاكم التفتيش النصرانية. نكر هذا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه (تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة) ص 140.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- إسعاد الإنسان في حياته الماديّة بتسخير ما يتوصّل إلى اكتشافه أو صنعه تسخيرا يخدم العيش الكريم لبني البشر في إطار حدّ من الأخلاق.

ولا يفوتني وأنا أتحدّث عن الأخلاق أن أشير إلى الرّوح المعرفي أو العلمي الذي اشترطه الغربيّون في حقل البحث العلمي وعرفوه بأنّه العقل المنظم الواضح الذي لا يسلم بصدق حكم إلا بعد تحقيقه والتدقيق فيه وإقامة البرهان عليه⁽¹⁾.

إنّ هذا الرّوح وإن أفاد في حقل البحث فإنّ الأمر ليس كذلك في مجال استثمار نتائج العلم والمعرفة.

والمتمأل في قوله تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)⁽²⁾، يجد أنّ الروح العلمي يتوسّع ليشمل:

- 1 - النية من طلب العلم
- 2- حيثيات البحث ونتائجه
- 3 - استخدام العلم

وجاء في الحديث الشريف: عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذلك العالم الكامل وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله فذلك العالم الفاجر⁽³⁾.

وقد ساعد على ترسخ العلوم والمعارف في حضارة الإسلام بالإضافة إلى الرّوح المعرفي الذي تحدّثنا عنه الاستخدام الدقيق لمناهج الاستنباط والاستقراء والقياس

(1) صليبا، المعجم الفلسفي. ج.2. ص102.

(2) سورة فاطر الآية 28.

(3) رواه الترمذي في مسنده.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والتحقيق بما أدى إلى ظهور علم لا نظير له في تاريخ الثقافة الإنسانية، هو علم الجرح والتعديل، أو ببساطة منهج البحث فيمن يؤخذ عنه الحديث.

وهذه اللفتة تقودنا إلى الحديث عن المنهج استكمالاً لوقفنا الموجزة مع نظرية المعرفة.

إنّ علم المنهج هو "علم التفكير أو طريقة كسب المعرفة، أو إته الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة مشكلة الاكتشاف الحقيقية أو إته خطوات منظّمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها أو هو فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للأخرين حين نكون بها عارفين" (1)، وتتعدّد أشكال المناهج بتعدّد العلوم وقد يستعمل الباحث مناهج خاصّة لمسائل جزئية داخل العلم الواحد (2) مع وجود قواسم مشتركة بينها جميعاً.

قال الزمخشري "نهج أخذ النهج والمنهج والمنهاج، وطريق نهج وطريق نهجة، ونهجت الطريق بينته، وانتهجته استبينته، ونهج الطريق وأنهج: وضح" (3) فالمنهج والمنهاج بمعنى واحد وتؤدّي معنى الأسلوب والطريقة الواضحة.

(1) د/محمد عبد اللطيف العبد، منهاج البحث، دار الكتب العلمية، بيروت 1979 ص7.

(2) د/ عبد الرحمن بدوي، منهاج البحث العلمي ص23.

(3) الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر 1984 ص 660/659 .

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد وردت لفظة منهاج في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (1).

قال القرطبي " المنهاج الطريق المستمر وهو النهج والمنهج " (2) والآية في تفسيره تبيح جواز الاختلاف في الفروع (3)، فهي تدل على اختلاف المناهج وتفاوت العقول في الإدراك والفهم والإطلاع.

وقد وردت اللفظة نفسها في الصحاح بمعنى الطريق (4). قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "ما كان للمسلمين لولا العقيدة الدّينية أن يحملوا أنفسهم مؤونة منهج شاقّ يستنفد الكثير من الوقت والجهد دون أن يكون له حصيلة من كسب مادّي معيّن ثم يستبدون في التمسك به حتّى يغدو مصطلحا لهم جميعا يتعارفون به ويلتقون عليه" (5). وقد نعى القرآن الكريم على أناس استخدام عقولهم في الأوهام والظنون، قال تعالى: (وَمَا يُبْغِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَقْعُونَ) (6).

قال الدكتور البوطي: " وأنت ترى كيف يتمثل في هذا الدّافع النهي عن تبني أيّة فكرة حتّى الدّين نفسه إلا عن طريق

(1) سورة المائدة الآية 48.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967، ج6 ص 211.

(3) نفس المصدر، ج2 ص130.

(4) مسند الإمام أحمد ج4 ص 273، ج1 ص236. صحيح البخاري ج1 باب الإيمان.

(5) د/ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، دار الفكر دمشق 1991، ص30.

(6) سورة يونس الآية 36.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ما يثبتُه العقل الصّافي من الدّلائل اليقينية التي من شأنها أن تكشف عن حقيقة المطلوب" (1).

والناظر في المطلوب يجده إمّا نظرياً لا يحتمل التجربة وقاعدة التعامل معه هي: "إن كنت ناقلًا فالصحة أو مدّعيًا فالدليل" وإمّا حسياً يحتمل التجربة والمشاهدة فالبحث فيه موكل لحواس الإنسان ولاستنتاجاته العقلية بعد ذلك. وحتى المواضيع النظرية التي لا نصّ فيها فإننا نجد لها في مباحث المسلمين طريقتين علميتين هما دلالة الالتزام والقياس ومعناهما:

1 - دلالة الالتزام: إنّ هذه الدلالة ليست علاقة العلة

بالمعلول بل هي التلازم بين قرينين بحيث يصبح أحدهما دالاً على الآخر مثل أن يدلّ وجود معلمين في قرية معيّنة على وجود مدرسة للتعليم، وأن يدلّ وجود مكتبة عائليّة على وجود فرد أو أكثر من الأسرة يعرف القراءة.

وفائدة هذه الدلالة هي الاستقراء فلنا بحاجة إذا وجدنا القرين الأوّل إلى البحث عن الثاني لأنّه يستلزمه استلزاما ثلاثي الأبعاد.

أ- اللزوم غير البيّن وهو الذي لا يتكامل إلا باجتماع القرينين.

ب- اللزوم البيّن بالمعنى الأعمّ ويتوقف على إدراك المدرك للقرينين كلّ لوحده كدلالة واجب الوجود وهو الله على القوم. وهذا اللزوم لا يحتاج إلى برهان.

(1) د/ البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية ص30.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ج - اللزوم البين بالمعنى الأخصّ وفيه يدلّ وجود القرين الأوّل على قطعية وجود الثاني كصوت الأدمي فإبه دليل وجود إنسان ولو لم نره.

2- القياس: ومعناه أنّ الباحث إذا تأمّل علاقة العلة والمعلول وثبت عنده الاطراد بغير مصادفة أو دخول عامل ثالث اعتمد هذه الصّورة كمبدأ أوّل بشرط تأثير العلة في المعلول. ونقصد بالتأثير التّأثير الظاهر وهو غير التّأثير الأصلي أو الأوّل الذي ينسبه المنكلمون وعلماء التوحيد إلى الله سبحانه وتعالى.

ويمكن بهذا التعريف أن نقول مثلاً بأنّ القياس الأصولي في الإسلام مختلف عن القياس الأرسطي عند اليونان أو عمّا سمّاه الدكتور البوطي المنهج الاستردادي عند علماء الغرب وهو " أن يعكف الباحث على ما تجمّع لديه من آثار وأحداث فيقدح فيها الملاحظة والوجدان والخيال ليستنتج من وراء ذلك ما قد يطمئن إليه من مبادئ وأحكام ووقائع".⁽¹⁾ ولا غرابة بعد هذا أن يقول الدكتور محمود قاسم إنّ أبا العقلانية الغربية الحديثة روني ديكرت قد كان تابعا في نقده للمنطق اليوناني لابن تيمية بل إنّ لم يزد شيئا على ما قاله⁽²⁾. ولا غرابة أيضا أن تكون أصول المنهج العلمي عند الأوروبيين هي نفسها التي وضعها المسلمون حسب رأي الدكتور إبراهيم مذكور. فقد قال ابن خلدون " إنّ التجربة

(1) المصدر السابق ص 42، د/ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ص 200.

(2) د/ محمود قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية الطبعة الأولى دار الكتب الحديثة القاهرة بدون تاريخ ص 23.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وفحص الحقائق الجزئية واستقراء الحوادث الشخصية ومباشرة الكون من طريق الحواس والعقل هي الدّعاة التي يقوم عليها العلم بحقائق الأشياء⁽¹⁾. وهو ذات الشعار الذي كان رافدا من روافد النهضة العلميّة في الغرب.

وأود قبل ختم الحديث عن وسيلة المعرفة داخل الإطار الكبير الذي سمّيته نظرية المعرفة في الإسلام أو عند المسلمين أن أقف عند أنواع القضايا وأنواع الأحكام بإيجاز غير مخل من شأنه أن يخدم في جوهره أمانة العلم.

إنّ القضايا هي الناتج الضّروري لكلّ علم فهي قاسم مشترك بين علم المنهج ونتائج العلوم، وهي في المباحث الإسلامية الشرعية أربعة أنواع:

- 1 - قضايا بديهية لا يمكن إنكارها أو الخروج عليها لكونها معلومة بالضرورة.
- 2- قضايا غير قابلة للاختلاف ولا يمكن أن تفهم إلا في ضوء الفهم النبوي أو القرون المشهود لها بالخيرية⁽²⁾.
- 3- قضايا قابلة للاختلاف بشرط التزام ضوابط في فهمها.

4- قضايا اختلف فيها المجتهدون لتعارض في النصوص التي وصلتهم أو لاحتمال النصّ أكثر من فهم⁽³⁾.

(1) د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص561.

(2) هي القرون الثلاثة الأولى بنصّ الحديث.

(3) يعرّف الاجتهاد بأنه بذل الوسع في الوصول إلى ما يعتقد أنه مراد الشارع. ولهذا تتعدّد الفهوم والاستنباطات فيكون الاختلاف صورة لروح المجتهد والاجتهاد معا.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهذا التقسيم يشير إلى وظيفتين في المعرفة وتحديدًا في وسيلتها هما الاكتشاف والتعليل ويقف حاجزًا أمام القضايا الموجّهة.

أما الأحكام فثلاثة أنواع:

- 1- حكم تعبّدي وهو الحكم المحض الذي لا يهتدي إلى الحكمة من ورائه.
- 2- حكم معلل وهو الحكم الذي تكون علته منصوصا عليها أو مشارًا إليها.
- 3- حكم متوسط بين التبعدي والمعلل وهو الذي استنبط له الفقهاء علة.

وينقسم الحكم بعد ذلك حسب الصورة التي يأخذها إلى حكم عادي وحكم شرعيّ وحكم عرفي. وليس هذا مجال التفصيل.

إنّ دعائم المنهج في مختلف العلوم التي مارسها المسلمون قائمة ولا تحتاج إلى شواهد. وقد اختصر الدكتور محمد الدسوقي هذه الدعائم في عشرة⁽¹⁾ أتوقف عند الدّعاة التاسعة منها لارتباطها المباشر بعلم التصوّف ومشكل اللغة الذي أخذ في طرحنا حيّزًا محترمًا. هذه الدّعاة هي الارتباط الوثيق بين اللغة العربيّة وفهم الإسلام. فقد نقل الدسوقي عن الشاطبي قوله: "إذا كانت الشريعة عربيّة فلا يفهمها حقّ الفهم إلا من فهم اللغة العربيّة حقّ الفهم لأنهما سيّان في النمط ما

(1) وهي إجمالًا تعبيرًا عن الروح العلمي عند المسلمين. منها أنه لا حدود للبحث في عالم الشهادة ومراعاة تتابع الأجيال في النّحصول العلمي ورفض الدراسة المبنية على الخيال والارتباط بين اللغة والعلم، وأخلاق العلماء، كما مرّ ذكرها واعتماد المنهج النقلي في العلوم المستوجبة لذلك إلخ....

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عدا وجوه الإعجاز فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة. فإذا انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان فهمه في الشريعة حجة⁽¹⁾

قال ابن خلدون " لا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة " ⁽²⁾

ولن أنتقل من هذه التوطئة إلى ما يليها من مباحث قبل ذكر أهم المناهج التي اعتمدها المسلمون في بحوثهم وإن كان لأستاذنا الدكتور عبد الرزاق قسوم رأي مغاير وهو الحديث في المناهج في الباب المخصص لمشكلة المنهج عند المتصوفة.

يمكن أن نذكر من ضمن هذه المناهج:

1 - المنهج النقلي: تعتبر الرواية حجر الأساس في هذا المنهج إذ ينقل المتعلم عن شيخه نصيبا قل أو كثر لينقله هو بدوره إلى غيره. ولا شك أن كثيرا مما وصلنا من علوم المسلمين قد جاءنا من هذا الطريق.

2- المنهج الاستقرائي: ويعتبره الدكتور عثمان موقاي " المعبر عن روح الحضارة الإسلامية " ⁽³⁾. وقد عرف الإمام أبو حامد الغزالي الاستقراء بأنه " أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلية تحت معنى كلي حتى إذا وجدت حكما في

(1) الشاطبي، الموافقات، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ. ج.4. ص.60.

(2) ابن خلدون/ المقنمة. الدار التونسية للكتاب تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984 ص 1055

(3) د/ عثمان موقاي، منهج النقد التاريخي عند المسلمين الطبعة الأولى الإسكندرية، بدون تاريخ ص 83.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكليّ به " (1) ويتميّز هذا الاستقراء العلمي بـ:

أ - البحث والملاحظة والتجربة

ب - الكشف أو الفرض

ج - التثبّت من صحة الفرض.

3- المنهج الاستنباطي وهو منهج يقوم على

الوصول إلى النتيجة عبر مقدمات ثمّ التسليم بصحتها بصفة نهائية وهي:

أ- البديهيات: وهي قضايا صادقة ضرورة كقولنا الكلّ أكبر من الجزء.

ب- المسلّمات: وهي القضايا غير المتناقضة والتي لا يمكن البرهنة عليها لشدة عمومها كقولنا لا يمكن الرّبط بين نقطتين بأكثر من خط واحد.

ج- التّعريفات: هي المصطلحات الخاصة بكلّ علم وهي تختلف بداهة من علم إلى آخر.

وقد ذكر صليبا في معجمه أربعة أنواع من التعريف

هي:

* التعريف المفرد بالمقوم وهو تعريف الشيء بفصله

كقولنا إنّ الإنسان ناطق.

* التعريف المفرد باللازم وهو التعريف بالخاصة

كقولنا المثلث هو الشكل الذي تكون زواياه الداخلية مساوية لقائمتين.

(1) أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تحقيق د / سليمان دنيا، دار المعارف بمصر بدون تاريخ ص 160.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

* التعريف المركب بالمقوّم وهو الذي إذا توافرت فيه بعض الشروط كان حداً تاماً كقولنا الإنسان حيوان ناطق.
* التعريف المركب من غير المقوّمات وهو الذي إذا توافرت فيه بعض الشروط كان وصفاً. ويقصد من التعريف تحصيل صورة الشيء في الذهن أو توضيحها.

4- منهج التحليل والتركيب ويقوم على الربط بين أجزاء مبحوثة تأكد العقل من سلامتها للوصول إلى أحكام وقضايا. وهو عملية عقلية محضة.
إن وجود المنهج الكلامي في التوحيد والحسابي في المواريث والاستنباطي في الفقه والاستقرائي في المقاصد ومنهج الجرح والتعديل في الحديث والدلالة السمعية في القراءات إلخ... تشهد على الاستخدام المتخصص في البحث المعرفي عند المسلمين لجملة هذه المناهج وغيرها فبأيّ منهج سنقرأ التصوّف الإسلامي بل ما هو المنهج الذي يعرضه علينا هذا العلم؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عليه في باب خاص من هذا الكتاب.

ولكن بعد أن نكون قد تأملنا هذا التعريف لنظرية المعرفة - أو الإبيستيمولوجيا - للباحث اليوغسلافي ميودراغ سيكيتش إذ يقول: "إن فلسفة العلوم هي المبحث الذي اشتمل على أهم المفاهيم العلمية ومناهج البحث في العلوم وعلى قيمة النتائج التي بلغها التطور العلمي وأثرها على الإنسان والمجتمع".⁽¹⁾

(1) Miodrag Cekic: philosophy and science, from: world congress of philosophy proceedings of the XVth Tome1.P44 Sofia 1973.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ هذا التعريف يخلص بنا إلى أنّ نظريّة المعرفة أو فلسفة المعرفة أو فلسفة العلم على اختلاف التسميات لها وظيفتان رئيستان هما:

1- استجلاء أهمّ المفاهيم والمصطلحات والمناهج في مجال البحوث المتصلة بالإنسان.

2- تقويم نتائج البحث في علوم الإنسان وأثرها في

الفرد والمجتمع.

وسنحاول قدر وسعنا أن نفعل هذا مع التصوّف الإسلامي وهو مبحث يعجّ بالمفاهيم الذوقية والمصطلحات الحاملة لمعان تُترجم تجارب جوّانية عميقة لعلاقة المخلوق بخالقه. وهي مفاهيم وتجارب كثيرا ما جاءت في ثوب رموز يمكن أن يضعها يقينا ضمن دائرة السيميائية العرفانية في الإسلام أو سيميائية التصوّف الإسلامي أو الوجه السيميائي للتصوّف الإسلامي الذي نحاول في هذا الطرح الانتقال به من السيميولوجي إلى الإبسيميولوجي أي من العرفاني إلى المعرفي.

قبل الوصول إلى تعريف مختصر بعلم التصوّف أجدني مضطرا لتقديم ثلاث ملاحظات هي في غاية الأهمية بالنسبة للمنهج الذي آليت على نفسي اعتماده في هذا الكتاب:

1 - الملاحظة الأولى تتعلق بدراسات المستشرقين للتصوّف الإسلامي. وتأتي قيمة هذه الدراسات من كونها أخرجت إلى العالم غير الإسلامي جزءا لا بأس به من كتب ومصنّفات الصوّفية الكبار سواء وهي تحاول ربط محتواها برهبانية النصارى أو وهي تُصدر أحكاما منصفة - في تقديري الخاص - لبعض رواد الرّوحانية المسلمين.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وفي هذه الملاحظة الأولى أودّ أن أقول إنّ عدم استشهادي بكثير ممّا كتبه المستشرقون إنّما يعود إلى سببين أساسيين هما:
أ- القراءة المصدرية للتصوّف الإسلامي.

ب- الابتعاد عن الدراسات الموجهة التي كثيراً ما نصادفها في هذا اللون من القراءة أعني القراءة المرجعية⁽¹⁾.

هذا ويوجد صنفان من المستشرقين، صنف بحث التصوّف الإسلامي بعمق لكن لم تخلُ دراساته من بعض التعصّب أمثال لويس ماسينيون وهنري كوربان ونيكولسون وأربري⁽²⁾، وصنف آخر كتب بعمق أكبر ومع أنّ بحوثه قليلة بالنسبة للصنف الأول إلا " أنّها بالغة الأهمية لفهم التصوّف فهما صحيحاً " ⁽³⁾، وأذكر بهذا الشأن خاصّة روني غينون وتيتوس بوركاردت اللذين أرجعا التصوّف إلى أصله الإسلامي. وسنقف في الفصل الخاص بالرمز إلى بعض إسهاماتهما بهذا الصدد.

2- الملاحظة الثانية تتعلق ببعض الدراسات والبحوث التي حاولت حصر التصوّف الإسلامي ضمن دائرة البحث النفسي. ولعلّ هذا راجع إلى بعض الأخطاء المنهجية في

(1) أعني بالمرجع ما كتّب عن التصوّف الإسلامي وبالمصدر ما كتبه صوفية الإسلام أنفسهم.

(2) يمكن أن نضيف أيضاً (GARDET) و (RICE) و (MEIER) و (FILIPANNI) و (RONCONI) و (DESACY) و (DERMENGHEM) إلخ.....

(3) سيّد حمين نصر، الصوفية بين الأمس واليوم، ترجمة د/ كمال خليل البازجي، الطبعة الأولى، دار المتحدّة للنشر، بيروت 1975، ص18.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الدراسة التي حصر أصحابها أنفسهم في دائرة التجربة الحسية وحدها " ولم يدققوا في فهم مصطلحات الصوفية التي عبروا بها عن أحوال وجدانية ذاتية لا تتصف بصفة العمومية " (1)، فاصطنعوا منهج المماثلة (Analogical method) وهذا " هو الخطأ بعينه لتعدّر مساءلتهم للصوفي في حالاته الشعورية الخاصة مماثلة حقيقية وهم ليسوا بصوفية " (2).

هذا بالرغم من عدم إنكارنا للرباط الوثيق الذي يصل علم النفس بعلم التصوّف إذ يكاد يكون موضوعهما واحداً وهو النفس الإنسانية بل إنّ بعضهم لا يجد حرجاً في القول بأنّ " التصوّف هو علم النفس أو علم آفات النفس " (3). يقول سيّد حسين نصر: " وفيما يتصل بعلم النفس فمن الجدير بالذكر أنّ الصوفية تشتمل على أسلوب مستوفى لشفاء أمراض النفس. والروح وحدها تستطيع أن تعرف النفس وأن تضيء زواياها المظلمة وأغوارها السحيقة، والإنسان الذي حظيت نفسه بالتكامل والاستنارة هو وحده يملك الحقّ والوسيلة لشفاء نفوس الآخرين " (4).

3- أمّا الملاحظة الأخيرة فترتبط مباشرة بنظريّة الظاهر والباطن إذ أنّ " المعرفة التي تعتمد على الشريعة

(1) المصدر السابق ص 15.

(2) د/ عامر النجار، التصوّف النفسي، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ ص 135.

(3) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوّف الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت 1980 ص 7.

(4) د/ سيد حسين نصر، الصوفية بين الأمس واليوم، ترجمة الدكتور كمال خليل البازجي، الطبعة الأولى الدار المتحدة للنشر، بيروت 1975 ص 58.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بجانبيها الظاهر والباطن هي التي تُوَدِّي إلى الكمال الإنساني (1). وهذه الازدواجية هي التي نبّه الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى كونها "تمثّل جوهر المعضلة المعرفيّة. فباطن الإنسان هو حقائق الألوهية وظاهره هو حقائق الكون" (2). وهذه ملاحظة جيّدة تنفي عن التصوّف تهمة الباطنية بمعناها السلبي (3)، إذ يتأسس البناء الصوّفي كما سنراه عند المحقّقين من أربابه على الظاهر والباطن أو الشريعة والحقيقة أو ببساطة الفقه والتصوّف، ولا شكّ أن القراءة المتعمقة تخلص بنا من الناحية العرفانيّة إلى القول بوجود عالم كبير هو الكون وعالم أكبر هو الإنسان.

أقف بعد هذه الملاحظات للتعريف بعلم التصوّف ولكن دون أن تخلو هذه الوقفة من بحث الظاهر والباطن انطلاقاً من الملاحظة الأخيرة التي سقتها.

إنّ علم التصوّف علمٌ شرعيٌّ حادثٌ في الملة على حدّ تعبير ابن خلدون (4) شأنه شأن بقية العلوم والمباحث الإسلامية. ولا أحبّ أن أقف عند مختلف الاشتقاقات اللغويّة التي يرجع الصوفيّة وغيرهم إليها فلا يكادُ يخلو منها كتاب اشتغل بهذا الشأن. ويمكن إيجازها بما ذكره الكلاباذي في (التعرّف

(1) د/ نصر حامد أبو زيد، فلسفة التلويل، الطبعة الأولى، دار الوحدة، دمشق 1983، ص 197.

(2) نفس المصدر ص 195.

(3) كتب الإمام الغزالي (فضائح الباطنية) وهم غلاة الشيعة خاصة لحملهم عقائد تهتم أسس الدين يزعمون توارثها عن الأنمة من آل البيت إلى حين خروج الإمام الغائب المعصوم. وعقائد الباطنية مبثوثة في كتب الفرق.

(4) ابن خلدون، المقننة، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ج 2، ص 584.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لمذهب أهل التصوّف⁽¹⁾، وهي الصّفاء والصّف والصّفة والصّوف والصّفوة.

وتكلّف بعضهم⁽²⁾ كلمة سوفوس أو صوفيا اليونانية التي تعني الحكمة، ومنها ترجمت الفلسفة إلى حبّ الحكمة. والذي تستيقنه نفسي هو أنّ التصوّف كما قال ابن خلدون ومن قبله الكلاباذي - وهو رأي زكي مبارك من المعاصرين -⁽³⁾ مشتق من الصّوف.

قال أبو عليّ الرّوذباري وقد سنل عن الصّوفي: هو من لبس الصّوف على الصّفاء وأطعم البطن إطعام الجفاء، وترك الدنيا خلف القفا وسلك سبيل المصطفى صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾، وقد استأنس الصّوفية في اختصاصهم بلبس الصّوف بأثار من هدي الأنبياء والصّالحين يضيق المجال عن حصرها⁽⁵⁾. وذكر القشيري صاحب (الرّسالة)⁽⁶⁾ وهو أحد الأئمة المعتمدين في هذا العلم في تفسيره أنّ الصّوفي مركب من أربعة حروف فالصّاد صبره وصدقه و صفاؤه والواو وجده وودّه و وفاؤه،

(1) أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرّف لمذهب أهل التصوّف، تحقيق محمود أمين النّواوي، الطبعة الثالثة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1992.

(2) كثيرا ما تستند الفرق المعادية للتصوّف إلى هذه الحجّة، وهي حجّة تردّها أدلة البحث العلمي، ووصفها الدكتور زكي مبارك بأنها " ضرب من الإغراب " في المصدر اللاحق ص54.

(3) د/ زكي مبارك، التصوّف الإسلامي في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية - بيروت بدون تاريخ، ص48.

(4) الكلاباذي، التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص 32.

(5) هي أحاديث وأثار مبنوثة عند أكثر الصّوفية الذي كتبوا في هذا المبحث.

(6) القشيري، الرّسالة القشيرية في علم التصوّف، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والفاء فقره وفقده وفناؤه والياء ياء النسبة بها " أضيف إلى حضرة مولاه " (1).

وإذا نظرنا إلى الكتب التي تناولت الفرق الإسلامية بالبحث (2) لا نكاد نجد في واحد منها اعتبار الصوفية فرقة ذات فهم عقائدي خاص وهذا حكم جيد في نظري. وقد علل الرآزي عدم إدراج الصوفية ضمن الفرق الإسلامية بأن طريقهم التصفية والتجرد من العلائق البدنية " وهذا طريق حسن " (3) وإن كان قد ذكر لهم ست طوائف (4). أما السبكي فإنه حين وصل في كتابه (جمع الجوامع) (5)، إلى الحديث عن عقائد أهل السنة والجماعة فإنه قال " إن طريق الجنيد وصحبه طريق مقوم " (6).

و حصر حجة الإسلام الغزالي أصناف الطالبين للمعرفة في أربع طوائف اعتقد أن الحق لا يعدها (7) وهي:
1- المتكلمون وهم أهل رأي ونظر.

(1) القشيري لطائف الإشارات ، تحقيق د إبراهيم بسيوني، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981 ج I ص 146

(2) كالفرق للبغدادى أو (الملل والنحل) للشهرستاني و (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم.

(3) نقلا عن د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي ص 36.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) في فصل عقائد أهل السنة والجماعة، نقلا عن المصدر السابق صص 39-40.

(6) في فصل عقائد أهل السنة والجماعة، نقلا عن المصدر السابق صص 39-40.

(7) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق د/ عبد الحلیم محمود، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، 1988. ص 335.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- الباطنية وهم يدعون الاقتباس الخاص من الإمام المعصوم.

3- الفلاسفة وهم أهل منطق وبرهان.

4- الصّوفية وهم خواص الحاضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة⁽¹⁾.

وقد جعل الإمام الغزالي بعد رحلته في البحث عن الحقيقة المعرفة الحقيقية في طائفة الصوفية. وسيمرّ معنا إن شاء الله بعض من كلامه في طيّات هذا الكتاب.

وذكر السراج الطوسي في كتابه المشهور (اللمع)⁽²⁾ أن الأصل في جميع ما تكلم به الصّوفية من العلوم أربعة أحاديث هي:

1- حديث جبريل - عليه السلام - حين سأل رسول الله (ص) عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك⁽³⁾.

2- حديث عبد الله ابن عباس حين قال له رسول الله (ص) يا غلام احفظ الله يحفظك⁽⁴⁾.

3- حديث وابصة: "الإثم ما حاك في صدرك"⁽⁵⁾.

4- حديث النعمان بن بشير: "الحلال بين والحرام بين"⁽⁶⁾.

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، حققه وقّم له د/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة القاهرة، مكتبة المثنى بغداد،

1960.

(3) رواه البخاري

(4) رواه الترمذي

(5) رواه مسلم

(6) رواه البخاري وابن ماجه

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهذا مؤذاه أن التصوّف الإسلامي يدور داخل فلك
الدين وهو بهذا الاعتبار محكوم بخاصيتين هما:

1- المواءمة المستمرة بين الذوق بأحواله ومقاماته
وبين أصول الدين وضوابطه التي تبقى فيصلا بين المستدرج
والمستقيم. وهذه الخاصية كان لها " أكبر الأثر في كلّ أنواع
التصوّف الديني " (1).

2- دراسة الفقه وبعض علوم الدين قبل الخوض في
عوالم الذوق (2).

والتصوّف ليس منطقاً عقلياً له مقدّمات يستلزم صدق
نتائجها ووحدها " بل هو معرفة ذوقية لدنية يهبها الله لمن
يشاء " (3) و " رسالة الماهية في الصورة والمحور في المحيط
" (4) وموضوعه " الذات العلية " (5) لذلك أثر عن الجنيد قوله
(6) إنّما هو تأديب وتهذيب وتذويب، فالتأديب محل الاستتار
وهو للعوام، والتّهذيب للخواص وهو التجلي، والتذويب
للأولياء وهو المشاهدة. وهو المعنى الذي كرّره حجة الإسلام
الغزالي في كتابه (روضة الطالبين وعمدة السالكين) حين

(1) عبد الحكيم حسّان، التصوّف في الشعر العربي، مطبعة الأنجلو - مصرية
- القاهرة 1954. ص 19.

(2) سنعرض لهذه القاعدة عند ذكر قواعد الشيخ زروق ضمن اللغة الحكيمية.

(3) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوّف الإسلامي، ص 502.

(4) سيد حسين نصر، الصوفية بين أمس واليوم، ص 45.

(5) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم بشرح الحكم، تقديم محمد أحمد حسب الله، دار
المعارف بمصر، القاهرة 1985. صص 18 - 331. الطبعة الأولى، دار الكتب

العلمية ببيروت 1986

(6) المنهورودي، عوارف المعارف.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ذكر أنّ مباني الطريق الصوّفي " اجتهداً وسلوك وسيرٌ وطيرٌ"
(1)»

فلاجتهاد حقائق الإسلام والسلوك حين يتحقق العبد حقائق الإيمان والسير تحقق بحقائق الإنسان أمّا الطير فهو " الجذبة بطريق الجود والإحسان إلى معرفة الملك المنان" (2)، فهو أشرف العلوم باعتبار شرف موضوعه وهو الله جلا جلاله، فلا عجب أن يكون هو " علم التقوى" (3) الواقعة " بين الخوف والرجاء" (4)، " علم الصديقين" (5).

و " العمل الواقع على وجه الإخلاص لا غير" (6) أوّله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة " فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على الطلب والموهبة تبلغ غاية الأمل" (7) وأصحابه بهذا الترتيب مريد طالب ومتوسط سائر ومنتته واصل وهو العارف بالله تعالى (8) قال السراج: " وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له وهو علم

(1) أبو حامد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة، بيروت، بدون تاريخ، ص37.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) د/ محمد جلال شرف دراسات في التصوّف الإسلامي، ص135.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، مؤسسة خلدون للدراسات والنشر عمان 1990، ج1، ص354

(6) عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق طه عبد الباقي سرور ومحمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف بيروت

1985 ج1، ص97.

(7) الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين ص31.

(8) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوّف وعلم الأحوال وعلم المعاملات أيّ ذلك شنت فمعناه واحد⁽¹⁾. وهذه التسميات جميعها تصبّ في محيط واحد هو المعرفة الإلهية ولذلك كان الصوّفي هو وحده " من يعي أسرار التوحيد " ⁽²⁾ وهو الواصل إلى إحدى المراتب التالية:

1- شهود ربّ وعبد " وهو أعلاها " ⁽³⁾

2- شهود ربّ حاضر وعبد غائب

3- شهود ربّ غائب وعبد حاضر

4- شهود ربّ وعبد غائبين ⁽⁴⁾.

وهذه المراتب الأصليّة مندرجة تحت مقام الإحسان المذكور في الحديث النبويّ الصّحيح⁽⁵⁾، ومنه سمّي التصوّف علم الإحسان وهو ذوق محض أنتجته " تجليات على القلب عند غلبة سلطان الوجد وحالة الفناء بالوجود " .

وهذا الدّوق العالِي يعطي علومًا " غير مقتنصة من الألفاظ ولا من أفواه الرّجال ولا من بطون الدّفائر والطّروس " ⁽⁶⁾ وهي متفاوتة في عمقها " على حسب الحضرة التي يقع التنزّل فيها " ⁽⁷⁾.

(1) السراج، اللمع، ص 457.

(2) سيد حسن نصر، الصّوفية بين المس واليوم، ص 53.

(3) عبد القني النابلسي، أسرار الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1985، ص 289

(4) المصدر نفسه، نفس الصّفحة.

(5) رواه البخاري من طريق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(6) ابن العربي، كتاب المسائل من رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج 2، ص 6.

(7) نفس المصدر، نفس الصّفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ومعنى كون هذا العلم يحصل من طريق الدّوق يقودنا إلى استنتاج مهمّ هو أنّ التجربة الصّوفية تجربة ذاتية تحصل " بالحرقة لا بالخرقة " .

وإن كان ابن خلدون قد نقد متصوفة زمانه حين رأى أنّ الأمر " بدأ حرقة و انتهى خرقة " (1) يعني مظهرا لا مخبر من ورائه. والفرق بين الدّائق وغيره هو عينه بين التّائحة والتّكلى قال الغزالي: " فرق بين أن تعرف حقيقة الزّهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزّهد وعزوف النفس عن الدنيا " (2) فلا بدّ من مكابدة الأحوال وهذا أمر لا يوصل إليه إلا بطريق الصّوفية (3) لأنهم أرباب أحوال لا أرباب أقوال بل إنهم أصحاب التحقّق الكامل بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسيرهم في مقامات الإسلام والإيمان والإحسان على حدّ تعبير الشيخ سعيد حوى من المعاصرين (4). وهو نفسه القائل بأنّ علم التّصوّف قام " من أجل تّدوق العقائد الإسلامية (5) وهذا الدّوق فوق العلم لأنّ العلم قياسٌ والدّوق وجدان (6) والعلم برهانه في نفسه فمدّعيه مُصدّق

(1) الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة د/إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية، بيروت 1980، ص245. يقول ابن خلدون في (المقدمة) فصل التّصوّف بدأ التّصوّف حرقة وانتهى خرقة.

(2) الغزالي، المنقذ من الضلال، ص374.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) سعيد حوى، تربيّتنا الرّوحية، مطبعة رحاب الجزائر، بدون تاريخ، ص47.

(5) نفس المصدر، ص39.

(6) أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار، مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986، ص36.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

باختباره مكتب باختلاله، والدوق علمه مقصور على ذائقة " فدعواه ثابتة بشواهد حاله كاذبة بها " (1) خذ مثلا علمك بأن النار تحرق فهذا علم يقين أما إبصارك إياها وهي تحرق فهذا عين يقين وأعلى من هذا درجة حقّ اليقين وهو أن تضع يدك فيها فحرقك. وقد فرق ابن عربي في (مواقع النجوم) (2) بين العلم الرّسمي - اشتقاقا من الرّسم وهو الأثر أو الطلل - ومنه علوم النظر وعلوم الخبر والأحكام الشّريعة ومصطلحات العقائد وبين العلم التّوقي وهو علم نتائج المعاملات والأسرار وهو نور يقذفه الله تعالى في قلبك " تقف به على حقائق المعاني الوجودية وأسرار الحقّ في عباده والحكم والمودعة في الأشياء وهذا هو علم الحال " الذي من أصول أربابه أنهم " لا يتكلمون إلا بما يشاهدونه ".

ولا يفوتني أن أشير إلى أنّ التصوّف ليس بديلا عن الكتاب والسنة كما يحاول أن يدّعي ذلك المتحاملون عليه بل هو مشيد بالكتاب والسنة كما قال الإمام الجنيد (3)، وانظر إلى

(1) زدوق الفاسي، قواعد التصوّف، مراجعة محمد زهري النجار، المكتبة الأزهرية للتراث 1997، القاعدة 197، ص123.

(2) ابن عربي، مواقع النجوم ومطلع أهلة الأسرار والعلوم، طبع محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة 1965، ص 18، وطبع الكتاب ضمن مجموعة رسائل ابن عربي، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت 2000 ص3. 2 نفس المصدر، نفس الصفحة.

3 الشعراني الأنوار القلمية في معرفة قواعد الصوفية ج 2 ص 198 (3) الجنيد بن محمد، تسميه الصوفية سيّد الطائفة، ولد ببغداد وبها توفي سنة 297هـ ضبط علم التصوّف بالكتاب والسنة. أجمع علماء الإسلام على عدالته ولا يخلو كتاب في التصوّف من ذكره.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إمام المدرسة الشاذليّة⁽¹⁾، يقول " إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إنّ الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام"⁽²⁾ بل إنّك إن رددت الكشف المخالف للكتاب والسنة فاعلم " أنّ ما فعلته هو عين التصوّف "⁽³⁾ .
وليس تقسيم الصوفيّة الدّين إلى شريعة وحقيقة⁽⁴⁾ فصلا لحقائق الدّين عن بعضها بل هو وفاء لروح الدّين نفسه " فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو قل الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمانر والحقيقة لإصلاح السرائر "⁽⁵⁾ وهي نفس المراتب المذكورة في حديث الإسلام والإيمان والإحسان الذي مرّ ذكره معنا.

وما أحسن قول الشيخ سعيد حوى في كتابه (تربيتنا الروحية): " إنّ السّير العملي الصحيح في هذا العلم هو في الحقيقة سير للوصول إلى العقل الشرعي "⁽⁶⁾ ولا مانع بعد ذلك من تعدّد الأذواق وكثرتها بل لا تنتهيها داخل مقام الإحسان ويعود ذلك إلى " كثرة التجليات الإلهية بحيث لا تكاد

(1) نعرّف بالإمام أبي الحسن الشاذلي في مبحث اللغة.

(2) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم بشرح الحكم، ص 463.

(3) سعيد حوى، تربيتنا الروحية، ص 60.

(4) الشريعة هي ظاهر النص والحقيقة هي تأويله وسنقف مع هذا المعنى في مبحث الظاهر والباطن.

(5) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 25.

(6) سعيد حوى، تربيتنا الروحية، ص 56.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تدخل تحت جنس ولا نوع. يعرف هذا أصحاب الذوق والشهود " (1) ومن قال عكس هذا فقد ضيقَ واسعاً. والجامع للشريعة والحقيقة هو الشرع أي الدين. ومن هنا ردّ ابن عربي مثلاً أباطيل قوم تخيلوا مخالفة الشريعة للحقيقة " و هيهات لما تخيلوه بل الحقيقة عين الشريعة فإن الشريعة جسم وروح فجسمها علم الأحكام، وروحها الحقيقة فما تمّ إلا شرع " (2) وعلى المتصوف الحق أن " لا يدع الشريعة تعرّض عليه في شيء من أحواله " (3) بل إن " النتيجة العادية للمعرفة الذوقية لله عزّ وجلّ هي الالتزام الكامل بأحكامه " (4). قال في " الجواهر " التصوف هو امتثال الأمر واجتتاب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث يرضى (5).

(1) النابلسي، أسرار الشريعة، ص289.

(2) ابن عربي، كتاب التراجم من رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص28.

(3) الشعراني، الأنوار القدسية، ج1، ص78.

(4) سعيد حوى، تربيتنا الروحية، ص64

(5) علي برآده، جواهر المعاني، دار الجيل، بيروت، 1988، ج2، ص74.

الفصل الثاني

[2]

النصّوف : الظاهر والباطن

التصوّف الإسلامي
من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ لفظي الظاهر والباطن قرآنيّان ورد بهما الآي الكريم في مواضع متفرقة منها قوله تعالى:

- 1- (وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) (1)
- 2- (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) (2)
- 3- (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) (3)
- 4- (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْبَائِمِ وَبَاطِنَهُ) (4)
- 5- (فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) (5)
- 6- (وَأَسْتَبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةَ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ) (6)
- 7- (فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) (7)
- 8- (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (8)

والمعنى المستفاد منها جميعاً أنّ لحقائق الأعمال ظاهراً وباطناً كما أنّ الله سبحانه وتعالى سمّى نفسه الظاهر والباطن. وهذا الاستنتاج يقودنا إلى القول بأنّ حديث الصوفيّة

(1) سورة الأنعام، الآية 151.

(2) سورة الأعراف، الآية 33.

(3) سورة الحديد، الآية 3

(4) سورة الأنعام الآية 120.

(5) سورة الحديد الآية 13

(6) سورة لقمان الآية 20.

(7) سورة الكهف الآية 22.

(8) سورة الروم الآية 7.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عن علم الباطن هو حديث له عماد قويّ يمتدّ إلى الوحي المنزل.

والمعنى البسيط لصفتي الظاهر والباطن ما ذكره فخر الدّين محمد بن عمر الخطيب الرّازي⁽¹⁾ في كتابه "لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات" ⁽²⁾، حيث رأى أن الظاهر يحتمل في حق الذات العليّة وجوها:

1- وجه الغلبة لقول العرب ظهر فلان على فلان بمعنى غلبه وقهره.

2- وجه العلم المحيط اشتقاقا من قولنا ظهرت على سرّ فلان أي اطلعت عليه.

3 - وجه تعدّد البراهين على وجوده.

واستشهد الرّازي بكلام الإمام الغزالي "إنما خفي لشدة ظهوره ونوره وهو حجاب نوره"⁽³⁾.

وبرأي الرّازي فإن اسم الباطن كصفة حسنى معناه:

1- إن كمال كون الحقّ ظاهرا صار سببا لكونه باطنا. وضرب مثلا - والله المثل الأعلى - بالشمس التي عرف الناس عند غروبها أنها سبب في إنارة الكون " فسبحان من اختفى عن العقول بشدة ظهوره واحتجب عنها بكمال نوره " ⁽⁴⁾.

(1) فخر الدّين محمد بن عمر الخطيب الرّازي 606/544 هـ الموافق 1149 / 1209 م فقيه شافعي أشعريّ العقيدة له تليف في الأصول والمعقولات.
(2) الفخر الرّازي، لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات، المكتبة الأزهرية للتراث 1420 هـ / 2000 م.

(3) المصدر السابق، ص320، وماسوق كلام الغزالي كاملا فيما يستقبل.
(4) المصدر نفسه، ص320، هذه الجملة للإمام الغزالي من كتابه (المقصد الأسمى)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 2- إنَّ الخلق لا يعلمون كنه حقيقته.
- 3- إنَّ الأبصار لا تحيط به لقوله (لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأبصارَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ)⁽¹⁾.
- 4- إنّه يعلم بواطن الأمور.
- 5- إنّه تعالى حجب بصفة البطون الكافر عن رؤيته⁽²⁾ ويرى ابن عربي أنّ الاسم الظاهر الإلهي يعطي

(1) سورة الأنعام ، الآية 103.

(2) قال محقق " لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات " الدكتور طه عبد الباقي سعد في مقدمة التحقيق ص3: " ولقد اطلعت على كل ما كتب في الأسماء والصفات سواء ممّن سبق هذا الإمام كالغزالي مثلا أو عشرات الكتب التي كتبت بعده، فوجدته بحمد الله قد برز من سبقوه وتقدم في علمه وبحثه عن خلفوه " وأنا أخالفه في كون الفخر الرازي قد برز الغزالي في هذا المضمار ، وإن كنت أجلّ الإمام الرازي وأعتبر فخر الدين بحق لظو مقامه في المعقول والمنقول وها أنذا أسوق كلام الإمام الغزالي في معنى الاسمين الظاهر والباطن بدون تصرف للبرهنة على ما أقول. قال الإمام الغزالي: " هذان الوصفان - أي الظاهر والباطن - من المضافات فإن الظاهر يكون ظاهرا لشيء وباطنا لشيء، ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجه واحد بالإضافة إلى إدراك، وباطنا من وجه آخر. فإنّ الظهور والبطون إنما طلبا من إدراك الحواس وخزانة الخيال فإن قلت أما كونه باطنا بالإضافة إلى إدراك الحواس فظاهر، وأما كونه ظاهرا للعقل فغامض، إن الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف الناس في إدراكه وهذا ما وقع فيه الربيب لكثير من الخلق فكيف يكون ظاهرا؟ فاعلم أنّه إنما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره، وظهوره بسبب بطونه ونوره هو حجاب نوره، وكل ما جاوز حدّه انعكس لصدّه.

ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستبعده ولا تفهمه إلا بمثال فأقول لو نظرت إلى كلمة واحدة كتبها كاتب واحد لاستدللت بها على كون الكاتب عالما قانرا سمعيا بصيرا، واستدللت منه اليقين بوجود هذه الصفات، بل لو رأيت كلمة مكتوبة يحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها عالم، قانر سمع بصير حي،

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ولم تدل عليه إلا صورة كلمة واحدة، وكما شهدت هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب فما من نرة في السموات والأرض من فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف إلا وهي شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدير دبرها وخصصها بخصوص صفاتها، بل لا ينظر الإنسان إلى عضو من أعضاء نفسه وجزء من أجزائها ظاهرا وباطنا، بل إلى صفة من صفاته وحالة من حالاته التي تجري عليها قهرا بغير اختياره إلا ورأها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها، وكذلك كل ما يدركه بجميع حواسه في ذاته وخارجا من ذاته، ولو كانت الأشياء مختلفة في الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلًا للجميع ولكن ما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت وغمضت لشدة الظهور. ومثاله أن أظهر الأشياء ما يدرك بالحواس وأظهرها ما يدرك بحاسة البصر، فأظهر ما يدرك بحاسة البصر نور الشمس المشرق على الأجسام الذي به يظهر كل شيء، فما به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا؟

وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا: "الأشياء المتلونة ليست فيها إلا لونها فقط من سواد وحمرة، فأما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مقارن للون فلا.

وهؤلاء إنما تتبها على قيام النور بالمتلونات بالفرقة التي يدركها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار.

فإن الشمس لما تصور غيبتها بالليل واحتجابها بالأجسام المظلمة بالنهار انقطع أثرها عن المتلونات فأدرك التفرقة بين المتأثر المستضيئ بها وبين المظلم المحجوب عنها، فعرف وجود النور بعدم النور.

وإذا أضيف حالة الوجود إلى حالة العدم فأدركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين ولو أطبق نور الشمس كل الأجسام الظاهرة لشخص من الأشخاص ولم تغيب الشمس حتى يدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيئا مذكورا موجودا زاندا على الألوان مع أنه أظهر الأشياء بل هو الذي يظهر جميع الأشياء.

ولو تصور لله تعالى وتقدس عدم أو غيبة عن بعض الأمور لانهدمت السموات والأرض وكل ما انقطع نوره عنه، ولأدركت التفرقة بين الحالتين وعلمت وجودها قطعا. ولكن لما كانت الأشياء كلها متعلقة في الشهادة والأحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخفائه.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الصّور في العالم كئنه والباطن يعطي المعاني التي تسترّها الصّور الظاهرة⁽¹⁾ انطلاقاً من كون الوجود الواحد له ظهور وهو العالم ويطون وهي الأسماء وبرزخ جامع فاصل بينهما يتميّز به الظهور عن الباطن وهو الإنسان الكامل. فالظهور مرآة الباطن والباطن مرآة الظهور وما كان بينهما فهو مرآة لهما جمعاً وتفصيلاً⁽²⁾ أي أنّ الظاهر الحق عين باطن الإنسان

فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخطي عليهم بشدة ظهوره، فهو الظاهر الذي لا يظهر منه وهو الباطن الذي لا أبطن منه.

لا تتعجب من هذا في صفات الله تعالى فإن المعنى الذي به الإتمان إنسان ظاهر، فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرئية المحكمة، باطن إن طلب من إدراك الحسن. (الإمام أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، دار الكتب العظمى، بيروت، بدون تاريخ، صص 106 – 107.

(¹) ابن عربي، الفتوحات، ج4، ص214.

(²) إن ظهور الإنسان بحقائق الأسماء هو الذي يعطيه هذا الموقع البرزخي بين صفتي الظهور والباطن تأسيساً لمذهب الوجود الواحد عند الشيخ الأكبر، يقول ميشال شودكيفيكس Michel CHODKIEWICZ في كتابه (un océan sans rivage) :

Barâsikh est le pluriel de barzakh terme coranique que l'on traduit souvent par isthme et qui plus généralement désigne tout lieu médian, tout état intermédiaire, tout ce qui à la fois unit et sépare deux choses. Il s'applique ainsi, dans le vocabulaire du soufisme au monde imaginal qui est situé entre le monde des esprits et le monde des corps et on l'emploie également pour nommer le statut posthume des êtres entre la mort et la résurrection. M.Chodkwicz, un océan sans rivage, éditions le SEUIL PARIS 1992.P111.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والباطن الحقّ عين ظاهر الإنسان باعتبار الإنسان هو العالم الأكبر الذي هو عند التحقيق مجلى الصفات الإلهية.

وبرأي سيد حسين نصر فإن البقاء في نطاق الظاهر وحده إنما هو خيانة لطبيعة الإنسان ذاته لأنّ مبرر وجوده إنما هو السفر من الظاهر إلى الباطن، من محيط دائرة الوجود إلى مركزها الذي لا يرتقي إليه الإدراك. وهذا السفر من المبنى إلى المعنى هو التصوف لأنّ النفس الإنسانية ذات صلة وثيقة بالنظام الكوني، وتطهيرها هو رحيل بها إلى ما وراء هذا النظام حيث " الحضور الإلهي الذي هو بكامله نحن وبجملته سوانا في آن واحد " (1).

وقد خلص إلى نتيجة هي في تقديري اختصار مفيد وبلغ لمفهوم الباطن عند أهل السنة حيث قال " إنّ الاتجاه الباطني في الإسلام أو مذهب العرفان انتهى في العالم السنّي إلى نظام التصوف " (2) وستكون لنا وقفة مع مفهوم العرفان حين نصل إلى مبحث المعرفة في إشكالية المنهج عند الصوفية.

إن كبار أئمة التصوف بناء على كلّ ما مرّ لا يجدون حرجاً في الحديث عن الباطن بالمعنى الذي مرّ معنا. فالستراج الطوسي مثلاً يرى أنّ علم الباطن هو علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة وهي القلب، لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَلَوْ رَتَّبْنَاهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

(1) سيد حسن نصر، الصوفية بين الأمس واليوم ص 35.

(2) نفس المصدر، ص 126.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لَعَلِمَةُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿١﴾ و العلم المستنبط في رأيه هو علم الباطن وهو علم أهل التصوّف لأنّ لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك^(٢). وهو نفس كلام الإمام القشيري في لطائفه إذ يرى أنّ هناك أفهاما باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه. ولا إحالة في هذا بل الإحالة لو قال قائل لا معنى للآية^(٣). وقد علل الإمام الغزالي نفور الناس من اجتهادات الباطن بكون حشوية العلماء اشتغلوا بطلاء الظاهر بخلاف علماء الآخرة الذين اشتغلوا بتطهير الباطن فترى الأكثر من الخلق قد فزع إلى الأعمال الظاهرة " لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب " ^(٤).

إنّ باطن الإنسان هو " بيت الاحتراق على الدوام " ^(٥) لأنّ المدد الإيماني فيه ومنه وعلى قدر المعرفة بالله عزّ وجلّ تكون قوّة الباطن ولذا كان دور الشيخ المرّبي في الطّريق الصّوفي هو العبور بالمرید من " ظاهر الفعل إلى باطنه " ^(٦) للتحقق بكمال الفعل الإلهي في الوجود. قال الشعراني " وأمّا المرید فإنّما عمله الدائم في تنظيف ظاهره وباطنه عن الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله عزّ وجلّ كالغضب وعزّ النفس والكبر والعجب والحسد ونحو ذلك، فإذا تطهّر المرید من هذه الصفات فهناك يصلح له تلاوة القرآن ومجالسة الحقّ جلّ وعلا

(١) سورة النساء الآية 83

(٢) السراج، اللمع، ص 44.

(٣) القشيري، لطائف الإشارات، ص 120.

(٤) الغزالي، الإحياء، ج 1، ص 52.

(٥) الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج 1، ص 116.

(٦) نفس المصدر، ج 2، ص 173.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والوقوف بين يديه في الصلاة وغيرها⁽¹⁾ ولا تعني هذه الإشادة بالباطن إطلاقاً إهمال ظاهر الأعمال الذي هو الشريعة، فإن المشتغل بالعلوم الباطنة فقط إذا لم يتقن علوم الظاهر فهو بمثابة من "يرى سرايا فيحسبه سرايا" ⁽²⁾. والعلوم الظاهرة هي "كالبذر لثمار المعارف والحقائق" ⁽³⁾.

أختم بعد هذه الوقفة القصيرة مع علمي الظاهر والباطن بهذه الجملة من الاستنتاجات:

1 - إن الظاهر والباطن مصطلحان قرآنيان وردا بمعنى صفتين حسنيين لله عز وجل وبمعنى ظاهر الأعمال وبواطنها.

2- يوجد مجتهدون في طريق الباطن وهم شيوخ التربية الصوفية كما يوجد مجتهدون في طريق الظاهر الآخرون من الفقهاء وقد اشتغل الأولون بالحقيقة كما اشتغل الآخرون بالشريعة.

(1) نفس المصدر، ج 1، ص 69.

(2) و (2) عبد القوي النابلسي، أسرار الشريعة ص 199. يقول النابلسي قبل هذه الصفحة وتحديداً في ص 148 " إن الأكوان جميعها في القلوب، وليست القلوب في الأكوان. والبواطن أوعية الظواهر وليست الظواهر أوعية البواطن، فمن نظر إلى الظواهر نظر إلى المظروفات، ومن نظر إلى البواطن، نظر إلى الظروف. وانت (الإنسان) إنما جنت من باطنك إلى هذا العالم لا من ظاهره إليه، فأحذر من تلبسات الشيطان حيث علمت مزية الباطن على الظاهر وهو المنبب لاختصاصه بالعقيدة بخلاف اللسان".

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 3- لا ينتقل الإنسان إلى المراسم الباطنة قبل أن يمرّ بالمراسم الظاهرة⁽¹⁾. ويعجبني قول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه " الغنية" عند قوله تعالى (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)⁽²⁾ إن الظاهرة تسوية الخلق (بفتح الخاء) والباطنة تصفية الخلق (بضمّ الخاء)⁽³⁾.
- 4- إنّ العقل هو لسان الظاهر و الذوق هو لسان الباطن.⁽⁴⁾
- 5- لا يفصل الظاهر عن الباطن فإنّ " من جاء إلى الحقّ بشيء جاء الحقّ به إليه وقال الظاهر والباطن أخوان مزدوجان لا ينفصلان فمن عرف الواحد عرف الآخر"⁽⁵⁾.
- 6- إنّ المعرفة الصوفية هي معرفة إلهية دائرة بين معنيي الفناء والبقاء " فالظاهر يفنيك والباطن يبقيك " ⁽⁶⁾
- قال ابن عربي جواباً للإمام الرّازي " العلوم ثلاثة، علم ظاهر نبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلا لأهله

(1) قال الشيخ زرّوق في كتابه (قواعد التصوف) " لا تصوّف إلا بلفقه إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصق وتوجّه، ولا هما إلا بإيمان إذ لا يصحّ واحد منهما دونه فلزم الجميع لتلازمها في الحكم كتلازم الأرواح والأجساد (قاعدة - 4)

(2) سورة لقمان الآية 20.

(3) عبد القادر الجيلاني، الغنية في الأخلاق الإسلامية والتصوف والآداب دار الألباب دمشق، بدون تاريخ ، ج 2، ص 193.

(4) أبو العلاء عفيفي، مقدّمة فصوص الحكم لابن عربي، ص 14.

(5) ابن عربي، كتاب الشّاهد، ص 17.

(6) سعيد حوّي، مذكرات في منازل الصنّيقين والربّيبين، ص 407.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وعلم هو سرٌّ بين العالم وبين الله هو حقيقة إيمانية لا يظهره
لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن." (1)

(1) ابن عربي، إلى الإمام الرازي ، ص 11

الباب الثاني

(II)

النَّفكيَّةُ المعرفيَّةُ لرمزيَّة المصطلح الصّوفي

التصوّف الإسلامي
من الرمز إلى العرفان

الفصل الأوّل

[1]

اللغة في القرآن

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ علاقة اللغة بالدّوق هي لبّ البحث في اللغة الصّوفيّة وهي لغة نحاول بحثها في أنماط ثلاثة هي :

1- التفسير

2- الشّطح

3- الرّمز.

مع التّركيز على المنحى الثالث باعتباره متصلا اتصالا وثيقا بسرّ الحرف والعدد ولكونه مفتاحا لمبحث السّيمائية في التصوّف الإسلامي.

وبهذا ننقل اللغة من مجرد نوع من أنواع التعبير الشّفهي إلى أساس للمعرفة.

إنّ اللغة تنقسم إلى:

1 - اللغة الطّبيعية وتشمل جميع الإشارات والحركات والأصوات التقليديّة والظواهر الجسدية التي تُصحب الانفعالات والأفكار. وقد سميت طبيعية لأنها لم تنشأ عن اتفاق مقصود أو وضع صريح.

2- اللغة الوضعيّة وهي الرّموز والإشارات المتفق عليها كرموز الجبر والكيمياء.

3- لغة الكلام وهي طبيعية ووضعيّة معا إذ أنّها نتيجة انقلاب الإشارات الطّبيعية إلى ألفاظ مفيدة⁽¹⁾. وإنّ علم التصوّف الإسلامي قد استقلّ بلغة خاصّة هي لغة الدّوق والرمز وواجهه إشكال هو الآتي: هل تستطيع اللغة أن تكون

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبّاني بيروت 1979، ج2، ص286

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وعاء للذوق؟ وجوابه أنّ الذوق أوسع من اللغة بكثير إذ هو جوهر العلاقة بين العبد وربّه باعتبار مداره على القلب فبأيّ وسع يستطيع الإنسان أن يتكلف نقل هذه الحقيقة الذاتية إلى قالب موضوعي؟ إنّ هذا الأمر يمثل إشكالا معرفيًا حقيقيًا لا نكاد نجد له جوابًا شافيًا فيما بين أيدينا من بحوث حول اللغة. فهذا ريكان مثلًا في كتابه " منهج جديد للدراسات الإنسانية " (1) يقدّم ملاحظتين غاية في الأهمية فيقول:

1- إنّ كثيرا مما قدّم على أنه نتاج المنهج العلمي يعدّ أمرا قابلا للمراجعة خصوصا وأنّ حيزًا لا بأس به من المسلمات العقلية ليس كذلك.

2- إنّ الإنسانية متوجّهة إلى اهتمام أكبر بالعلوم الروحية و " إنّ الفهم منهج صوفي " (2). والفهم غير الاستيعاب (3)

إنّه تبصّرٌ بالعمليات العقلية وهو " ضرب من الحدس أو ومضة ضوء خاطفة، " (4)، بالرغم من أنّهما - يعني الفهم والاستيعاب - " قد يعتبران في سياق آخر من العمليات التي تخضع للتحليل السيكلولوجي أو الإبتيمولوجي " (5). غير أنّ الإشارة إلى المعرفة الصوفية وكونها ضربًا من الحدس، لا يتطرق إلى مشكل اللغة، علمًا بأنّه يقصد

(1) ريكان ، منهج جديد للدراسات الإنسانية، ترجمة د/ علي عبد المعطي محمد و د/ محمد علي محمد، مكتبة مكاوي، الطبعة الأولى بيروت 1979.

(2) المصدر السابق، ص 144.

(3) الاستيعاب : compréhension

(4) المصدر نفسه، ص 144

(5) المصدر نفسه، ص 144

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بالتصوف ما يعرف في الغرب بـ (Mysticism) أي "التروحن" كمارسة إنسانية لا كتجربة ذاتية عند المسلمين تحديداً. بل إن أب المثالية الحديثة إيمانويل كانط E.Kant (1) بعد تقسيمه المنهج إلى :

1 - الحساسية المتعالية

2- المنطق المتعالي

3- علم المنهج المتعالي (2)

لا ينتقل بهذا المنهج إلى معنى اللغة المتعالية بل يقصره على العقل كأداة عليا بل كملكة للمعرفة بإطلاق وحتى لودفيج فتنجشتاين من جماعة فيينا فقد كان اشتغاله باللغة في إطار البحث عن أسس علمية جديدة لنظرية المعرفة إلا أنه لم يخرج عن دائرة المعنى حتى نسبت إليه فلسفة المعنى وصار الغرض من الفكر في نظره هو تحليل اللغة لأن " سوء فهم منطق اللغة هو الذي أدى إلى ظهور كثير من المشكلات الفلسفية" (3)

و للأمانة العلمية فقد استوقفتني كثيرا ما كتبه الدكتور نبيل علي عن اللغة في عصر المعلوماتية وهذا في بحث طويل هو عنوان لكتابه " الثقافة العربية وعصر المعلومات " (4)

(1) فيلسوف ألماني (1724 - 1804) من كتبه تاسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، نقد العقل النظري، نقد العقل العملي.

(2) د/ عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، الطبعة الأولى، للمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984 ج2، ص 273.

(3) د/ عزمي إسلام، لودفيج فتنجشتاين، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص 137.

(4) د/ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مطابع الوطن الكويت،

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فقد نقد في الفصل الخامس الذي عنوانه (ثقافة اللغة) نظرية سكينز الذي حاول إخضاع اللغة لثنائية المثير وردّ الفعل مغفلا الآليات التي تربط بين طرفي هذه الثنائية بخلاف دي سوسير و تشومسكي اللذين قالوا بأنه يوجد نسق معرفي كامن في العقل، يربط بين المؤثرات اللغوية (المدخلات) وردود الأفعال (المخرجات) ⁽¹⁾. وقد وضع الباحث جدولاً عنوانه " موقع اللغة على خريطة المعرفة " ⁽²⁾ فيه مواقع ثلاثة يعيننا منها واحد فقط هو نظرية المعرفة.

وبالرغم من قوله إن النصّ الدّيني حالة خاصّة من النصّ اللّغوي يتجاوز من حيث مبناه ومعناه وأثره حدود اللغة إلى ما بعدها وما فوقها وما وراءها ⁽³⁾، فإننا لا نجدّه يتوقف عند اللغة الوجدانية أعني لغة المتصوّفة مع أن حديثه عن النصّ القرآني يشهد له بتعمق المبحث اللّغوي وقد أجاد لما لخص أهمّ التوجّهات اللسانية وحصرها في:

1- التركيز على نظام اللغة الداخلي وعلى اللغة الواقعية المنطوقة.

2- التركيز على المعنى وصلته بالمقام اللغوي.

- التخلّص من الحرفي والمجازي بالنظر إليهما

كطرفين يربط بينهما مسار متصل.

3- النظر إلى اللغة في فضاء سيميولوجي ثلاثي

الأبعاد: الرمز- المعنى - مقام الحدث اللغوي.

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 248.

⁽²⁾ نفس المصدر، ص 253.

⁽³⁾ نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

4- التخلّص من المفهوم السائد بأن اللغة مرآة الفكر، حيث يمكن للفكر أن تكون له لغة رمزية أو أكثر خلاف اللغة الإنسانية.⁽¹⁾ ولا شك أن بحث اللغة الصوفية إنما يقع داخل حيز التوجّه الرابع وأعني به السيميولوجي بأبعاده المذكورة وهي الرّمز والمعنى والمقام اللغوي. خاصّة إذا علمنا ونحن نتحدّث عن النصّ اللغوي " أن نصوص العقيدة لا تقتصر بمعناها الواسع على الكتب السماوية فقط بل تشمل أيضا نصوص التفسير والتشريع والفتوى ومواثيق المذاهب والطوائف وحكم الفلاسفة وأقوال الحكماء ومآثر القديسين وسير الأقدمين وأساطير الأولين"⁽²⁾.

وعن علاقة الدين بالرمز يقول الدكتور نبيل علي إن الأنتروبولوجيا ترى الدين في عدة مظاهر هي :

1- الدين كنظام للمعتقدات والسلوكات والأخلاق .

2- الدين كنظام للأفكار والتوجهات

3 - الدين كطقوس وشعائر.

4- الدين كمؤسسة ثقافية اجتماعية

5- الدين كسنن وتشريعات

6- الدين " كنسق من الرموز يرسخ لدى الإنسان

حالات وجدانية ودوافع قوية وذلك من خلال تشكيل رؤيته الكلية عن الوجود والتسامي به إلى عالم الرّوحانيات والقيم والمثل العليا"⁽³⁾ والقرآن باعتباره النصّ الأصلي في الدين

(1) المصدر السابق، ص 462.

(2) نفس المصدر ، ص 455.

(3) نفس المصدر، ص 465.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الإسلامي هو " شفرات رمزية لا مجرد ألفاظ بل هو بيئة نصية مثالية لاختيار علاقة فك الشفرات بجنس النص وكيفية امتزاج أجناس النصوص. وهو أمرٌ بالغ بالنسبة لتكنولوجيا الوسائط المتعددة " (1)

إن القرآن الكريم استخدم ثلاثة مصطلحات للدلالة على معنى اللغة وهي اللسان والمنطق والأسماء. وجاء مشتق اللغة في سياق الذم في تسعة مواضع هي:

- 1- (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمَا نَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ) (2)
- 2- (لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَاتِكُمْ) (3)
- 3- (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُغْرَضُونَ) (4)
- 4- (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) (5)
- 5- (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) (6)
- 6- (لَا لَعْفَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمَ) (7)
- 7- (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا) (8)
- 8- (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا) (9)

(1) نفس المصدر، ص 465.

(2) سورة فصلت الآية 26

(3) سورة البقرة 225 و سورة المائدة الآية 89.

(4) سورة المؤمنون الآية 3.

(5) سورة الفرقان الآية 72.

(6) سورة القصص الآية 55.

(7) سورة الطور الآية 23.

(8) سورة مريم الآية 62.

(9) سورة النبا الآية 35.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

9- (لَا تُسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةِ) (1).

ولم يجر مصطلح اللغة نفسه إلا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح (لم يبعث الله نبياً إلا بلغه قومه) (2). أمّا مصطلح الكلمات الوارد في سبعة مواضع من القرآن الكريم فإنه جاء بمعنى الوحي وهذا في قوله تعالى:

1 - (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) (3).

2- (وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) (4).

3- (وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) (5).

4- (لَا تُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) (6).

5- (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) (7).

6 - (مَا نَقِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) (8).

7- (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) (9).

أمّا الثلاثة الباقية وهي الأسماء واللسان والمنطق فذات دلالة واحدة هي اللغة مع اختلاف محتوياتها. فقد جاء في الآية

(1) سورة الغاشية الآية 11.

(2) رواه مسلم، انظر أيضا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لـ أ.ي. ونسك، طبع دار الدعوة إستانبول بالاشتراك مع دار سحنون - تونس.

1988، ج 6 ص 130.

(3) سورة البقرة الآية 37

(4) سورة البقرة الآية 124.

(5) سورة الأنعام الآية 34.

(6) سورة يونس الآية 64.

(7) سورة الكهف الآية 109.

(8) سورة لقمان الآية 27.

(9) سورة التحريم الآية 12.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الواحدة والثلاثين من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾⁽¹⁾. هنا بمعنى العبارات فإن الاسم قد يطلق ويراد به المسمّى ثم أضاف " الصّحيح أنّ أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام والقرآن يشهد له⁽²⁾، ثم ذكر شواهد من الحديث الشريف وأقوال علماء الصّحابة تؤيّد هذا الوجه من التفسير الذي لا نجد من المفسرين من ذهب إلى خلافه ورد اللسان بمعنى اللغة في قوله تعالى:

1- (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) ⁽³⁾.

2- (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ⁽⁴⁾.

3- (هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) ⁽⁵⁾.

4- (لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) ⁽⁶⁾.

كما ورد مصطلح المنطق بمعنى اللغة مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) ⁽⁷⁾، أي لغتهم وهذا تحديناً بمعجزة آتاه الله إياها ⁽⁸⁾ أما بقية اشتقاقات

(1) سورة البقرة الآية 31.

(2) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن دار الكتب المصرية، 1967، ج 1، ص 284.

(3) سورة النحل الآية 103.

(4) سورة الشعراء الآية 195.

(5) سورة القصص الآية 34.

(6) سورة الأحقاف الآية 12.

(7) سورة النمل الآية 16.

(8) تصنف الخوارق الواجب اعتقادها في الإسلام إلى : الإرهاص والمعجزة والكرامة والإعانة والإهانة والاستدراج

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفعل الثلاثي نطق فتعني كلها تكلم سواء في المجاز كقوله تعالى: (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ)⁽¹⁾ أو في غير المجاز كقوله (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ)⁽²⁾. وقد استعار الصوفي الكبير فريد الدين العطار النيسابوري⁽³⁾ مصطلح المنطق الوارد في القرآن عنواناً لواحد من مؤلفاته الرمزية هو " منطق الطير"⁽⁴⁾ الذي قام بترجمته الدكتور بديع محمد جمعة من الفارسية إلى العربية مع مقدمة للأستاذ عبد التّعيم حسنين.

بعد هذا يحقّ لنا وقد عرفنا أن " الإسلام: إسلام وإيمان وإحسان " ⁽⁵⁾ وأنّ التصوّف هو مقام الإحسان من الذين أن نسال: بأيّ لغة عبّر الصوفية عن ذوق هذا المقام؟ والجواب على هذا السؤال: لقد استعمل الصوفية لغة خاصة في التعبير عن مواجدهم هي لغة التصوّف الإسلامي. فكما أنّ للمتكلمين مصطلحهم الكلامي وللفقهاء مصطلحهم الفقهي وللأصوليين مصطلحهم الأصولي فقد كان للصوفية مصطلحهم الصوفي ولكنه ليس سوى جزءاً من اللغة الصوفية التي تتّضمن المصطلح والشّطح والرمز والحرف والحكمة والتفسير ولا نكاد نجد نفس اليسر في مختلف مناحيها إذ أنّ التّعقيد هو سمتها

(1) سورة المؤمنون الآية 62 (ورش) 62 (حفص)

(2) سورة الأنبياء الآية 65.

(3) فريد الدين العطار النيسابوري (513/627 هـ) صوفي فارسي له باع كبير في الرمزيات الصوفية. كان من أتباع الشيخ نجم الدين كبرى . من مؤلفاته تذكرة الأولياء والديوان وأسرار نامه و منطق الطير.

(4) فريد الدين العطار، منطق الطير، ترجمة الدكتور بديع محمد جمعة، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة 1997.

(5) رواه البخاري

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الأساسيّة لأسباب سترد معنا لاحقا. يقول الدكتور أبو العلا عفيفي " إنّ لغة المنطق قاصرة عن أن تعبّر عن تلك المعاني الدوّية التي يدركها الصوفي في أحوال وجده فليس لديه إلا لغة الإشارة والرمز ولغة الخيال والعاطفة يومئ بها إيماء إلى تلك المعاني التي لا يدركها على حقيقتها إلا من ذاق مذاق القوم وجرب أحوالهم " (1). وهذا القول مفاده أمران:

1- إنّ اللغة عاجزة عن احتواء الدوّ الصوفي

2- إنّ لازمة اللغة الصوفية هي الإيماء والتعقيد

بالإضافة إلى أمر ثالث هو كون الدوّ مسألة ذاتية و السبيل إليها هو التجربة وحدها.

والحقّ أنّ هذا الكلام فيه كثير من الإنصاف للصوفية وإن كنت أجزم أنّهم قد يعمدون أحيانا إلى الغموض للتستر على أحوالهم فهذا الإمام القشيري (2) وهو علّم في التصوّف تعتبر رسالته مرجعا لا يستغني عنه باحث في هذا العلم يضع بابا بعنوان (في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها) يقول فيه عن الصوفية، إنّهم مستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجماع والتستر على من خالفهم في طريقتهم " لتكون ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة

(1) د/ أبو العلا عفيفي، مقنمة نصوص الحكم لابن عربي، دار الكتاب العربي، بيروت. 1980، ص19.

(2) عبد الكريم بن هوزان القشيري، صاحب الرسالة القشيرية المشهورة عند الباحثين في علم التصوّف.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بضرب تصرف بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم"⁽¹⁾ وهذا كلام صريح يعني:

1- إن الغرض من اللغة الصوفية هو تقريب

الفهم للصوفية أنفسهم.

2- إن الصوفية قد يتعمدون التعقيد اللغوي

للإبقاء على أسرارهم بكرة لا يفتضحها وهم وأهم.

3- إن التعقيد اللغوي ناتج عن عظمة الحقائق

الذوقية الواصلة إلى العبد من الحق سبحانه. ويذكر ابن عربي في (كتاب الفناء)⁽²⁾ من جملة (الرسائل الإلهية)⁽³⁾ أن الصوفية " ساترون للأسرار في ألفاظ اصطلاحوا عليها"⁽⁴⁾.

وقد بالغ الدكتور أبو العلا عفيفي حين جزم بأن ابن عربي يعتمد تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر لأغراض في نفسه إذ عباراته تحتمل معنيين على الأقل أحدهما ظاهر وهو ما يشير إليه ظاهر الشرع والثاني باطن وهو مذهب ابن عربي لأن " من يدرك مراميه لا يسعه إلا القول بأن الناحية الثانية هي الهدف الذي يرمي إليه"⁽⁵⁾ وقد تحولت لوقت بين صفحات الشيخ الأكبر فلم أجد البسيط الذي تحدّث عنه الدكتور عفيفي

(1) القشيري، الرسالة القشيرية، ص 31.

(2) ابن عربي، كتاب الفناء، من الرسائل الإلهية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ

(3) طبعت الرسائل تحت عنوان رسائل ابن العربي، دار إحياء التراث العربي

- بيروت بدون تاريخ مصورة عن طبعة حيدر آباد الذكن سنة 1361 و

تتضمن سبع عشرة رسالة أولها كتاب الفناء في المشاهدة) و آخرها كتاب (الشاهد)

(4) ابن عربي، كتاب الفناء في المشاهدة، ص 4.

(4) د/ أبو العلا عفيفي، مقدمة فصوص الحكم ص 17.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

للهم إذا كان يقصد أن المعاني الدائرة تحت الدوّق هي كذلك، ولا أخاله. ⁽¹⁾ ويشاطرنني الرأي الدكتور النجار الذي يرى أن عبارات المتصوّفة تحتمل عادة معنيين أحدهما لغوي ظاهر وهو ما يستفاد من ظاهر الألفاظ و الآخر ذوقي باطني وهو ما يستفاد " بواسطة التعليق و التعميق إذ الوصول إلى المعنى الذوقي الباطن أمرٌ شاقٌ " ⁽²⁾. ويعجبني تعليل ابن عربي نفسه في رسالة (منزل القطب) لصعوبة اللغة الصوفية حين يقول بأن أكثر العقول إنما تعرف الأشياء " بالحدود الرسمية واللفظية لأن الحدود الذاتية عسيرة المنال " ⁽³⁾، وبحق قال حجة الإسلام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) ⁽⁴⁾ إنّ الصوفية في ترقّيهم الروحي واقعون تحت حرج اللفظ الذي لا يفهم بوصف ذرة من أحوالهم فهم سائرون من مشاهدة الصور والأمثال " إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبّر أن يعبّر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه

(¹) تقول إيفادي فيتراي ميروفيتش :

" Les mystiques ont arrangé un langage que ne comprennent pas ceux qui n'ont pas leur expérience spirituelle, en sorte que l'ors qu'ils expriment leurs états ou stations celui qui est dans le même état comprend le sens de leurs termes mais celui qui n'y participe pas le sens lui en est interdit " Eva devitray Meyerovitch, Anthologie du soufisme Sindbad, Paris 1978, page 137

(²) الدكتور عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة 1990، ص 17.

(³) ابن عربي، منزل القطب من (الرسائل الإلهية) ص 3.

(⁴) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر 1988

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

(1) "إنّها جدليّة المنطق اللفظي والحال الدوّقي يضيق الأول بالأخير حتّى إنّ المعبّر عن معنى القرب - وهو مقام من مقامات السلوك - لا بد أن يخطئ التعبير "فتتخيل طائفة الحلول وطائفة الاتحادوطائفة الوصول وكلّ ذلك خطأ" (2) "لا يدخل تحت اسم ولا صفة" (3) كما قال الإمام الهجويري في كتابه (كشف المحجوب) إذ تفنى الدّرجات والمقامات "وتنقطع العبارة عن المعنى" (4)

إنّ الصوفي الذائق واقع بين العبارة والإشارة، والعبارة في التصوّف دون الإشارة قطعاً. ينقل الدكتور مصطفى محمود عن الإمام أبي العزائم قوله: "إن العبارة لا تفني ببيان المضمون من كلام العارفين إنّما هي أنوارٌ وإشارات تذوق النفس منها على قدر ما وهبها الله، إذ العبارة لا تكشف الحقيقة" (5). ويعجبني حديث الدكتور النجار في كتابه (التصوّف النفسي) عن "علم الإشارة" (6) الذي يعني في

(1) المصدر السابق ص 378

(2) نفس المصدر ص 379

(3) علي بن عثمان الجلابي الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة د/إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربيّة بيروت 1980 ص 256.

(4) نفس المصدر، ص 256، يقول الهجويري: "ثم إن أهل العبارة أرباب اللسان الذين كانوا يجهلون حقيقة هذا المعنى تكلموا في مجرد العبارة وقدموا واحداً وأخروا الثاني وكلاهما عبارة. وسارت تلك الجماعة لتحقيق المعاني وتخلّف هؤلاء في ظلمة العبارة" كشف المحجوب ص 256.

(5) مصطفى محمود، السرّ الأعظم، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ ص 12.

(6) الدكتور عامر النجار، التصوّف النفسي، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص 89.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

نظره " أن يشير - أي الصوّفي بقلبه إلى ربوبية الله ووحديته وعظمته وجلاله وقدرته وجميع صفاته وحقائق صنعته وفعله" (1) ومن هنا وجدنا لونا من ألوان التفسير لكتاب الله اسمه التفسير الإشاري ومنه تفسير (لطائف الإشارات) (2) للإمام القشيري صاحب (الرسالة القشيرية) التي مرّ ذكرها معنا. بل إننا كثيرا ما نجد أئمة التفسير من غير الإشاريين يقولون غير مرّة عند معنى من معاني القرآن الكريم فيقولون قال بعض أهل الإشارة يعنون بذلك الصوفية. (3) وهذه الإشارات التي نقف مع أمثلة عنها فيما يستقبل من بحث - ذكرنا لا حصرا - هي " إثراء وحي ولون من ألوان الكشف عن الإعجاز القرآني طالما أن الصوّفي يؤمن بالتفسير الظاهري للقرآن ولا يرى أن إشاراته تقوم مقام التفسير الظاهري لكتاب الله العزيز" (4) ردّا على بعض من نسبوا الصوفية إلى الباطنية المغرقة المتحللة من قيود الشريعة وراء فهم هو حربٌ على النص لا تفسير له كما هو شأن باطنية الشيعة مثلا (5).

(1) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(2) القشيري، لطائف الإشارات (في ثلاثة أجزاء) تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني، الطبعة الثانية مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1981.

(3) كما هو ميثوث في الجامع للقرطبي مثلا

(4) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص 134.

(5) يقول الشيخ زروق في القاعدة (195) (مراعاة اللفظ لتوصيل المعنى لازم كمراعاة المعنى في حقيقة اللفظ. فلزم ضبط المعاني في النفس ثم ضبط اللسان في الإجابة عنها، حتى إن الحقيقة الواحدة تقبل من رجل ولا تقبل من آخر بل وربما قبلت من شخص وردت من آخر مع اتحاد لفظها ومغناها) ص 122 من القواعد

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ الصوفية يستجيبون في إشاراتهم ⁽¹⁾ إلى قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) ⁽²⁾ فمن أراد الوقوف عند معنى واحد للنص القرآني فمعارض للنص ابتداء ولنعمتي العقل والدّوق انتهاء.

وأنى يكون للكلم الإلهي – المعجز لفظا ومعنى – وجه واحد والحق تعالى يقول: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) ⁽³⁾.
إنّ الصوفية حين عملوا بما علموا ⁽⁴⁾ ورثهم الله تعالى علم ما لم يعلموه " وهو علم الإشارة وعلم مواريث الأعمال الذي يكشف الله تعالى لقلوب أصفياه من المعاني المذخورة والأسرار واللطائف المخزونة وخرائب العلوم وطرانف الحكم في معاني القرآن" ⁽⁵⁾ وبضرب أمثلة من التفسير الإشاري نخلص إلى نتيجتين ذاتي خطر:

⁽¹⁾ تقول إيفا دي فيتراي ميروفيتش في كتابها (أنطولوجيا التصوف)

« Donc il est nécessaire de revêtir d'une forme le sens afin que ceux qui ne connaissent que la forme découvrent l'existence du sens et croient un peu à ce sens ».

Eva de Vitray Meyerovitch, Anthologie du Soufisme p 139.

⁽²⁾ سورة الكهف الآية 109

⁽³⁾ سورة لقمان الآية 27

⁽⁴⁾ قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) سورة البقرة الآية 282.

⁽⁵⁾ السراج، الملح، ص 147.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 1- إنّ الصّوفية لم يستبعدوا إطلاقاً التفسير الظاهر لكتاب الله وإنما أضافوا ألواناً من التفسير تستجيب لمعنى الآي الذي مرّ ذكره.
- 2- إنّنا لا نجد في إشارات الصّوفية ما يصادم أحكام الشريعة⁽¹⁾ وهذا أمر مهمّ بل حجة تدحض أدلة بعض المتحاملين على علم التصوّف الإسلامي.

(1) إنّنا لا نستريح إلى نسبة " تفسير القرآن الكريم " في جزأين ، لابن عربي طبع دار الأناضول ببيروت 1981 وقد جزم الدكتور عمار طالبي بأنه منحول عليه.

الفصل الثاني

[2]

الإشارة والعبارة

[التفسير الصوفي نموذجاً]

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يُنْقَلُ السراج في (اللمع) أن الشبلي (1) سئل عن قوله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) (2) فقال أبصار الرّؤوس عن محارم الله وأبصار القلوب عمّا سوى الله. (3) وعن قوله تعالى (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (4) فقال ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة. وعن قوله تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) (5) فقال يحو ما شاء من شواهد الرّبوبية ودلائلها. وأوصافها ويثبت ما يشاء من شواهد الرّبوبية ودلائلها. وقال النابلسي (6) في كتابه (أسرار الشريعة) (7) المسمى أيضا (الفتح الرباني والفيض الرحماني) عند قوله تعالى (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (8): هما سجدتان الأولى تسجد بك فيه والثانية أن تسجد بك فيك. سميت الثانية باسم الاقتراب ولم تُسمَّ باسم السجدة لأنَّ معها بدلت الأرض غير الأرض والسموات. وهي

(1) أبو بكر دلف بن جندر الشبلي ولد بسامراء سنة 247 هـ غلب عليه الشطح، له لفتات في الإشارة تدل على علو كعبه في عالم التصوّف.

(2) سورة النور الآية 30

(3) السراج، اللمع، ص 128/127.

(4) سورة غافر الآية 60

(5) سورة الرعد الآية 39.

(6) الشيخ الإمام عبد الغني النابلسي الدمشقي (1143/1050 هـ) كان نقشبنديا، قادريا، تزيد مؤلفاته على مائة وثمانية وثمانين أشهرها : جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص "

و " الفتوحات المدنية في الحضرات المحمدية "

(7) عبد الغني النابلسي، أسرار الشريعة تحليق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

(8) سورة الطق الآية 19.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

حقيقة قاب قوسين وعندها تذهب نقطة الغين عن العين.⁽¹⁾ ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلي⁽²⁾ في قوله تعالى (وَمَا يَلْكُ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)⁽³⁾: هكذا يقال للولي وما تلك بيمينك أيها الولي؟ فيقول هي دنياي أنفق منها على نفسي وأهلي وإخواني فيقال له ألقها فيجدها (حَيَّةٌ تُسْعَى)⁽⁴⁾ في هلاك قابضها فيأخذ حذره منها فإذا حذر منها يقال له (حُدَّهَا وَلَا تُخْفَ)⁽⁵⁾ فكما ألقاها أولاً بإذن حال بدايته فكذلك بإذن حال نهايته.⁽⁶⁾ وفي تفسير القشيري الموسوم (لطائف الإشارات) يقول عند قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ)⁽⁷⁾: العبادة موافقة الأمر وهي استفراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب، ويدخل فيه التوحيد بالقلب والتجريد بالسرّ والتفريد بالقصد والخضوع بالنفس والاستسلام للحكم⁽⁸⁾ وزاد بأن العبادة هي التجرد عن

(1) النابلسي، اسرار الشريعة ص 106.

(2) أبو الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار 656/593 هـ شيخه عبد السلام بن مشيش وتلميذه أبو العباس المرسي. إليه تنسب الطريقة الشاذلية أسماها الصّبر على الأوامر واليقين في الهداية. قال كتاب "الإحياء" بورث العلم وكتاب "قوت القلوب" بورث النور.

(3) سورة طه الآية 17

(4) سورة طه الآية 20.

(5) سورة طه الآية 21.

(6) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص 134.

(7) سورة البقرة الآية 21.

(8) القشيري، لطائف الإشارات ج 1، ص 67.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

المحضورات والتجسد في الطاعات ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة والتجافي عن منازل الكسل والاستهانة. (1)

وعند تفسير الخراب (2) يعثده إلى أربعة أضرب:

1- نفوس العابدين خرابها الشهوات

2- قلوب العارفين خرابها المني والعلاقات

3- أرواح الواجدين وخرابها الحظوظ والمسكانات

4- أسرار الموحدين وخرابها الالتفات إلى

القربات. (3) وهي معان لم يستق إليها (4).

وعن الصوم (5) يقول هو على ضربين: إمساك عن

المفطرات وصوم باطن هو " صون القلب عن الآفات ثم

صون الروح عن المسكانات، ثم صون السر عن الملاحظات "

(6) ثم يضيف " وعند أهل التحقيق فالرؤية عائدة إلى الحق.

فصومهم لله حتى شهودهم، وفطرهم لله، وإقبالهم على الله

والغالب عليهم الله" (7).

وفي قوله تعالى (صُمْ بُكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (8)، يرى

أنهم :

(1) القشيري ، لطائف الإشارات ج1، ص 67.

(2) في قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ

وسمى في خرابها) سورة البقرة الآية 114.

(3) القشيري، لطائف الإشارات ج1، ص 116.

(4) يحدث عن نفسه في ج1، ص 118 أنه " كشف له عن اللوح المحفوظ "

فقرأ فيه تفسير سورة التين الآية (7) وذلك حين كان يفكر في معناها .

(5) في قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) سورة البقرة الآية 183.

(6) القشيري، لطائف الإشارات، ج1، ص32.

(7) نفس المصدر، نفس الصفحة

(8) سورة البقرة الآية 18.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1- صمّ عن سماع الحق بأذان قلوبهم بكمّ عن مناجاة الحق بالسنة أسرارهم عمّي عن شهود جريان المقادير بعيون بصائرهم (1).

وحين وصل إلى قوله تعالى (فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (2)، قال بأن مخاطبات الأحباب لاتحتمل الشرح والتأويل لأنها على طريق الإشارة (3).

وفسر النعمة (4) فقال: أنعمت عليهم بحفظ الأدب في أوقات الخدمة واستشعار نعت الهيبة، فلم تطفئ شمس معارفهم أنوار ورعهم، ولم يضيّعوا شيئا من أحكام الشرع فأكرمتهم بالعبودية عند ظهور سلطان الحقيقة (5). أما (غير المغضوب عليهم) (6) فبنسيان التوفيق والتعامي عن رؤية التأييد (ولم الضالّين) (7) عن شهود سابق الاختيار وجريان التصارييف والأقدار (8).

وهذا الشعراني (9) يقول في كتابه لوائح الأنوار مفسرا قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا وأنفقوا لفتحننا عليهم

(1) القشيري، لطائف الإشارات، ج1، ص66.

(2) سورة البقرة الآية 37.

(3) القشيري، لطائف الإشارات، ج1، ص83.

(4) في قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) سورة الفاتحة الآية 7

(5) القشيري، لطائف الإشارات، ج1، ص51.

(6) سورة الفاتحة الآية 7.

(7) سورة الفاتحة الآية 7.

(8) القشيري، لطائف الإشارات، ج1، ص52.

(9) أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشافعي المصري، علم كبير في دنيا التصوّف (973/898هـ) أشهر أساتنته علي الخواص. له مؤلفات كثيرة منها (لوائح الأنوار) و (العهود المحمدية) و (الأخلاق)

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بَرَكْتَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ⁽¹⁾ أي أطلعناهم على العلوم المتطقاة بالطويبات والسفليات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت.⁽²⁾

أما ابن عجيبة⁽³⁾ شارح (الحكم العطائية)⁽⁴⁾ فيفسر قوله تعالى {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}⁽⁵⁾، بأن الراسخين هم الذين رسخت أرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحر العلوم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من خائتر خزائن الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله عجائب الإدراكات الوهية فنطقوا بالحكمة البالغة والألفاظ المتابعة⁽⁶⁾.

ويفسر النابلسي قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)⁽⁷⁾ أن المسبب في محبته تعالى للتائبين " أَنْ الْمَحَبَّةَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي هِيَ

المتبوية) و (البواقيت والجواهر) الخ... دافع كثيرا عن ابن عربي وبين ما نمنه عليه نقلو كتبه-الشعراني، لواقع الأنوار في طبقات الأخيار ، الطبعة

الأولى دار الجيل بيروت 1988

(1) سورة الأعراف الآية 96.

(2) الشعراني، لواقع النوار، ج 1، ص 6.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن المهدي الحمصي (1160/1224هـ) ولد ودفن بالمغرب صنف (شرح صلوات بن مشيش) و (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) و (إيقاظ الهمم في شرح الحكم).

(4) ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية شرح عبد المجيد الشرنوبى، دار الهدى، الجزائر 1991.

(5) سورة آل عمران الآية 7.

(6) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعارف بمصر 1985، ص 628.

(7) سورة البقرة الآية في ورش 223 وفي حفص 222.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عين الذات العلية على التنزيه التام لها ظهور تام في عالمها الذي هو عينها.

ولها ظهور في عالم الأسماء والصفات ولها ظهور في عالم الأفعال والمنفعلات. وجميع ما عدا الذات نسب وإضافات موجودة بالنسبة إلينا غير موجودة بالنسبة إليه تعالى.

أما صاحب (البحر المسجور في تفسير القرآن

بمحض التور) (1)

قوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (2) بأن بيانه المتكفل به ما يظهره الله على السنة أصفياه وأن من حكمته تعالى أن لا يُجري على السنة علماء كل زمان إلا ما يليق بأهل ذلك الزمان. والعلماء في نظره هم العلماء العاملون الوارثون القائمون بحجة الله على العالمين (3). ويتكلم مؤسس الطريقة الشاذلية في النفس فيذكر لها أربعة مراكز:

1- مركز للشهوة في المخالقات

2- مركز للشهرة في الطاعات

3- مركز في الميل إلى الراحة

4- مركز في العجز عن أداء المفروضات.

ثم يعقب على طريقة الإشاريين الصوفية بقوله تعالى: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا

(1) أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي (1871 - 1934) مؤسس الطريقة العلاوية كتابه (البحر المسجور) طبع المكتبة الدينية العلاوية

بمستغام، الطبعة الأولى دون تاريخ

(2) سورة القيامة الآية 18.

(3) العلاوي ، البحر المسجور ص 22

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لَهُمْ كُلٌّ مَرَصِدٌ⁽¹⁾ وليس العجب من تحليله البلّغ لمراكز النفس إنّما العجب من البعد الباطني الإشاري الذي استنبطه من الآية، بل إنّ النابلسي حين قرأ قوله تعالى (فلا أقسمُ بما تُبْصِرُونَ وَمَا لَنَا تُبْصِرُونَ)⁽²⁾ قال: انظر كيف نسب الإبصار إلينا لبعض العالم وعدم الإبصار للبعض الآخر وذلك مشعر بأن الأشياء كلها على ما هي عليه من الإمكان لم تتغير وإنما التغيير في إدراكنا لما لا هي في نفسها كما قال تعالى (وَيُقَلِّبُ أَقْلِبَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ)⁽³⁾ وقال (إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ)⁽⁴⁾، فالإسماع من الله تعالى والإبصار لكلّ سميع وبصير هو إظهار ذلك الاعتبار المذكور فيما سبق.⁽⁵⁾

إنّ اللفظة أو العبارة سرعان ما تتحول عند الصوّفي بعد إقرار وجهها الظاهر إلى إشارة فيستخرج منها معاني بعيدة المرمى على نسق يتميّز بالمسحة الجمالية التي لا يستطيع متابعتها أن يتجرد من متابعة صورتها البيانية دون أن يعدم التعاطف معها. يقول القشيري مثلا شارحا معنى اللعب شرحا لم يسبق إليه بعد أن يذكر الآية (بَلْ هُمْ فِي شُكٍّ يَلْعَبُونَ)⁽⁶⁾ إنّ اللعب فعل يجري على غير ترتيب شبيهه باللعب الذي يسيل لا على نظام مخصوص " فوصف المناقق باللعب تصويرا

(1) سورة التوبة الآية 5.

(2) سورة الحاقة الآية 38 - 39.

(3) سورة الأعمام الآية 110.

(4) سورة فاطر الآية 22.

(5) النابلسي أسرار الشريعة ص 284.

(6) سورة الدخان الآية 9.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لتردده وتحيريه وشكّه في عقيدته " (1) فقد احتفظ بالمعنى العقدي للنفاق ولكنه حول عبارة اللعب إلى إشارة استوحى منها صورة باطنية لا تصادم توحيد المسلم بل إنه يفسر عبارة التسييح المفهوم معناها عند كل مسلم لأنها السباحة في بحار التوحيد بلا شاطئ " فبعدها حصلوا فيها فلا خروج ولا براح، فحازت أيديهم جواهر التفريد، نظموها في عقود الإيمان ورسعوا في أطواق الوصلة" (2)

لا أحب أن أسترسل مع التفسير الإشاري (3) للقرآن الكريم دون أن أتحدث عن نجم الدين كبرى (1) الصوفي

(1) القشيري لطائف الإشارات، ج.1 ص.36.

(2) القشيري، لطائف الإشارات، ج.1 ص.36.

(3) يقول الدكتور عبد المنعم الحفني: الإشارة هي الإخبار من غير استعانة بالتعبير باللسان. وقيل ما يخفى على المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. وتكون مع القرب ومع حضور الغيب، وتكون مع البعد، والإشارة تكون إبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه. وعلم الصوفية علم إشارة فإذا صر علم عبارة خفي. وهو علم إشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تُعلم بالمنازلات و المواجهيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات. والإشارة كما في قوله تعالى " ثَبَارِكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ " فالذي في الآية كالكنية، والكنية كالإشارة في لطافتها ولا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم. وفلان صاحب إشارة معناه أن كلامه يشتمل على اللطائف والإشارات وعلم المعارف .

والإشاريون هم المشتغلون بعلوم الإشارة من علوم الصوفية التي تسمى علوم الأحوال ومنها علوم المشاهدات والمكاشفات وقد انفردت بها الصوفية. ووصفها بأنها علوم إشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تُعلم بالمنازلات والمواجهيد. ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات (الموسوعة الصوفية ص 639)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفارسي الكبير، فقد ترك تفسيراً إشارياً يقع في اثني عشر مجلداً يعرف باسم (التأويلات النجمية) وبـ (عين الحياة في التفسير) حسب بروكلمان، وذكر الدكتور يوسف زيدان الذي أنقل عنه نتفاً من هذا التفسير أن الدكتور حسن عباس زكي هو الذي أطله على نسخة مخطوطة منه⁽²⁾.

يقول نجم الدين كبرى إن من تنفس صبح سعادته وطلعت شمس الإسلام الروحاني من وراء جبل نفسه من مشرق القلب فهو على نور من ربه فيضحى في كشف (يَوْمَ الدِّينِ)⁽³⁾ فيكون ورد وقته وأصبحنا وأصبح الملك لله فيشاهد بعين اليقين، بل يكشف - حق اليقين أنّ الملك لله ولا مالك إلا "مالك يوم الدين" فإذا تجلّى له النهار وكشف بالمالك جهاراً يخاطبه وجاهاً ويناجيه شفاهاً (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)⁽⁴⁾ (5). ولا نكاد نجد أثراً للجدل القديم الحديث⁽⁶⁾ المثار حول معنى الاستواء في إشارة الشيخ نجم الدين كبرى عند قوله تعالى

(1) أبو الجناح أحمد بن عمر الخيوفي نسبة إلى خوارزم صاحب الطريقة الكبرى توفي في غارة للمغول سنة 618، من مؤلفاته (أقرب الطرق إلى الله) و (صفة الآداب) و (فوائح الجمال وفوائح الجلال).

(2) الدكتور يوسف زيدان، تحقيق كتاب فوائح الجمال وفوائح الجلال، لنجم الدين كبرى، الدار المصرية اللبنانية 1998، ص 125.

(3) سورة الفاتحة الآية 4

(4) سورة الفاتحة الآية 5.

(5) نجم الدين كبرى، فوائح الجمال وفوائح الجلال، ص 127.

(6) أثاره قديماً ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحديثاً من سموا أنفسهم سلفية وقد ردّ عليهم قديماً تاج الدين السبكي وابن عطاء الله وحديث الشيخ الزاهد الكوثري في كتابه المقالات والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في عدة مؤلفات. وحاصل مذهبهم التجسيد ومعارضة الإمام الأشعري.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

(الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (1) فهو منيؤول الآية بقوله استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الأرضية الجسمانية. ما تجلى لعرش استعداد شئى إلا بحسب قابليته وقبوله (2).

يعلق الدكتور زيدان بعد هذه الإشارة قائلًا إن الاستواء في (التأويلات النجمية) مرادف للتجليات في المفهوم الصوفي بل إن قضية الوجود بأسره هي قضية تجليات (3). إن هذه الأمثلة التي سقناها عن الإشارة الصوفية عند تعاطي النص القرآني تدل على الكفاءة البيانية عند أرباب التصوف، يضاف إليها مقام وحال المشير فإن تفاوت المشيرين في الروحانية يضيف على الآية أو اللفظ القرآني خلعة تناسب درجته في السلوك أو في الجذب.

وجدير بالملاحظة في هذا الشأن أن الإشاريين توسّعوا إلى غير النصّ القرآني فلهم في الحديث مقالٌ ذوقي ولهم أقوال وأشعار غزلية يكونون به عن الحضرة الإلهية أو المصطفوية. بل تجدهم أحيانًا يلتقطون كلام غيرهم فينقلونه

(1) سورة طه الآية 5.

(2) نجم الدين كبرى، فوائح الجمال وفوائح الجلال، ص 130.

(3) المصدر السابق، ص 131. أما حجة الإسلام الغزالي فيقول عند وصوله إلى معنى الاستواء " وإنما ينبو عن فهم مثل هذا فهم المتطفلين على لغة العرب المتلفتين إليها اللغات العرب إلى لسان الترك حيث لم يتعلموا منها إلا أوائلها. فمن المستحسن في اللغة أن يقال استوى الأمير على مملكته كما قال الشاعر :

استوى بشر على العراق *** من غير سيف ودم مہراق
الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، طبعة محمد علي صبيح، القاهرة 1962. ص

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إلى معان خاصة بهم فيخرج من ثوب العبارة إلى كسوة الإشارة من ذلك ما ساقه الدكتور زكي مبارك من حديث بيت الشعر المنسوب إلى رجل متحلل من الأخلاق فسمعه صوفي فسقط ميتا لأنه أحاله إلى معنى إشاري يتعلّق بالذات العليّة⁽¹⁾. والدكتور مبارك هو القائل " إن إشارات الصوفية من بوارق الذكاء. والذكاء هو السرّ في الرّوعة الأدبية " ⁽²⁾ وفي هذا السياق - أعني الأدب في حليته الإشارية - يفتح (ديوان ابن عربي)⁽³⁾ وكتابه (ترجمان الأشواق ونخائر الأعلاق)⁽⁴⁾ وكتاب النابلسي (ديوان الحقائق ومجموع الرقائق)⁽⁵⁾ وكتاب (المنثوي)⁽⁶⁾ وهو ديوان شعر لجلال الدين الرومي وغيرها بلفطات إشارية تستحق أن تكون بحثا جامعيا أو كتابا للنشر يفيدان المهتمين بهذا اللون من الأدب الروحي. أما (منطق الطير)⁽⁷⁾ لفريد الدين العطار و (فوانح الجمال وفواتح الجلال)

(1) زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ج2، ص192 والبيت هو: وجهك المأمول حجتنا ** يوم يأتي الناس بالحجج. أراد به صاحبه وجه غلام تعلق به، وأحاله الصوفي على وجه الحق سبحانه وتعالى.

(2) نفس المصدر، ج1، ص31.

(3) ابن عربي، الديوان، شرح أحمد حسن بسج الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000

(4) ابن عربي، نخائر الأعلاق، شرح ترجمان الأشواق، تحقيق محمد عبد الرحمن الكردي، القاهرة 1968.

(5) النابلسي، ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، تطبيق محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

(6) جلال الدين الرومي، المنثوي، تخطيط الدكتور محمد عبد السلام كفاقي، المكتبة العصرية بيروت 1966.

(7) مرّ معنا ذكر الكتابين

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

(١) لنجم الدين كبرى وما في لونهما من النثر الإشاري فجدير بأن يتجلى قارئها بالصبر للوقوف على ما فيها من روحانية.

(١) مرّ معنا ذكر الكتابين

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفصل الثالث

[3]

اللغة الحكّمية واللغة السريانية

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أتناول في هذا المبحث الذي عنوانته بمبحث اللغتين الحكميّة والسريانية لونيّن من اللغة الصوفيّة متحدّين في المعنى متصادمين في المبنى. فبالقدر الذي نجد يسرا في قراءة الحكمة الصوفية فإننا لا نفهم كثيرا من الألفاظ السريانية التي تخاطب بها الصوفية وكتبوها ودوتوها باعتبارها لغة الأرواح.

تمتاز لغة الحكمة عند الصوفية بكونها :

1 - ترمي إلى غايات أخلاقية وتعبديّة كالعلاقة بالحق والعلاقة بالشيخ وكضروب السلوك الواجب على المرید اتباعها.

2- جاءت في قالب النصيحة من صوفية خبروا من طريق الذوق مجاهل العالم الرّوحاني.

3- تتميّز في كثير من الأحيان بالاختصار وسهولة اللفظ لتقريب المعنى.

4- تتوجّه الحكمة في الغالب الأعمّ إلى المریدين الصّوفية ولكنها في متناول غير الصّوفية لسلاستها وقابليّة فهمها ودرسها.

5- تؤسس الحكمة الصوفية لقواعد في التصوّف يستنير بهديها السانرون في طريق الرّوح وغيرهم ممن يودّ معرفة البناء الصّوفي.

لقد نسب التصوّف في كلّ العصور إلى الحكمة، وجاء من جزم بأنّ اشتقاق التصوّف إمّا هو من سوفيا اليونانية التي تعني الحكمة⁽¹⁾. وقد سبق لنا أن رددنا هذه النسبة بأدلة

(1) وهذا رأي المناولين للتصوف رده ابن خلدون وزكي مبارك وغيرهما من المحقّقين.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

العلم التي توصلنا إليها، ولكننا لا ننفي عن عالم الروحانية الإسلامية هذه الصفة لعدة اعتبارات:

1 - إن القرآن الكريم وهو أصل التصوف الصحيح في تقديرنا⁽¹⁾ قدحت على طلب الحكمة قال تعالى (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)⁽²⁾. وجعلها أداة الأنبياء والعقلاء في التعامل مع سائر الناس في قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)⁽³⁾، بل إن الكلم المنزل لا يفصل بين الكتاب السماوي والحكمة. من ذلك قوله تعالى (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)⁽⁴⁾ وقوله (وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ)⁽⁵⁾ وقوله (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ)⁽⁶⁾.

2- إن من أسماء الله الحسنى اسم الحكيم وهو

ذكر كثير من الصوفية الذين ينشدون الوصول بحضرة الأسماء⁽⁷⁾ استجابة للأمر الإلهي الذي جاء به القرآن الكريم (وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)⁽⁸⁾.

(1) كما تجسده سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

(2) سورة البقرة الآية 269.

(3) سورة النحل الآية 125

(4) سورة البقرة الآية 129.

(5) سورة البقرة الآية 231.

(6) سورة النساء الآية 113.

(7) أبين هذا المعنى لاحقاً عند شرح معنى اسمه تعالى الحكيم.

(8) سورة المزمل الآية 8 وفي الآية 25 من سورة الإنسان (وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُخْرًا وَأَصْبِلًا)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

3- إن هناك ارتباطا وثيقا بين الكلمة والحكمة

حتى عدّ من معجزاته صلى الله عليه وسلم إتيانه جوامع الكلم⁽¹⁾. ويعجبني كثيرا عنوان المعجم الصوفي الذي وضعته الدكتورة سعاد الحكيم وهو " الحكمة في حدود الكلمة " ⁽²⁾ وقد عدّها الدكتور يوسف زيدان بحق " متيّمّة بابن عربي " ⁽³⁾ لأن هذا المعجم الواقع في أكثر من ألف ومائتي صفحة هو في لغة ابن عربي وحده، وزادت عليه كتابا صغير الحجم عنوانه (ابن عربي ومولد لغة جديدة)⁽⁴⁾.

4- إن هناك تلازما بين اسمه تعالى العليم

واسمه الحكيم، وهذا التلازم الوارد في مواطن عدّة من القرآن الكريم نصّ صريح فصيح على الرباط الوثيق بين الاسمين كقوله تعالى (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)⁽⁵⁾ وقوله (تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)⁽⁶⁾.

لقد سلك الصّوفية في الدّكر طرائق عددا ولن نقف

هنا عند معنى الطريقة فهو مبحث متضمّن في الباب الأخير من هذا الكتاب. ولكننا نحبّ أن نشير إلى أنّ بعض الذّاكرين

(1) ومعناه اختصار المعاني الكثيرة في اللفظ القليل

(2) د سعاد الحكيم المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة) دندرة للطباعة والنشر، بيروت 1981.

(3) د/ يوسف زيدان، تحقيق فوانح الجمال لنجم الدين كبرى ص 111.

(4) د/ سعاد الحكيم ، ابن عربي ومولد لغة جديدة، الطبعة الأولى، بيروت، بدون تاريخ.

(5) سورة البقرة الآية 32.

(6) سورة الأنعام الآية 83.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

في الخلوات والجلوات قد سلكوا طريق الأسماء الإلهية ومن هذه الأسماء اسمه تعالى الحكيم الذي نقف مع معناه دون خصوصيته وثمرته المعرفية لأنّ ذلك شأن سنراه في حديثنا عن الرّمز والحرف في مبحث من مباحث هذا الباب الذي هو باب اللّغة.

يرى الإمام الغزالي حين يشرح هذا الاسم في (المقصد الأسنى) أنّ الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم " وأجلّ العلوم هو العلم الأزليّ الدائم الذي لا يتصوّر زواله.

وكمال ذلك ليس إلاّ الله تعالى فهو الحكيم الحقّ " (1)، وأنّ نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله " كنسبة معرفته به إلى معرفة الله بذاته وشتان بين الحكمتين " (2).

ثمّ يسوق أمثلة من جوامع الكلم النبوي ليختتم شرحه اسم الحكيم بقوله:

" فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمّى حكيماً " (3).

أمّا الرازي فإنّه بعد أن ذكر كلام الغزالي الذي مرّ جعل الحكمة من صفات التقديس ثمّ تكلم عن الحكمة النظرية

(1) أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، دار

الكتب العظيمة، بيروت، بدون تاريخ، ص 91.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ص 92

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والحكمة العملية ونقل قول المشايخ " إنّ الحكيم هو الذي يكون مصيبا في التقدير ومحسنا في التدبير " (1) .

أمّا عن حظ العبد في الحكمة فهو معرفة الحق سبحانه وتعالى. (2) ولا يبتعد عن هذا المعنى ما ذكره محمّد أديب كلكل في (تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر) (3) .

وفي كتاب (الأسماء الحسنى: تجليات وأدعية) لعبد السلام بدوي نجد حديثاً عن تجليات هذا الاسم في مناحي الوجود وعلى الذات البشرية. وقد جعل صاحب الكتاب الاسم الحكيم قرين الاسم العليم ثم قال: " ومن أكثر من ذكره أوّتي الحكمة وعلمه الله دقائق العلوم " (4) .

وحاصل كلام أرباب الذوق أنّ واجب العبد التشبيه بأسماء الله ومن بينها اسمه الحكيم. فقد ذكر التبهاني في (الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى) حين تعرّض لحديث إنّ لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة (5) .

(1) فخر الدين الرازي لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات
ص.273.

(2) نفس المصدر، ص 272

(3) محمد أديب كلكل، تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر الطبعة الثانية، المكتبة

العربية، حماة سورية والمطبعة العلمية دمشق 1994 ص 161

(4) عبد السلام محمد بدوي، الأسماء الحسنى، دار المعارف بمصر، 1990، ص

200

(*) رواه البخاري .

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أَنَّ " الإحصاء عند أهل الله هو الاتّصاف بها " (1). ولهذا ظهرت آثار هذا الاسم في لغة التصوّف. واللغة الحكميّة منتشرة في طبّات الكتب الصّوفية وفيما نقل عن مشايخ الطريق الصّوفي من أرباب الجذب والسلوك على حدّ سواء (2). ولكنني سأكتفي بنموذجين لعلمين، واحد من المشرق والآخر من المغرب. أمّا المشرقيّ فهو ابن عطاء الله السكندري (3) وأمّا المغربيّ فالشيخ زروق الفاسي (4). وأقف مع ابن عطاء الله في كتابه (الحكم) ومع الشيخ زروق في كتابه (قواعد التصوّف)، وهذا باختصار لا يخلّ بالغرض العلمي الذي أنا بصدده مع الإشارة إلى أنّ الشيخ زروق كثيرا

(1) يوسف النبهاتي، الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنی، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت 1932، ص 35

(2) السلوك والجذب مصطلحان صوفيّان أتناولهما في ثبوت المصطلحات آخر هذا الباب. والأول معناه التدرج في المقامات للوصول إلى المعرفة بالله أما الآخر فمعناه قطع المقامات جملة واحدة دون تحصيل المعرفة بها وهذا بمحض الاصطفاء فالأول أمر كسبيّ والآخر أمر وحيّ.

(3) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي المتوفى سنة 709 هـ. عاصر ابن تيمية وناظره، تتلمذ للشيخ أبي العباس المرسي وأخذ عنه أصول الطريقة الشاذلية ويعود إليه الفضل في نشرها والتعريف بها. من كتبه " الحكم " و " المناجاة العطانية " و " التنوير في إسقاط التدبير " و " لطائف المنن ".

(4) أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي (846/ 890 هـ) قرأ بمصر وتوفى بطرابلس الغرب. شرح الحكم العطانية ومذهبه أن لا تصوّف بدون عمل أشهر كتبه " قواعد التصوّف " و " إغاثة المتوجّه المسكين على طريق الفتح والتمكين) و (البدع التي يفعلها فقراء الصوفية).

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ما يذكر نتقا من الحكم العطائية في قواعده وأن كلا الرّجلين يمثل عمدة في سلسلة الطريقة الشاذلية. (1)

إذا أحصينا حكم ابن عطاء الله السكندري وجدنا أنه لا خلاف بين الشراح والمحققين حول عددها الذي هو أربع وستون ومائتان. وهذا أمر إيجابي لسببين:

1- المحافظة على الرّباط الذوقي الواصل بين حكمة وأخرى إذا أمكن إثبات ذلك.

2- إثبات أو نفي كتابة الحكم في أوقات مختلفة استجابة لنفحات روحية.

وقبل استعراض بعض الحكم مع شرحها أودّ أن أشير إلى أنّ تعليق الدكتور زكي مبارك على الحكم الذي لا يتعدّى صفحات قليلة هو من أفضل ما اطلعت عليه في الباب .

وقد وصلت إلى ثلاثة استنتاجات رئيسية بشأنها هي:

1- إنّ بعض الحكم مجردّ تجريداً تاماً من الصّور والأخيلة كقول ابن عطاء الله " من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرّجاء عند وجود الزلّل " (2).

2- إنّ البعض الآخر مكسوّ بحلل الخيال كقوله:

" ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت ممّا لم يدفن لا يتمّ نتاجه " (1)

(1) نعرّف بالطريقة الشاذلية في مبحث الطرق من الباب الثامن .

(2) الحكمة الأولى

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

3- إنّ بعض الحكم هو حظّ الخواص من الفهم ولكنّ عدد هذا النوع الثالث قليل كقوله " أشهدك قبل أن يستشهدك فنطقت بإلهيته الظواهر وتحققت بأحدثه القلوب والسرائر" (2).

تتعدى شروح الحكم العطنائية عشرين شرحا أشهرها (غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطنائية) لا بن عباد النفري الرندي (3)، و(إيقاظ الهمم بشرح الحكم) لا بن عجيبة الحسني. ويعتبر كتاب(مذكرات في منازل الصديقين والربانيين) (4) شرحا للحكم دون الإشارة إلى غرض الكتاب من خلال العنوان كما فعل الأولون. أمّا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فتناولها بدروس خاصة مسجلة على أقراص. وقبلها كتب الشيخ عبد المجيد الشرنوبي أشهر شرح معاصر على الحكم بعنوان (شرح الحكم العطنائية) (5).

إنّ لغة الحكم بميزاتها الثلاث التي ذكرتها سالفا قد استوقفت الشراح عبر عصور متتالية لغزارة المعاني الذوقية

(1) الحكمة الحادية عشرة.

(2) الحكمة السابعة والخمسون بعد المائتين .

(3) محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشهير بابن عباد النفري نسبة الرندي بلدا.

صوفي أنطلسي شانلي الطريقة. توفي سنة 792 هـ . كتب (شرح الحكم) ثم (نظم الحكم) ثم (الرسائل الكبرى) ثم (الرسائل الصغرى) وله أيضا رسائل على قوت القلوب.

(4) سعيد حوىّ مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، دار السلام، حلب، الطبعة الأولى 1986.

(5) توفي الشرنوبي سنة 1929، وآخر طبعة لكتابه هي لدار الهدى - عين ميله - الجزائر 1991.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التي تحتويها ولتضمنتها لكثير من التوجيهات التوحيدية والأخلاقية. وسأكتفي بذكر بعض الحكم دون الوقوف الطويل عند شروحيها. (1)

1- (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) (2)

وفي شرح هذه الحكمة يرى سعيد حوى أنك عندما تجد نفسك قد زللت أو أخطأت فقلت ثقّت بالله نتيجة لذلك، وقلّ اعتمادك عليه فهذا دليل على أنك في الأصل كنت معتمدا على أعمالك لا على الله عزّ وجلّ. (3) أما ابن عبّاد النفري الرندي فيرى أنّ الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين لأن الاعتماد على غيره وصّف الجاهلين الغافلين. فالعارفون على بساط القرب والمشاهدة " إذا أخطأوا شهدوا تصريف الحقّ تعالى لهم وجريان قضائه عليهم" (4).

وجاء كلام ابن عجيبة في الإيقاظ أبعد غورا في التحسّس الصوّفي فبعد شرح الاعتماد لغة بأنه الاستناد

(1) سأكتفي في الهامش بذكر رقم الحكمة لأن موضعها في الصفحة يختلف من شرح إلى آخر.

(2) هي الحكمة الأولى من حيث الترتيب الأصلي .

(3) سعيد حوى، مذكرات في منازل الصوّفيين والربّانيين ص 202.

(4) ابن عبّاد الرندي، شرح الحكم العطالية، مراجعة الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، مركز الأهرام والترجمة والنشر، القاهرة 1988 ص.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والركون قال بأنّ الأعمال عند أهل التصوف⁽¹⁾ شريعة وطريقة وحقيقة أو إسلام وإيمان وإحسان أو عبادة وعبودية وعبودة أي بداية ووسط ونهاية. فالشريعة أن تعبدته والطريقة أن تقصد.

والحقيقة أن تشهده فالشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمانر والحقيقة لإصلاح السرائر.

ويرى أنّ إصلاح الجوارح يكون بالتوبة والتقوى والاستقامة، وإصلاح القلوب بالإخلاص والصدق والطمأنينة أما إصلاح السرائر فبالمرقبة والمشاهدة والمعرفة.

ثم خالص بعد ذلك إلى شرح الحكمة المذكورة استنتاجاً مما سلف فقال إنّ العبد: "إذا تطهر من أوصاف البشرية تحلّى بأوصاف الرّوحانية وهي الأدب مع الله في تجلياته التي هي مظاهره، فحينئذ ترتاح الجوارح من التعب وما بقي إلا حسن الأدب"⁽²⁾.

وبرأي الشيخ عبد المجيد الشرنوبى أنّ هذه الحكمة إنّما تناسب العارفين الذين يشاهدون أنّ الأعمال كلها من الله فلا يعظم رجاؤهم بعمل صالح ولا ينقص أملهم لعمل طالح " لأنهم غرقى في بحر الرضا بالأقدار "⁽³⁾.

(1) سمي أهل التصوف بأهل اللين لتوجه كتابه إليهم.

(2) ابن عجيبة، إلفاظ الهمم ص 26. وقد شرح الشرنوبى هذه الحكمة بكلام طويل أن من علامات تعويل العامة على عمله أن ينقض رجاؤه في رحمة الله عند وجود الله (عبد المجيد الشرنوبى، شرح الحكم العطنانية ص 14).

(3) الشرنوبى، شرح الحكم العطنانية ص 15.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها)⁽¹⁾. والإخلاص برأي ابن عجيبة على ثلاث درجات.

أ- إخلاص العوأم وهو إخراج الخلق من معاملة الحقّ مع طلب الحظوظ الدنيويّة والأخرويّة.

ب - إخلاص الخواص ومعناه طلب الحظوظ الأخرويّة

ج - إخلاص خواص الخواص وهو إخراج الحظوظ بالكلّيّة⁽²⁾. الذي يجعل العبادة تحقيقا للعبودية وقيامًا بوظائف الرّبوبيّة.⁽³⁾ وحاصل هذا الكلام كما يقول ابن عبّاد الرّندي إخراج العبد للخلق من نظرة في أعمال البر.

3 - (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان الفكرة)⁽⁴⁾. في حديثه عن معنى هذه الحكمة شبّه ابن عجيبة العزلة بالحميّة والفكرة بالدواء فلا خير في عزلة لا فكرة فيها. وقد نقل كلاما للجنيّد في هذا المعنى جعل فيه أشرف المجالس الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد⁽⁵⁾. كما استشهد بقول أبي

(1) الحكمة العاشرة.

(2) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 50

(3) وهو مذهب رابعة العدوية (توفيت سنة 185 هـ). وهي غير رابعة بنت إسماعيل الشامية زوجة الصوفي الكبير أحمد بن أبي الحواري فالأولى دفينة البصرة والثانية دفينة بيت المقدس. وخلاصة مذهب العدوية أنها عبدت الله طمعا في وجهه الكريم لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار.

(4) الحكمة الثانية عشرة.

(5) ابن عجيبة ، إيقاظ الهمم ص.58.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الحسن الشاذلي بأن ثمار العزلة هي الكشف الغطاء وتنزل الرحمة وتحقق المحبة وتحصيل لسان الصدق في الكلمة (1). وقد ذكر الشيخ عبد المجيد الشرنوبى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة (2) ثم قال: "وذلك لأنه يوصل إلى معرفة حقائق الأشياء وتزداد به معرفة الله ويطلع به المتفكر على خفايا آفات النفوس ومكائد الشيطان وغرور الدنيا" (3).

ثم ذكر بعد ذلك أنّ العزلة هي أحد أركان الطريق الأربعة وهي الصمت والعزلة والجوع والسهر (4). وقد أطل ابن عجيبة في ذكر فوائد العزلة حين تعرّض لهذه الحكمة (5).

4 - " كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أو كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من

(1) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(2) الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير من رواية أبي الشيخ بلفظ

فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة.

(3) الشرنوبى، شرح الحكم العطنانية ص 25.

(4) جمعها الشعراني في كتابه الأنوار القدسية في قواعد الصوفية، في هذين

البيتين:

بيت الولاية قسمت أركانه ** ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت واعتزال دالم ** والجوع والسهر النزبه الغالي.

(5) سنقف عند معانيها حين نتناول مصطلح الخلوة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

صفواته؟^(١) و خلاصة هذه الحكمة أن الجمع بين الضدين محالٌ فلا يجتمع نورٌ تامٌ وظلمة تامة في القلب، ولا يمكن للمقيّد بالمعاصي أن يسير في طريق الطاعة إلى نهايته كما لا يمكن الدخول إلى حضرة الطهارة بجنابة الغفلات، فضلاً عن تحصيل الأسرار مع الانغماس في الهفوات. فإذا أقبل العبد على الخلق أدبر عن الحقّ وقد شرح ابن عجيبة الرّحيل المذكور في هذه الحكمة بأنه من الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت ومن علم اليقين إلى عين اليقين ثم إلى حقّ اليقين ثم قال: "فاقطع يا أخي عنك عروق العلائق وفرّ من وطن العوائق تشرق عليك أنوار الحقائق"^(٢) أمّا عن الحضرة الإلهية فقال إنها على ثلاثة أقسام:

أ- حضرة القلوب وهي للسانين وهم أهل المراقبة

ب- حضرة الأرواح وهي للمستشرفين وهم أهل المشاهدة.

ج - حضرة الأسرار وهي للمتمكنين: وهم أهل المكالمة "وسرّ ذلك أن الرّوح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت في حضرة القلوب، فإذا استراحت بالوصول سميت روحاً وكانت في حضرة الأرواح، وإذا تمكنت وصفت وصارت سرّاً من أسرار الله سميت سرّاً وكانت في حضرة الأسرار"^(٣).

(١) الحكمة الثالثة عشرة.

(٢) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم ص 66.

(٣) نفس المصدر ص 67.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ويقول عن الطهارة إنّ العبد إذا لم يقدر على الطهارة الحقيقية الباطنية فعلية الانتقال إلى الطهارة الظاهرية وإذا لم يقدر على طهارة المقرّبين وجب عليه الانتقال إلى طهارة أهل اليمين وإذا لم يقدر على طهارة أهل المحبّة انتقل إلى طهارة أهل الخدمة. (1)

5 - " طلبك منه ائهام له وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلّة حيانك منه، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه". (2) فصل ابن عجيبة الطّلب فقال إنه أربعة أضرب:

أ- طلب من الله ويكون بالتضرّع والابتهاال

ب- طلب لله ويكون بالبحث والاستدلال

ج - طلب لغير الله ويكون بالتعرّف والإقبال

د - طلب من غير الله ويكون بالتملّق والسؤال (3)، ولا شك أنّ الصّوفي واقفٌ مع النّوعين الأوّلين فقط لكون الطالبين الأخيرين يحملان علة إشراك الخلق بالحق. (4)

6 - " تشوّفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوّفك إلى ما حجب عنك من الغيوب" (5)..

(1) نفس المصدر ص 69.

(2) الحكمة الواحدة والعشرون.

(3) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم ص 95

(4) ومن جنس هذه الحكمة الخامسة والعشرون وهي قول ابن عطاء

الله " ما توفّق مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك"

(5) الحكمة الثّانية والثلاثون.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف لغة هو الاهتمام بالشيء والتطلع له. وخلاقاً لما يظنه كثيرون ممّن لا يعرفون وجهة التصوّف الحقّ فإن التربية الصوفية قائمة على تطهير النفس من العيوب الباطنة غير متوجّهة إلى الاطلاع على أسرار العباد وما يأتي به القدر من حوادث مستقبلية، والعيوب كما فصلها ابن عجيبة هي:

- أ - عيوب النفس وذلك لتعلقها بالشهوات الجسمانية.
- ب - عيوب القلب حين يتعلّق بالشهوات القلبية كحبّ المنزلة والخصوصية.
- ج - عيوب الرّوح حين تتعلّق بالحظوظ الباطنية كالكرامات والمقامات⁽¹⁾.

7 - " شعاع البصيرة يشهدك قريبه منك، وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده، وحقّ البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجوده، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان " ⁽²⁾.

حين تعرّض ابن عبّاد إلى هذه الحكمة فمتر شعاع البصيرة بأنّه نور العقل وعلم اليقين وهذا عقل يجعل صاحبه يستحي أن يراه الله حيث نهاه لوجود العلم والإحاطة المعبر

(1) ومن جنس هذه الحكمة التي تليها وهي الثالثة والثلاثون وفيها بقول ابن عطاء الله " الحق ليس بمحجوب عنك إنّما المحجوب أنت عن النظر إليه إن لو حجبته شئى لستره ما حجبته، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكلّ حاصر لشئى فهو له قاهر، وهو القاهر فوق عباده".

(2) الحكمة السادسة والثلاثون وهي ساقطة من شرح ابن عبّاد النفري الرّندي.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عنها بالقرب أما عين البصيرة وهو انفتاحها وإدراكها المعبر عنه بعين اليقين فمعه يتيقن العبد عدم نفسه فلا يبقى سوى الله. أما حق البصيرة وهو حق اليقين فيشهد العبد لا عدم ولا وجود نفسه

بل ينقله إلى الفناء الكامل مستهلكا في وجود الحق من غير تكيف ولا تجسيم.

وقد قَسَمَ ابن عجيبة البصيرة باعتبار إدراك المعاني اللطيفة إلى أقسام:

أ - قَسَمَ فسد ناظرها فعميت وأنكرت وجود نور الحق من أصله وهي بصيرة الكفار .

ب - قَسَمَ صحّ ناظرها لكنه ضعف لمرض أصابه وهي بصيرة عامة المسلمين.

ج - قَسَمَ قوي ناظرها ففتح عين بصيرته فأدرك النور محيطا به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهي بصيرة خاصة المتوجّهين (1).

د - قَسَمَ صحّت بصيرته واشتد نورها فأتصل بنور الأصل فلم تر إلا النور الأصلي (2)

فشعاع البصيرة نور علم اليقين وعين البصيرة نور عين اليقين وحق البصيرة نور حق اليقين. وعلم اليقين لأهل التليل والبرهان وعين اليقين لأهل الكشف والبيان وحق اليقين لأهل الشهود والعيان (3).

(1) بعبّر عن هذا المقام بمقام عين البصيرة.

(2) وهذا مقام حق البصيرة

(3) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم . ص 118.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

8- " لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله " (1)

9 - " ربّما كنت مسينا فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك " (2)

هاتان حكمتان في الصّحبة وهما توجيه لمرید الطّريق الصّوفي في مصاحبة من هو أفضل منه حالا في الظاهر الأخلاقي والباطن النوراني لأن صحبتك من هو دونك شرّ محض تغطّي عنك عيوبك وتبيّن لك كمالك فتوجب لك حسن الظن بنفسك فتعجب بأعمالك وتفتنع بأحوالك " والرّضا عن النفس أصل كل شرّ " (3)

وذكر ابن عجيبة للصّحبة أربعة شروط:

أ - علم صحيح بالمقامات والمنازل والفرائض .

ب - ذوق صريح بعد السلوك على يد شيخ كامل.

ج - همّة عالية متعلّقة بالله وحده.

د - حالة مرضية ومعناها الاستقامة قدر المستطاع (4).

والحديث عن الصّحبة عند الصّوفية أمر يستغرق

لوحده بحثا يتصلّ بالسلوك الاجتماعي والفردية كما فهموه فلا نطيل الوقوف عنده.

(1) الحكمة الثالثة والأربعون

(2) الحكمة الرابعة والأربعون

(3) ابن عباد، شرح الحكم ص 192.

(4) نقل ابن عجيبة قول سهل بن عبد الله التستري : احذر صحبة ثلاثة من الناس وهم : الجبابرة الغافلون والقراء المدهنون والمتصوفة الجاهلون وزاد الشيخ زروق علماء الظاهر لغلبة حظوظ النفس عليهم.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

10- " ما العارف من إذا أشار وجد الحقّ أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده".⁽¹⁾ في معنى هذه الحكمة يقول ابن عجيبة: إن الإشارة أدقّ من العبارة والرمز أدقّ من الإشارة. وضرب مثلا عن الإشارة بأسماء ليلي وسلمى في خمريات الصوفية وعن الرمز بفواتح السور القرآنية⁽²⁾، والناس أقسام عند الإشارة:

أ - قومٌ يفهمون العبارة ولا يفهمون الإشارة وهم عامّة الناس.
ب - قومٌ يفهمون العبارة ويجدون المقصود بعد الإشارة وهم أصحاب البدايات.

ج - أهل الفناء وهم يفهمون الإشارة ويجدون المشار إليه.
د - أهل التمكين الراسخون في مقامات الروح وقد تجاوزوا الإشارة والمشير.

ونسب إلى الجنيد قوله إنّ المتمكن قد كلّ لسانه عن التعبير واستغنى عن الإشارة والمشير، فإذا صدرت منه إشارة أو تعبير فأبما ذلك لفيضان وجد أو هداية فقير⁽³⁾. فاللغة تنمحي أمام عالم الدوق لعجزها عن احتواء معانيه.

ومن جنس الحكمة الماضية الحكمتان التاسعة والسبعون وهي قول ابن عطاء الله " مطلب العارفين من الله الصّدق في العبوديّة والقيام بحقوق الربوبية "

(1) الحكمة السابعة والسبعون وهي ساقطة من شرح الحكم العطانية لابن عبد النوري الرندي.

(2) عرف الرموز بأنها " إيماء وأسرار بين المحبوب وحببيه لا يفهمها الغير " إيقاظ الهمم ص 198.

(3) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 200.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقوله: "العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل".

ومن اللغات الحكيمية العميقة قوله: "ربما فتح عليك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول"⁽¹⁾ وكذلك قوله: "لما علم الحق منك وجود الملل لَوْن لك الطاعات، ولما علم ما فيك من وجود الشتره حجّرها عليك في بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة، فما كلّ مصلّ مقيم"⁽²⁾.

11 - "كلّ كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز"⁽³⁾ وهي حكمة مفهومة المعنى إذ تثبت الرّباط الوثيق بين اللغة وباطن الإنسان ولا تنفصل هذه الحكمة عن أربع أخر هي:

أ- "من عبر بساط إحسانه أصمته الإساءة ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء"⁽⁴⁾.

ب - "تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير"⁽⁵⁾.

ج - "من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجلّيت عليهم إشارته"⁽⁶⁾.

(1) الحكمة الخامسة والتسعون

(2) الحكمة الثامنة عشر بعد المائة

(3) الحكمة الثالثة والثمانون بعد المائة.

(4) الحكمة الحادية والثمانون بعد المائة.

(5) الحكمة الثانية والثمانون بعد المائة.

(6) الحكمة الرابعة والثمانون بعد المائة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

د - " ربّما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار⁽¹⁾ .

ومن التوجيّهات السلوكية المرتبطة بحقيقة النفس قول ابن عطاء الله " إذا التبس عليك أمران فانظر أنقلهما على النفس فإنّه لا يتقل عليها إلا ما كان حقاً"⁽²⁾ .

ولا أريد أن أختم حديثي عن الحكم العطائيّة دون سوق هذه الملاحظات:

أ - إن أحسن ما يمكن أن توصف به عبارات الحكم هو قول ابن عطاء الله نفسه عن لغة الصّوفية الحقيقيين " عباراتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد، فالأول حال السالكين، والثاني حال أرباب المكنة والمحققين"⁽³⁾ .

ب - إن متابعتي للغة الحكم في بساطتها الظاهرة ودقة المعاني السلوكية والمعرفية التي جاءت بها زادت يقيني في وجود رباط وثيق يجمعها وهو الدوق وإن كنت لا أختلف عن شراحها ودارسيها حول مسئلة كتابتها في أوقات مختلفة استجابة لأحوال ذوقية خالصة وخاصة.

ج - إن ابن عطاء الله السكندري قد تدرّج في حكمه من المعاني السلوكية إلى المعاني المعرفية، وقد يتعمّد أحيانا نقل القارئ من المعنى البسيط إلى علة تخفي وراءه كقوله " التعميم وإن تنوعت مظاهره إمّا هو لشهوده

(1) الحكمة الخامسة والثمانون بعد المائة.

(2) الحكمة الثانية والتسعون بعد المائة.

(3) الحكمة السادسة والثمانون بعد المائة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

واقترابه، والعذاب وإن تنوّعت مظاهره إنّما هو لوجود حجابيه، فسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم (1) دون أن يصادم الفهم الذي قد ينسب إلى المتكلمين وأرباب فنّ التوحيد.

د - تحدّث ابن عطاء الله عن العلم في ثلاث حكم متواليّة هي تقرّيباً من الأواخر كأنه بيّنه إلى أن كلّ ما ذكر إنّما مرجعه إلى العلم الحقيقي الذي لا ينفصل عن خشية الله فقال " العلم النافع هو الذي ينبسط في الصّدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه" (2) وقال " العلم ما كانت الخشية معه" (3) وزاد فقال " العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك" (4).

هـ - ختم صاحب الحكم كتابه بالحديث عن الفكرة وهي غير الفكرة العقلية الناتجة عن التحليل والتركيب بل هي نتاج سفر القلب.

- الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار (5).
 - الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له (6).
- ثمّ قسم الفكرة إلى نوعين فقال: " الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان فالأولى لأرباب

(1) الحكمة الثالثة والمشرون بعد المائتين.

(2) الحكمة الحادية والثلاثون بعد المائتين

(3) الحكمة الثانية والثلاثون بعد المائتين

(4) الحكمة الثالثة والثلاثون بعد المائتين

(5) الحكمة الثانية والستون بعد المائتين .

(6) الحكمة الثالثة والستون بعد المائتين.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الاعتبار والثانية لأرباب الشهود والاستبصار" (1). وقد ساق ابن عجيبة حين تعرّض لهذه الحكمة أربع وسائل لتحصيل المعرفة الحقّ (2) هي:

- الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور
- الفكر وبساطه الصبر وثمرته العلم
- الفقر (3) وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه.
- الحبّ وبساطه بغض الدّنيا وثمرته الوصول على المحبوب وهو الله (4).

اطلعت على كتاب (قواعد التصوّف) الذي ألفه الصّوفي الشاذلي أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد زروق الفاسي المعروف اختصاراً بالشيخ زروق في الطبعة الثانية التي حقّقها محمد زهري النجار وراجعها الدكتور معبد فرغلي فوجده خالياً من أيّ مقدّمة للتعرّيف بصاحبه وبمحتوى الكتاب وقيّمته التي لا تخفى على باحث (5). وهو أمر يدعو إلى اعتناء خاصّ بالقواعد ودراستها بشكل لا يجعلها حكراً على المكتبات المتخصّصة والخزانات الخاصة.

(1) الحكمة الرابعة والستون بعد المائتين

(2) نكر أنها من كلام أبي الحسن الشاذلي، إيقاظ الهمم، ص 541.

(3) وهو الفقر القلبي إلى الله لا الفقر المادي

(4) المصدر السابق، نفس الصفحة

(5) جاءت الطبعة الأخرى للمكتبة الأزهرية للتراث خالية من ذكر اسم الدكتور معبد فرغلي وأشار لفظ إلى اسم المحقق محمد زهري النجار وهي كذلك دون مقدّمة وتاريخها هو 1998.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ قواعد الشّيخ زرّوق وإن كانت دون النفس الرّوحي لحكم ابن عطاء الله فإنّها تحمل في طيّها المواصفات الثّالية:

1- يقترب عدّد القواعد من عدد الحكم إذ من الثّابت أنّ عددها الكامل هو سبعة عشر ومائتا قاعدة.

2 - تختلف القواعد عن الحكم العطائية بطول نصّها إذ أنّ أقصر قاعدة تعادل في كمّها أطول حكمة؟.

3- تتفق القواعد والحكم على توجيه الصّوفي إلى المراد من وجوده وإلى أسلم المسالك للوصول.

4- جاءت القواعد في كثير من الأحيان مكسوة بقالب فقهي حفاظا من مؤلفها على روح الشريعة الظاهرة.

5- تأثر الشّيخ زرّوق في قواعده بابن عطاء الله السكندري في حكمه، واستشهد بأقواله أحيانا. ولا عجب فهو أحد شراح الحكم العطائية.

6 - يتبيّن من الحكم والقواعد أنّهما تميران في خطّ النهج التّربوي والعلمي للمدرسة الشاذلية ولا عجب في ذلك

فالذي شهر الشاذلية بالمشرق هو ابن عطاء الله والذي شهرها بالمغرب قبل انتقاله إلى مصر هو الشّيخ زرّوق الفاسي.

إن لغة القواعد نسيج الحكمة الصّوفية التي حاول صاحبها أن يقترب من عقول المبتدئين والمنهين على حدّ سواء

ليضع لهم خطّ النهج السليم كما يراه. ولو أردنا أن نتخيّر عنوانا للكتاب بعد طول درس

ومعاناة بحث ما وجدنا له عنوان أفضل من الذي وسمه به صاحبه.

وسأذكر جملة مختصرة جدًا من قواعد التصوّف التي وضعها الشّيخ زرّوق قبل الانتقال إلى لغة أخرى من لغات

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف هي على خلاف من اللغة الحكيمية جكرٌ على نفر قليل من الصّوفية - فضلا عن غيرهم - وأعني بها اللغة السريانية.

ذكر الشيخ زروق في القاعدة الثالثة أنّ الاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر دلّ على بعد إدراك جملتها وأنّ الاختلاف حول التصوّف من هذا القبيل وفي القاعدة الخامسة ذكر أنّ التصوّف هو مقام الإحسان " لأنّ معاني صدق التوجّه راجعة لهذا الأصل ودائرة عليه إذ لفظه دالٌّ على طلب المراقبة الملزومة به"⁽¹⁾ وهذا التأصيل لمبحث التصوّف سبق أن مهّد له في القاعدة الرابعة بقول مالك من تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوّف فقد تفسّق ومن جمع بينهما فقد تحقّق⁽²⁾، وهو يرى أنّه " لا أشرف من متعلّق علم التصوّف لأنّ مبداه خشية الله التي هي نتيجة معرفته"⁽³⁾.
من قواعد الشيخ التي تجري مجرى الحكمة في لغة التصوّف:

1 - اعتبار النسب في الموانع يقضي بتخصيص الحكم عن عمومه، ومن ذلك وجود الغيرة على القوم⁽⁴⁾ من الإنكار وحماية عقول العوام من التعلّق بما يخصّ منها الحامل على وجود القصد من تخصيصها. فالأعمال للعامة والأحوال

⁽¹⁾ الشيخ زروق، قواعد التصوف، تحقيق محمد زهري النجار، طبع المكتبة الأزهرية للتراث، 1998، ص4، القاعدة الخامسة.

⁽²⁾ القاعدة الرابعة، ص4.

⁽³⁾ القاعدة الرابعة عشر ص8

⁽⁴⁾ يعني الصوفية.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

للمريدين والفوائد للعابدين والحقائق للعارفين، والعبارات قوت لعائلة المستمعين. وليس لك إلا ما أنت له أكل فافهم⁽¹⁾

والاستماع الذي ذكره زرّوق هو الاستماع بالحال، فقد ذكر ابن عجيبة في (إيقاظ الهمم) أن ثلاثة سمعوا قائلًا يقول يا سعتر برّي فسمعه الأول الساعة ترى برّي، وقد كان مستشرفًا وسمع الثاني إسع ترى برّي وكان مبتدئًا، أما الثالث وكان واصلاً فسمع ما أوسع برّي⁽²⁾.

2- مبنى العلم على البحث والتحقيق، ومبنى الحال على الدوق والتصديق، فإذا تكلم العارف من حيث العلم نظر في قوله والتصديق، فإذا تكلم العارف من حيث العلم نظر في قوله بأصله الكتاب والسنة وأثار السلف لأن العلم معتبر بأصله. وإذا تكلم من حيث الحال سلم له نوقه إذ لا يوصل عليه إلا بمثله⁽³⁾.

ومفاد هذه القاعدة في شطرها الثاني أن اللغة قد لا تحيط بالحال الدوقي فوجب تسليم الحال لصاحبه باعتباره تجربة خاصة⁽⁴⁾.

3- من ظهرت عليه خارقة تقتضي ما هو أعلم من كرامته نظر فيه بفعله فإن صحّت ديانته معها فكرامة. وإن لم تصح فاستدارج أو سحر، وإن ظهر بعد ثبوت الرتبة منافع مما يباح بوجه أخذ بالتأويل مع إقامة الحق الشرعي إن تعيّن. وإن كان مما لا يباح بوجه فالحكم لازم والتأويل غير مصادف

(1) القاعدة التاسعة عشرة

(2) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 262.

(3) القاعدة التاسعة والثلاثون، ص 19.

(4) وكذلك تغليبها لحسن الظن.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فلزم الحكم عليه بحكمة. وأصل تأويل ما يباح بوجه مذكور في قضية الخضر وموسى عليهما السلام إذ بين الوجه عن فراقه⁽¹⁾.

وقصة الخضر مع موسى حجة قوية للصوفية في الحديث عن ظاهر الشريعة وباطنها. وقد ذكر القرآن الكريم وقائعها في سورة الكهف. وجعلها الشيخ زروق دليلاً على تأويل ما يباح.

4- انفراد الحق تعالى بالكمال قاض بثبوت النقص لمن سواه، فلا يوجد كامل إلا بتكميله تعالى. فالنقص أصل والكمال عارض، فإن ظهر الكمال يوماً فهو فضل وإلا فالأصل هو الأوّل⁽²⁾.

وهذه القاعدة تثبت الفهم الذي يجب أن يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الكمال من الرجال أو نظرية الإنسان الكامل مثلاً⁽³⁾.

5- فائدة التدقيق في عيوب النفس وتصرفها، وتعريف دقائق الأحوال معرفة المرء بنفسه وتواضعه لربه ورؤية قصوره وتقصيره. وإلا فليس في قوى البشر التبرّي من عيب بإزائه، إذ لو أتك لا تصل إلى الله إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً⁽⁴⁾.

ومن جملة دقائق النفس ذكر الشيخ زروق أنواع الخواطر التي ترد عليها وأنه أربعة:

(1) القاعدة السابعة والأربعون بعد المائة، ص 76.

(2) القاعدة الخامسة والستون بعد المائة ص 86.

(3) سيرد ذكرها في مبحث لاحق.

(4) القاعدة التسعون بعد المائة ص 97.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- رباني وهو لا متزحزح ولا متزلزل.
 - نفساني ومجراه الشهوات إن نقص بقي على حاله.
 - ملكي لا يأتي إلا بخير
 - شيطاني تصحبه كزازة في النفس وضيق.
- وذهب أبعد من هذا فقال إن الشيطاني يأتي من يسار القلب والملكى من يمينه والنفساني من خلفه والرباني مواجه له⁽¹⁾.
- ولا شك أن هذا الاستبطان لحقائق النفس إنما هو صورة عن موقع صاحب القواعد في دنيا البحث في مجاهلها.

بعد هذه الوقفة مع الحكم العطنائية وقواعد الشيخ زروق أذكر خدمة لأمانة العلم أن ابن عربي قد وضع رسالة في الموضوع نفسه - أعني اللغة الحكيمية - نشرت ضمن مجموعة رسائل ابن عربي⁽²⁾. وهي أشد اختصاراً من حكم ابن عطاء الله إذ لا تكاد في كثير من الأحيان تتعدى الجملة الواحدة وقد بين الفرض منها فقال: "هذه نبذة لطيفة وكلمات ظريفة يستعان بها في طريق أهل الله تعالى، وهي الحكم الإلهية الجارية على لسان بعض أهل الله⁽³⁾."

وقد جاءت حكم ابن عربي في نحو سجي ومنها:

(1) الشيخ زروق، قواعد التصوف، ص 98.

(2) محي الدين بن عربي، مجموعة رسائل ابن عربي، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2000.

(3) المصدر السابق، المجلد 1، ص 577، وبني باهل الله الصوفية الحكماء.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1 - تجلّي الحقّ لكلّ فرد من أفراد الموجودات بما يليق به من سرّ التجليات⁽¹⁾.

2 - توافق الخلق من حيث لطائف الأرواح واختلفوا من حيث كثائف الأشباح⁽²⁾.

3 - ما دمت في طلب الحقّ فلا تقف مع الخلق⁽³⁾.

وعددها ست وخمسون ومائة حكمة، ثم أتبعها برسالة صفحتين عنوانها (كلمات بها حدود هذه الأصول)⁽⁴⁾ وهي في فنّ المصطلح بها ستّة عشر مصطلحا ثم كتب (الاقتباسات الإلهامية)⁽⁵⁾ وهي حكم قصيرة جدا منها " من كتم ثم " ⁽⁶⁾ و"من انفصل اتصل " ⁽⁷⁾ و " من اتقى ارتقى " ⁽⁸⁾.

أنتقل بعد الحديث عن اللغة الحكيمة عند الصوفية إلى مبحث اللغة السريانية كما تداولها بعض الأكابر من الصوفية. وقد عانيت غير قليل حين أردت صياغة محتوى هذا الجزء من الكتاب لأسباب موضوعية منها:

1- إنّ اللغة السريانية غير منتشرة في طيات الكتب الصوفية كلها كما قد يظن بعض الباحثين بل تجد بعض

(1) نفس المصدر، م 1، ص 577

(2) نفس المصدر م 1، ص 578.

(3) نفس المصدر، م 1، ص 579.

(4) ابن عربي، كلمات بها حدود هذه الأصول، مجموعة رسائل ابن عربي، م 1، ص 591.

(5) ابن عربي، الاقتباسات الإلهية، مجموعة رسائل ابن عربي، م 1، ص 593.

(6) المصدر السابق، ص 593.

(7) المصدر السابق، ص 593.

(8) المصدر السابق، ص 593.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ألفاظها مضمّناً في أدعية أو أحزاب أو أوراد لهذا العَلَم أو ذاك من الصّوفية فيكون الوصول إليها بعد مطالعة مضمّنية لكنها لا تخلو من إمتاع.

2- إنّ اللغة السّريانية ليست من اللغات المتداولة اليوم فيستعان عليها بالمعاجم والقواميس لفك المبهم منها.

3 - إنّ اللغة السّريانية هي حكر على ما دون أصابع اليدين من أكابر الصوفية، فالناقل للفظها قليل فضلاً عمّن يفهمها.

4- إنّ اللغة السّريانية جاءت مشكّلة ومكتوبة بأحرف عربية ولكن مجموع هذه الأحرف يضع الباحث أمام ألفاظ لا وجود لها في قواميس اللغة العربية إلا ما جرى اقتباسه وصار متداولاً بمعنى من المعاني كما سنرى.

5- إنّ هناك تداخلاً بين السّريانية وسرّ الحرف بل لا نكاد نجد انفصلاً بينهما.

وقد رأيت من الأنسب ترك مبحث الحرف للبحث ضمن دائرة الحرف والفلك الرّوحاني.

إنّ الحديث عن السّريانية داخل دائرة ضيقة من دوائر الإسلام وهي دائرة المتصوّفة لخاصّة الخاصّة منهم ليس بدعا من القول. ودليل ذلك بل الحجّة القويّة أنّني عدت إلى القرآن الكريم متنقلاً بين سور عديدة فوجدت القرطبي في جامعه (1) حين وصل إلى قوله تعالى (وَقَالَتْ هَيْتْ لَكَ) (2) قال: قال ابن

(1) وهو في تقديري أفضل تفاسير القرآن

(2) سورة يوسف الآية 33.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عبّاس والحسن هُنِت كلمة بالسّريانية تدعوه إلى نفسها⁽¹⁾.
ويكفي أن المنقول عنه هو ترجمان القرآن ابن عباس - رضي
الله عنهما -.

ثم وجدت جلال الدين السيوطي - وهو من هو إمامة
وعلمًا في تاريخ الإسلام⁽²⁾ يذكر في منظومة هذا البيت :
ومن غريب ما ترى العينان أن سؤال القبر بالسّرياني⁽³⁾.
والخلاصة التي وصلت إليها بشأن السّريانية أنها لغة
الأرواح في اعتقاد الصوفية بل أصل اللغات جميعا. وهذا
الدكتور عامر النجّار حين أورد دعاء الواقعة⁽⁴⁾ ضمن أحزاب
الشيخ عبد القادر الجيلاني الفقيه الحنبلي الصوفي⁽⁵⁾ علق
على قول الشيخ ضمن دعائه " أنت يا رب العالمين بحاء
الرحمة وميم الملك ودال الدوام يا من هو إخون قاف إدم حمّ
هاء أمين"⁽⁶⁾ بقوله: " إن هذه الأسماء من لغة الأرواح وبها
يتخاطب أهل الفتح الكبير، والمعاني في هذه اللغة تؤديها

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج9، ص164

(2) جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة 911هـ القرافة مصر بلغ مرتبة
الاجتهاد وكتب سائر علوم الدين، وله كتب عالية في التصوف منها " تنبيه
الغبي في تبرئة ابن عربي".

(3) جلال الدين السيوطي، منظومة السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني،
القاهرة، الطبعة الثالثة القاهرة، 1960، ص 28، وانظر أيضا " الإبريز"
لأحمد بن مبارك ص 218

(4) د/ عبد المجيد النجار، الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، الطبعة
الرابعة 1990، ص179.

(5) عبد القادر الجيلاني (471هـ - 561هـ) مؤسس الطريقة القادرية، فقيه
حنبلي عاش ومات ببغداد، غلب عليه التصوف وعرفه بأنه الصّدق مع الحقّ
وحسن الخلق مع الخلق، من مؤلفاته (الغنية) و (الفتح الرباني).

(6) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر ص 180.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الحروف الهجائية لا العبارات. فكلَّ حرف هجائي له معناه، وإذا ضُم إلى حرف آخر كان كعبارة مفيدة، ويرتقي المتكلم بها إلى معاني الحروف الهجائية وأسرارها ولا يعرف ذلك إلا الربانيون " (1). وقد وجدت في أثناء بحثي زيادة منسوبة إلى الشيخ المختار الكنتي (2) الكبير مع ذكر أمون عوض أمين والزيادة هي " أمون شتنوش شبرخ شبرخ خدمت النار من مخافته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " (3) إضافة إلى ذكر الاسم الأعظم بصيغة " أهم سقك حلع يص " وهو ما كرره المرزوقي (4) في (الجواهر اللماعة) (5) والطوخي في كتابه العرفاني الموسوم بـ: (كشف أسرار العلوم) (6) كما ذكر الدكتور عامر النجار " ظهور بدعق محببة سققاطيس إخون " وقال إنَّ الدسوقي أخذها من حزب الدائرة للشاذلي. (7). واختلط عليه الأمر فعلق في الهامش متحدثاً عن الحرف والوقف وهو أمر يرد معنا لاحقاً ولا علاقة له باللفظ

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) الشيخ المختار الكنتي الفهري القادري (1370 - 1811 م نفين برج باجي مختار بالجزائر، له الفضل في نشر الإسلام بين وثني مالي. كتب

(الطرائف والتلائد) و (رفع الالباس) وله ورقات مخطوطة اطلعنا عليها .

(3) المختار المنتي، ورقات مخطوطة عن بعض اتباعه

(4) من صيغ الاسم الأعظم عند الصوفية ولم ترد بها رواية حديث.

(5) علي أبو حيّ الله المرزوقي، الجواهر اللماعة، طبع دار المنار، تونس،

بدون تاريخ ص 57.

(6) عبد الفتاح السيد عبده الطوخي، كشف أسرار العلوم، مطبعة علي

صبيح، القاهرة بدون تاريخ، ص 110 ونكر (كسق) عوض (سقك) وهو

خطاً مطبعي فيما اقتدر.

(7) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص 169.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

السرياني من هذا الجانب على الأقل. وعلة هذا الخلط فيما أقره نقله عن ابن خلدون بعض تعليقه على الحروف والأسماء والأوقاف. وسيرد معنا لاحقاً.

وذكر الشعراني في (الطبقات الكبرى) المسماة (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ⁽¹⁾ حين ترجم لسيدي عبد الرحمن المجذوب أنه " كان يتكلم بالسرياني" ⁽²⁾. بل إنه حين ترجم للعارف بالله سيدي إبراهيم الدسوقي ذكر أنه كان يتكلم السريانية ⁽³⁾. وذكر بعض كلامه في هذا الباب وها أنذا أورده كما هو لعدم إمكان التصرف.

1- ... ولا بباطني شظا ولا حريق لظي، ولا جوى من مضى، ولا مضض غصا ولا نكص نصا ولا سقط نطا ولا نطب غضا ولا عطل حظا ولا شنب سري ولا سلب سبا ولا عتب فجا ولا سمداد صدا ولا بدع رضا ولا شطف جوا ولا حتف حرا ولا خمش خيش ولا حفص عفص ولا خفض خنس ولا حولد كنس ولا عنس كنس ولا عسعس خدس ولا جيقل خندس ولا سطاريس ولا عيطافيس ولا هطامرش ولا سطاتمريش ولا شوش أريش ولا ركاش قوش ولا سملادنوس ولا كتبا سمطلول الروس ولا بوس عكمسوس ولا انفداد أفاد ولا قمداد أنكاد ولا بهداد ولا شهداد. ولا بدّ من العيون ولا لنا فعل إلا في الخير والتوال ⁽⁴⁾.

(1) عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، الطبعة الأولى ودار الكتب العلمية، بيروت 1997.

(2) المصدر السابق، ص 478.

(3) نفس المصدر، ص 237.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2 - ... وعلومٌ مختلفةٌ متنوّعةٌ محجوبةٌ معلومةٌ لا معلومةٌ معروفةٌ ولا معروفةٌ غريبةٌ عجيبةٌ سهلةٌ شطةٌ فائقةٌ طعمٌ ورائحةٌ، وشمٌ يم محلٌ جميلٌ جمدٌ راب علوبٌ نغطٌ نبوطٌ هوبطٌ سهبطٌ جرموا غميطا غلب عمن عسب غلب عرماد علمود على عروس علماس مسرود قدقد فرسم صباع بناع سرنوع ختلوف كذاف... وقد سطرنا لك يا ولدي تحفةً سنّيةً ودرّةً مضيةً ربانيةً سريانيةً... وإنما تصفح المبهم المغلق المغرب الذي سرّه مغطى بالرموز (1).

والتصان وإن مزجا باللفظ العربي فإنهما مثلٌ حيّ عن

لغة بعض أفراد الصوفية وهي اللغة السريانية التي يستحيل فهمها وإن كانت جماع أحرف عربية. ولا يمكن إغفال العلاقة بين السريانية والرمز كما ختم به الدسوقي كلامه.

والحق أنّ المصدر الصوفي الوحيد الذي جلى لي هذه المسئلة هو كتاب (الإبريز) (2) لأحمد بن المبارك المالكي الفاسي. وهو كتاب ضخم يضمّ عدّة فصول نقلها المؤلف من كلام شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ. فإنه لما سأله عن معنى قوله ﴿يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (3) أجابه بأنّ الساق هو الجدّ في اللغة السريانية (4) ثم شرح له معنى الإنجيل وأنه لفظ سرياني يعني نور العين (5)، وأنّ اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(1) نفس المصدر، ص 238.

(2) أحمد بن المبارك، الإبريز (وعنوانه الأصلي الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ) دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

(3) سورة القم الآية 42.

(4) أحمد بن المبارك، الإبريز ص 213.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مشفح سرياني يفيد الحمد⁽¹⁾ وسأله عن "أحمى حميئا أطمى طميئا"⁽²⁾ فقال هذه كلمات سريانية . وجزم بأنّ قائلها من الأكابر . أما أحمى فتعني يا ملك الملك العظيم الأعظم يا حيّ يا قيوم وحميئا إشارة إلى مملكته وما تحتويه . أمّا أطمى فمعناه يا عالم كل شيء ومدبره وقاهره . وطميئا تشير إلى الأشياء والممكنات والمحكومات التي يتصرّف فيها، ثم أضاف "وفي هذا الاسم سرّ عجيب لا يطيق القلم ولا العبارة تبليغه"⁽³⁾ . فقد جاء في (الإبريز) أنّ اللغات كلها تتصّف بالإطناب مقارنة بالسريانية التي تتركب من الحروف لا من الكلمات وكلّ حرف فيها يؤدّي إلى معنى مفيد "ومن عرف لأيّ معنى وضع كلّ حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يحبّ وارتقى بذلك إلى معرفة أسرار الحروف"⁽⁴⁾ . والسريانية هي أصل اللغات كلها وبها تكلم آدم - عليه السلام - مع أولاده وزوجته⁽⁵⁾ . قال "ومن تأمل كلام الصبيان الصغار وجد السريانية كثيرا في كلامهم"⁽⁶⁾ لقرب عهدهم بعالم الأرواح . مثال ذلك لفظة "أغ" التي ينطقها الصغار فإنها "اسم من

(1) نفس المصدر نفس الصفحة.

(2) وردت هذه الألفاظ السريانية في دعاء للشيخ إبراهيم الدسوقي .

(3) المصدر السابق ص 214 .

(4) المصدر السابق ص 215، وأضاف "إن اللغة السريانية سارية في

جميع اللغات سريان الماء في العود لأن حروف الهجاء في كل كلمة من كل

لغة قد فسرت في السريانية ووضعت فيها لمعانيها الخاصة" ص 215 . ثم

استطرد فقال "فالسريانية هي أصل اللغات بأسرها واللغات طارئة عليها"

نفس الصفحة.

(5) المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

(6) المصدر نفسه، ص 217 .

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أسمانه تعالى يدلّ على الرّفعة والعلوّ واللفظ والحنان فهو بمنزلة من يقول يا عليّ يا رفيع يا حنان يا لطيف" (1).

وقد توقف صاحب الكتاب عند فواتح سور القرآن التي طال وقوف المفسّرين عندها فتناولها من حيث الدلالة الرّمزية على ما جاء في السور كلها مثل (ص) و (ق) و (كهيعص) وجزم أنّ من عرف السريانية - التي هي لغة الأرواح - "أعانه ذلك على فهم باطن القرآن عوناً كثيراً" (2) كما ذكر الفاظاً قرآنية وافق المفسّرين على أنها سريانية مثل عدن ورهوا وهيت. ويهمّني كثيراً في هذا المبحث ذكر الدلالة الرّمزية للحرف من حيث كونه يشكل أداة لمخاطبة الأرواح، فإنّ (ق) الذي هو اسم لسورة قرآنية مشكل من ثلاثة أحرف هي القاف والألف والفاء. وضّم القاف إلى الألف يفيد معنى الحضرتين حضرة الأرواح وحضرة الأشباح وهما حادثتان قبل خلق السماوات والأرض. كما يفيد تصرّف الخالق فيهما بالخير والشرّ. أمّا حرف الفاء فيفيد اختصاص الله تعالى بإزالة الشرّ من الوجود. ففي هذا الحرف كمسمّى لما ورد في السورة حديث عن أسرار الرسالة والنبوة والملائكة والولاية التي في الخلق. (3).

ومن المهمّ التنبيه إلى أنّ اتحاد الرّموز لا يفيد اتحاد المعاني كـ (الم) في البقرة و (الم) في آل عمران. وهذا لارتباط الرّمز بحقيقة السّورة.

(1) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(2) المصدر نفسه، ص 224.

(3) نفس المصدر، ص 231.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ قيام الحروف مقام الكلمات في لغة الأرواح - وهي السريانية - ⁽¹⁾ يحيلنا إلى الحديث عن معنى كلّ حرف حسب ما جاء في هذا المصدر اليتيم، وإن كان غير المؤلف كابن عربي والمرزوقي والبوني قد تناولوا الحرف ولكن من زاوية أخرى غير السريانية نستعرضها لاحقاً في مبحث مستقل.

إنّ تشكّل الحرف - بفتحة أو رفعة أو كسرة - الذي هو نطقه يحيل إلى معنى خاص. ولهذا وضعت هذا الجدول لتقريب المعنى الروحي وإلا فإنّ الإحاطة متعذرة لسببين:

1- إن حديثنا هذا إنّما هو في الأصل لذوق الحرف وبما أن ذوقه متعذر فقد احتكنا إلى التحليل العقلي لمجرد التبسيط.

2- إنّ حديث المؤلف - المنقول عن شيخه - عن الحرف بما استعرضه في الجدول التالي جاء بعده مباشرة قوله "هذه أسرار الحروف ولكلّ حرف منها سبعة أسرار تنشأ من مناسبة المعاني السابقة وله سبعة أسرار تنشأ من مناسبة المعاني السابقة وله سعة أسرار آخر يناسب بها الكلام العربي"⁽²⁾ وكذا الكلام الأعجمي، ولم يفصل بشأن هذه المسألة لأنها من قبيل ما يذاق لا ما يُتعلّل.

الحرف	مفتوحاً	مضموماً	مكسوراً
الهمزة	إشارة إلى جميع الأشياء	إشارة إلى الشيء القليل القريب	إشارة إلى الشيء القريب المناسب

(1) هي لغة الغوث والأقطاب السبعة (الإبريز ص 222) مع إجماع الصوفية على أنها لغة الأكابر من أهل الفتح.

(2) نفس المصدر ص 239.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الباء	الذي هو في غيبة العز أو في غيبة الذل	ما دخل أو هو داخل على الذات	إشارة معها قبضي
الثاء	اسم للخير الكثير العظيم	اسم لما صنع وظهر	إسم للقليل البارز
الجيم	النبوة أو الولاية والخير الذي لا يزول	الخير الذي ينتفع به الناس	الخير الذي في الدآت من نور الايمان
الحاء	الإحاطة والشمول	العدد الكبير من الأسميين	إشارة إلى ملكية عدد كبير
الخاء	طول إلى النهاية	الكمال في الحيوانات	الكمال في الجمادات
الدال	الخارج عن الذات	ما في الذات أو هو داخل عليها	القليل القبيح مع الغضب
الذال	تعظيم ما ملكته الذات	الشيء الخشن العظيم القبيح	الشيء القبيح لا يعقبه غضب
الراء	جميع الخبرات الظاهرة والباطنة	الواحد الظاهر	الشيء الذي فيه روح
الزاي	الشيء الضار إذا دخل على غيره	القبيح الذي ضرر كالكبائر	القبيح الذي لا ضرر فيه كالصغائر
الطاء	الشيء الذي جنسه طاهر	الخبث	ما طبعه السكون
الظاء	العظيم في نفسه	الساعي في هلاك نفسه	ما طبعه الضرر
الكاف	العبودية الكاملة	القبيح	العبودية مضافة إلى الإنسان
اللام	الحصول على شيء عظيم	الشيء غير المتناهي	إشارة إلى وجود الشيء مع قلق

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

العزیز القلیل	نور الذات ظاهراً وباطناً	جمع المكونات	الميم
شيء يدركه المتكلم	الخير الكامل أو الثور الساطع	الخير الساكن في الذات	التون
الذات التي لا نبات فيها	الأرضون السبع	غبار الأرض في الموقف يوم القيامة	الصاد
الخضوع	الشيء الذي لا نور فيه	الصحة وعدم البلاء	الضاد
خبث الذات	الساكن في الذات لتقوم به	القدوم أو الرحيل	العين
سؤال عما تجهله	اسمه تعالى الحنان	النظر المبلغ لحقيقة الشيء	العين
زوال الخبث	الشيء القليل في الذات	نفي الخبث	الفاء
إشارة إلى الذل	النشأة الأصلية والعلم القديم	حياة الخيرات والأنوار	القاف
الشيء الغالب طبعه	الشيء القبيح الخشن	الشيء المليح الرفيق	السين
ما طبعه الستر	الأمر العالي في نفسه المعظم	الرحمة لا يعقبا عذاباً	الشتين
الخير الخارج من المخلوقات	من أسمائه تعالى	الرحمة الظاهرة	الهاء
المستقنر المبغوض	المباين للأني كالأفلاك	الأشياء المشتبكة في الإنسان	الواو
ما يستحي منه كالعورة	ما لا يثبت كالبرق	للخير والنداء	الياء

وأختم هذا المبحث الغامض بهذه الملاحظات:

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1 – إذا تناولنا التصوّف بموضوعيّة فإنّ السريانية تبقى من زوايا الغموض التي يجب الاعتناء بها على الأقلّ من زاوية الدلالة الحرفيّة كما فعلته في مبحث خاص بالحرف.

2- جاء في الجامع للقرطبي بابٌ عنوانه هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغة العرب أو لا؟⁽¹⁾ وكان الجواب أنّ بعض أسماء الأعلام كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط ليس عربيّاً⁽²⁾ وأنّ بعض الألفاظ كذلك، مثل قسورة أي الأسد فهي كلمة حبشيّة والغساق أي البرد تركيّة والقسطاس روميّة والسّجيل فارسيّة واليَم سريانيّة.⁽³⁾

3- ذكر الدكتور زكي مبارك أنّ الربّاني كلمة سريانية⁽⁴⁾ إلا أنّه نقد غرام بعض العرب بالبحث عن أصول غير عربيّة لها هو عربي وهذا في سياق ردّه لاشتقاق التصوّف من صوفيا بدل الصّوف قال فإذا وجد اللفظ في العربيّة والعبريّة فالعبريّة الأصل، وإذا وجد في العربيّة والسريانية فالأصل للسريانية...⁽⁵⁾

4- إنّ مقابلة اللغة الحكميّة باللغة السريانية في التصوّف الإسلامي هي مقابلة البسيط بالمعقد والسّهل بالمتنع، وإن كان المصدر واحداً.

5- إنّ السريانية وهي لغة الأرواح عند الصوفيّة ليست داخلة ضمن الشّطح ولا هي من قبيله إطلاقاً. وسيتبيّن هذا من

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج.1، ص.68.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) د/ زكي مبارك، التصوّف الإسلامي في الأدب والأخلاق ج.1، ص.43.

(5) المصدر نفسه، ج.1، ص.55.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

خلال العرض البسيط لمعنى الشطح، في نهاية هذا الباب قبل جدول المصطلحات.

6- إنّ عدم توقّر النصّ السرياني في التصوّف الإسلامي بالكمّ المطلوب للبحث فضلاً عن قلة من تحدّث عنه يجعل البحث في هذا الجانب عسيراً. وتبقى المحاولة مع ذلك ممكنة.

الفصل الرابع

[4]

الحرف والعدد والوقف والفلك

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يعتبر مبحث الحرف في اللغة الصوفية عند المسلمين أحد الأركان المهمة عند أكثر الباحثين، وهذا لاعتبارات أجملها فيما يلي:

1- إنّ مبحث الحرف ذو علاقة وطيدة باللون الثاني من التصوّف الإسلامي وأعني به التصوّف العرفاني الذي من أعلامه الجيلي وابن عربي وابن سبعين وغيرهم ممن تصعب قراءة ما كتبوا فضلا عن فهمه بدون مفاتيح أساسية تساعد على ذلك.

2- توجد علاقة وطيدة بين مبحث الحرف والحساب من جهة ومبحث الحرف والفلك الروحاني من جهة ثانية، وهو مبحث معقد تتعدّد تفرعاته لمن تناوله بالبحث.

3- إنّ هناك خلطا غير مقصود في الغالب بين علم الحرف - في السيمائية الصوفية - وعلوم السحر والطلسمات بسبب علاقة الحرف بالأسماء والأفلاك والساعات كما سيوضح لاحقا.

4- إنّ ذاتية بعض الباحثين تدفعهم إلى تجنّب الخوض في علم الحرف كمظهر لسيمائية التصوّف الإسلامي مخافة المحذور الذي ذكرته في الاعتبار الثالث.

والذي قدرته أنّ رسالة العلم تقتضي حدًا معتبرا من الموضوعية لتجلية بعض ما يتصل بهذه المسألة التي لا تمثل التصوّف الإسلامي بإطلاق وإنما حيزًا صغيرا من النوع الثاني من التصوّف - أعني العرفاني - لكنها لا تنفصل عنه بحال من الأحوال.

وسأتناول فيما يستقبل مبحث الحرف في القرآن أولا باعتباراه المصدر الأساسي للمعرفة عند صوفية الإسلام ثمّ

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

انتقل بعد ذلك إلى بحثه كما عرضته المصادر الصوفية، لأخلص في النهاية إلى نتائج هذه المحصلة البحثية.

إن مجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة. أما عدد آياته فستة عشرة وستمئة وستة آلاف آية. أما عدد كلماته فأربع وثلاثون وستمئة وسبعة وسبعون ألف كلمة، والعدد الإجمالي لحروفه هو واحد وسبعون وستمئة بعد ثلاثة وعشرين وثلاثمئة ألف حرف⁽¹⁾ رتبها السمرقندي في (بستان العارفين) كما يلي⁽²⁾.

(1) السيد صديق بن حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، الطبعة الأولى، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1999، ج2، ص 412.

(2)

عددتها في القرآن	الحروف
48871	ا
11428	ب
10199	ت
3293	ج
3993	ح
2416	خ
5672	د
4697	ذ
11793	ر
1590	ز
5891	س
2253	ش
2013	ص
1617	ض

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وفي الحديث الشريف " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف " (1).

وقد تناول العلماء هذا الحديث بالشرح فأوصلوه إلى خمسة وثلاثين وجهاً (2) اقتصر القرطبي منها على خمسة وهي:

- 1- المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة.
- 2- اللغات العربية السبع من يمن إلى نزار.
- 3- لغات مضر وهي لقريش وكنانة وأسد وهذيل وتيم وضبة وقيس.

1470	ط
842	ظ
9220	ع
2218	غ
8499	ف
6813	ق
9500	ك
30432	ل
26235	م
25536	ن
10070	هـ
4720	لا
(2) 25919	ي

(1) رواه مسلم والترمذي وفيه طول.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج1 ص42.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

4- وجوه الاختلاف في القراءة وهي (ما تتغيّر حرّكته ولا يزول معناه ولا صورته، وما لا تتغيّر صورته ويتغيّر معناه بالإعراب، ما تبقى صورته ويتغيّر معناه باختلاف الحروف، ما تتغيّر صورته ويبقى معناه، ما تتغيّر صورته ومعناه، ما يتغيّر بالتقديم والتأخير، ما يتغيّر بالزيادة والنقصان) وعدد هذه الأوجه سبعة.

5- معاني الكتاب وهي سبعة أمرٌ ونهي ووعد ووعد وقصص ومجادلة وأمثال⁽¹⁾.

ونقل ابن المبارك في (الإبريز) أنّ السيوطي في (الإتقان)⁽²⁾ أوصل أوجه تفسير الأحرف الواردة في الحديث إلى أربعين وجهاً⁽³⁾. وعلق على صعوبة اختيار وجه من هذه الأوجه فأحالها على شيخه فبيّن له الوجهة النورانية للأحرف السبعة المذكورة وهي حرف النبوة وحرف الرّسالة وحرف الأدمية وحرف الرّوح وحرف العلم وحرف القبض وحرف البسط.⁽⁴⁾

- 1- أمّا حرف النبوة فعلامته أن تكون الآية أمره بالصبر دالة على الحقّ مزهّدة في الدنيا.
- 2- أمّا حرف الرّسالة فعلامته أن تكون الآية دالة على درجات ومقامات الدار الآخرة.

(1) المصدر السابق ج 1، ص 49

(2) هو كتاب الإتقان في علوم القرآن.

(3) بعد أن استعرض كلام الباقلاني في (الانتظار) وابن الجزري في (النشر)

وإبن حجر في (فتح الباري) ص 64 من الإبريز.

(4) ابن المبارك، الإبريز، ص 65.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

3- أما حرف الرّوح فدالّ على النّور الموضوع في ذوات الأدميين.

4- أما حرف الرّوح فيدلّ على الصفات العليّة للذّات المقدّسة.

5- أما حرف العلم فيدلّ على أحوال الأمم المتقدّمة وهو حرف القصص القرآني والمواظ والحكم.

6- أما حرف القبض فدالّ على أهل الكفر والظلام.

7- أما حرف البسط فدالّ على أحوال التّعيم فحقيقة الحرف المقصود هنا حقيقة نورانية وكلّ آية - وهي الدلالة الأولى للحرف - " فتح خاصّ وذوق معلوم " (1) وقد وضعتُ للحروف - من حيث الدلالة - جدولاً ذكرت فيه الحرف وخصوصيته وموقعه من الأحرف السبعة باعتبارها صورة الحقيقة المحمدية وحالها عند التنزيل (2).

الحرف	الخصوصيّة	موقعه من الأحرف السبعة
الهمزة	الامتثال	من أجزاء القبض
الباء	السكينة	من أجزاء الرّسالة
الثاء	كما الحواس الظاهرة	من أجزاء الأسمية
الذّاء	الإتصاف	من أجزاء القبض

(أ) المصدر السابق ص 67 أضاف بعد ذلك " إنّ تسكين الحروف ورفعها بنشأ عنه القبض والنصب بنشأ عن حروف الرّسالة والخفض بنشأ عن حروف الأسمية " ص 67 .

(ب) باعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بين الحق والخلق، وسيرد معنى الحقيقة المحمدية في مبحث المصطلح.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

من أجزاء النبوة	الصّبر	الجيم
من أجزاء النبوة	الرحمة الكاملة	الحاء
من أجزاء الرّوح	نوق الأنوار	الخاء
من أجزاء الرّوح	الطهارة	الدال
من أجزاء العظم	معرفة اللغات	الذال
من أجزاء البسط	حسن النّجّاوز	الراء
من أجزاء الرّسالة	الصّدق	الزّاي
من أجزاء الرّوح	التّمييز	الطاء
من أجزاء الأدمية	نزع حظ الشيطان	الظاء
من أجزاء النبوة	معرفة الله	الكاف
من أجزاء الرّسالة	العظم الكامل	اللام
من أجزاء الأدمية	النكورية	الميم
من أجزاء البسط	الفرح الكامل	النون
من أجزاء الأدمية	العقل الكامل	الصاد
من أجزاء النبوة	قول الحقّ	الضاد
من أجزاء النبوة	العفو	العين
من أجزاء الأدمية	كمال الصّورة الظاهرة	الغين
من أجزاء العظم	حمل العظم	الفاء
من أجزاء الرّوح	البصيرة	القاف
من أجزاء البسط	التواضع	السين
من أجزاء القبض	قوة الانطواء	الشين
من أجزاء القبض	النفرة من الأضداد	الهاء
من أجزاء الرّسالة	الموت والحياة	الواو

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

من أجزاء الرّوح من أجزاء التنبؤة ⁽¹⁾	عدم الغفلة الخوف التام والله عز وجل	اللام ألف الياء
(2)		

ولا بدّ بعد وضع هذا الجدول من التنبه إلى كون دلالة الحرف في الجدول الخاص بالسريانية هي دلالة المعنى. أمّا دلالة الحرف ضمن هذا الجدول الأخير فباعتبار الأنوار السبعة المسماة أحرفا فهي دلالة نورانية ذوقية مخصوصة بالواسطة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويمكن اختصارها بالقول إنّ للتنبؤة من حيث حرفيتها النورانية ستة حروف هي الجيم والحاء والكاف والضاد والعين والياء، وللرسالة أربعة حروف هي: الباء والزاي واللام والواو، وللأدمية خمسة أحرف هي: التاء والطاء والميم والضاد والغين، وللروح خمسة أحرف أيضا وهي: الدال والحاء والطاء والقاف واللام ألف، وللعلم حرفان الدال والفاء وللقبض أربعة أحرف هي الهمزة والثاء والشين والهاء ولللبس ثلاثة أيضا هي الراء والنون والسّين. وصورة هذا البعد الرمزي مجدولة هي :

الأحرف المعنوية الصادرة عنه	الحرف التنزيلي
الجيم، الحاء، الكاف، الضاد، العين، الياء	حرف التنبؤة
الباء، الزاي، اللام، الواو	حرف الرسالة

(١) ابن المبارك، الإبريز ص 93.

(٢) ابن المبارك، الإبريز ص 93.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

حرف الأدمية	التاء، الضاء، الميم، الصاد، الغين
حرف الروح	الدال، الخاء، الطاء، القاف، اللام ألف
حرف العلم	الدال، الفاء
حرف القبض	الهزة، التاء، الشين، والهاء
حرف البسط	الراء، التون، السين (1)

أخلص بعد ذكر هذين الوجهين للحرف وهما الوجه الظاهري كما ذكره القرطبي وهو أساس التفسير، والوجه الباطني كما جاء في (الإبريز) وهو أحد أصول التأويل. لأتحدث عن ثلاثية سيميائية هي: الحرف، والوقف والفلك. أما الحرف فهو الأصل وأما الوقف فلكونه يمثل القيمة الرقمية للحرف، وأما الفلك فأعني به الفلك الروحاني لعلاقة الحرف والوقف به.

ولا بد في هذا الصدد من إدراج هذه الملاحظات :

1- يسمى علم أسرار الحروف السيميا وهو الاسم الذي أورده ابن خلدون (2) المؤرخ الثبت في كتاب (المقدمة) (1).

(١) عدد الأحرف هنا هو تسعة وعشرون، وباعتبار اللام ألف مشكلا من حرفين، فإن العدد هو ثمانية وعشرون كما هو معلوم، وهو ذو دلالة رمزية كما سنقف على ذلك.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن خلدون جدّه السابع. ولد في 27 ماي 1332 بمدينة تونس وتوفي في 17 مارس 1406 الموافق لـ 26 رمضان 808 بمصر. أشهر كتبه " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- هناك شخصية محورية في علم أسرار الحروف ذكرها ابن خلدون ومن جاء بعده حين يردُّ مبحث السّيمياء فيما يكتبون. وهذه الشخصية هي أبو العباس البوني.⁽²⁾

3- يتعدّد تناول مبحث السّيمياء - أي علم الحرف في التصوّف الإسلامي العرفاني - دون ذكر شخصيتي ابن عربي والبوني كما يتبين من بحثنا لاحقاً.

4 - يعتبر ابن خلدون الوحيد من بين علماء الإسلام الذي تناول علم الحروف بالعمق الذي وجدته في (المقدّمة)، وفوق ذلك بالعدالة الظاهرة في الحكم، إذ فرّق بين ما يحصل من طريق الفتح الإلهي وما يحصل من طرق منافية لروح الدّين أعني السّحر والطلسمات.

5- إنّ مبحثنا الذي نحن بصدده لا يتناول التّنجيم ولا علم الفلك وإنما علاقة الحرف والوقف بالفلك وهذا داخل دائرة التصوّف العرفاني عند المسلمين.

أقول بعد هذا إنّ اللغة العربيّة تتشكل من ثمانية وعشرين حرفاً هي : أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضظغ. قال ابن تيمية: " إنّما ألفت ليعرف تاليف الأسماء

المشهور بمقدمته. كما كتب " شفاء السائل لتهديب المسائل " في آخر حياته وهو في التصوّف.

(١) ابن خلدون ، المقدمة، الدار التونسية للنشر 1984 ، ج 2، ص 631.

(٢) سيرد التعريف به بعد حين.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم ولفظها " (1)
وأنكر أن تكون منسوبة لأشخاص أوجدوا وهواز الخ... (2)
أما أعداد هذه الحروف فهي:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر
20	30	40	50	60	70	80	90	100	200
س	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ		
	300	400	500	600	700	800	900	1000	

وهذا بحساب الجَمَل (3) وهو حساب معروف عند المغاربة والمشاركة بالجَمَل الصغير والجَمَل الكبير ويُقابل حروف المعجم. وقد ذكر ابن خلدون أن: "أهل التصرف من المتصوفة" (4) زعموا أنّ الكمال الأسماني مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في

(1) ابن تيمية (مجموعة الرسائل والمسائل) نقلا عن رسالة شريفة في أعداد الحروف والأوقاف للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعائي، الطبعة الأولى، دار القدس صنعاء 1992 ص10.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) أبو مضر الفلكي، المكتبة الشعبية، بيروت، بدون تاريخ، ص2.

والطوخي، كشف أسرار العلوم ص 10، وعبد الباقي في مفتاح ورقات حول الجدول المعثر للبوئي ص1، والصنعائي، رسالة شريفة في أعداد الحروف والأوقاف ص 9.

(4) ابن خلدون المقدمة، ص 631.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الأسماء فهي سارية في الأكوان على هذا النظام " (1) ثم ذكر بناء على ذلك أنه تعين بسبب " سرّ التصرف الذي في الحروف " (2) رجوع العناصر الأربعة إلى الحروف فلعنصر النار الألف والهاء والطاء والميم والفاء والسين والذال ولعنصر الهواء الباء والواو والياء والنون والضاد والتاء والطاء ولعنصر الماء الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والثاء والغين ولعنصر التراب الدال والحاء واللام والعين والراء والحاء والشين. (3) وقد وجدت هذا التعيين عند المرزوقي في (الجواهر اللماعة) مع زيادة الوزن والرتبة وبينهما خلاف فيما يقابل العناصر من حروف. وصفة الجدول الذي وضعه هو:

الرتبة	الوزن	الحروف المائية	الحروف الهوائية	الحروف الترابية	الحروف النارية
مرتبة	7	د	ج	ب	أ
درجة	6	ح	ز	و	هـ
دقيقة	5	ل	ك	ي	ط
ثنية	4	ع	س	ن	م
ثلاثة	3	ر	ق	ص	ف
رابعة	2	خ	ث	ت	ش
خامسة	1	غ	ظ	ض	ذ

(1) المصدر نفسه، نفس الصفحة

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر ص 632.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

(1)

والذي عند ابن خلدون خطأ كما يتبين من الجدول الذي عند البوني⁽²⁾.

أمّا التناسب الذي بين الحروف والأعداد والطبائع فيرى ابن خلدون أنه " أمرٌ عسير على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وإنما مستندهم (يعني الصّوفية) فيه الدّوق والكشف⁽³⁾ ثم استشهد لكلامه فقال " قال البوني: ولا تظنن أنّ سرّ الحروف ممّا يتوصّل إليه بالقياس العقلي وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي"⁽⁴⁾.

والبوني الذي تردد اسمه مرّات عند ابن خلدون والصنّعاني وعبد الباقي مفتاح، صوفي من المغرب الأوسط توفي سنة اثنين وعشرين وثمانئة للهجرة بمصر، ذكره النّبهاني في (جامع كرامات الأولياء)⁽⁵⁾ تحت اسم أبو العباس أحمد بن علي البوني، وقال إنّ أبا العباس المرسي أشهر تلامذة أبي الحسن الشاذلي ووارثه قد أخذ عنه⁽⁶⁾. كما ذكر له ابن خلدون كتاب (الأنماط) وهو غير موجود اليوم. وذكر له عبد

(1) المرزوقي ، الجواهر اللماعة ص 13.

(2) البوني منبع أصول الحكمة، ص 64

(3) ابن خلدون، المقدمة ص 632.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) يوسف النّبهاني، جامع كرامات الأولياء، دار الفكر، بيروت 1993.

(6) المصدر السابق، ج 1، ص 508.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الباقى مفتاح كتاب (منبع أصول الحكمة)⁽¹⁾، ومحقق رسالة الصنّاعاني كتاب (شمس المعارف الكبرى)⁽²⁾ وهما مطبوعان وقد اطلعت عليهما أكثر من مرّة.

والبوني هو صاحب النصّ السّرياني المسمّى (البرهنية)⁽³⁾ والمتضمن لألفاظ الجلالة بهذا اللسان الرّوحاني. وعنه نقلها الطّوخي في (أسرار العلوم)⁽⁴⁾ دون أن يذكر اسمه. ووجدت أن الشّعرائي في طبقاته يقول "ومن فهمه الله تعالى في كتابه أعطاه تأويل كلّ حرف منه وما هو معناه وما سبب كلّ حرف وما صفة كلّ حرف، وعلم المكتوب من الحروف في العلويّ والسّفليّ والعرش والكرسيّ والسّماء والماء والفلك والهواء والأرض"⁽⁵⁾ ولكنّه في الكتاب ذاته حين يترجم لأشهر شيوخه وهو إبراهيم المتبولي يقول "وكان يحطّ على من يسلك برياضات البوني"⁽⁶⁾ وكأني به يعني الذين أساءوا فهم مشرب البوني كما يتّضح من كلامه. وقد أجاد ابن خلدون حين فرّق في هذا الشأن بين أرباب الطلسمات وأرباب الأسماء فقال بعد أن شتّع على أهل الطلسمات "بخلاف أهل

(1) أبو العباس البوني، منبع أصول الحكمة، مطبعة المشهد الحسيني،

القاهرة، بدون تاريخ .

(2) أبو العباس البوني، شمس المعارف الكبرى، الطبعة الأولى، دار المنار

تونس 1990.

(3) ومنها برهنية، كريب، تتليه، طوران، مزجل، بزجل، ترقيب، برهش،

غش، خوطير، قنهود إلخ...

(4) الطّوخي، أسرار العلوم، ص 15.

(5) الشّعرائي، الطبقات الكبرى ص 243.

(6) نفس المصدر، ص 402.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الأسماء فإن رياضتهم هي الرّياضة الكبرى وليست لقصد التصرّف في الأكوان إذ هو حجابٌ وإتما التصرّف حاصل لهم بالعرض كرامة من كرامات الله لهم" (1).

وقد ذكر المرزقي في (الجواهر اللماعة) (2) ما يقابل كلّ حرف من الأسماء وها أنذا أثبت ذلك في جدول مع ذكر أعداد الحروف بالجمّل الصّغير والجمّل الكبير كما جاء في الأصل.

وهذا الجدول:

الأحرف	العدد بالجمّل الصغير	عدد بالجمّل الكبير	أسماء الله التي توافقه
أ	1	111	الله، أول، آخر أحد
ب	2	3	بر، بديع، باقي، بارئ، باسط، باعث، باطن
ج	3	53	جليل، جامع، جبار
د	4	35	دائم، ديان، دافع
هـ	5	6	هادي
و	6	13	ودود، واسع، وهاب،

(1) ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 633.

(2) المرزوقي، الجواهر اللماعة، ص 17.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وكيل، ولي، واجد			
حي، حسيب، حنان، حليم، حكيم، حميد، حق، حفيظ	9	8	ح
طيب، طاهر	10	9	ط
ياه، يواه (أ)	11	10	ي
كريم، كبير	101	20	ك
لطيف	71	30	ل
مقني، معطي، مانع، مقيت، منتقم، مجيب، مجيد، متعال، مؤمن، مهيم، ملك، متين، منكبر، مصور، محصي، مبدئ، معد، محيي، مميت، ماجد، مقتدر	90	40	م
نور، نافع	106	50	ن
سلام، سريع، سميع	120	60	س
عزيز، عليم، علي، عدل، عظيم، عفو	130	80	ع
فرد، فاطر، فتاح	81	80	ف
صمد، صادق، صبور	95	90	ص
قادر، قدير، قوي، قهار، قابض، قيوم، قدوس	181	100	ق

(أ) ليس من الأسماء التوقفية وعددها تسعة وتسعون .

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ر	200	201	رب رحمن، رحيم، رؤوف، رزاق، رقيب، رشيد
ش	300	360	شهيد، شكور
ت	400	401	تواب
ث	500	501	ثابت
خ	600	601	خالق، خافض
ذ	700	731	ذو الجلال والإكرام
ض	800	805	ضار
ظ	900	901	ظاهر
غ	1000	1060	غفار، غني، غفور

أما عن سر العلاقة بين الحرف والاسم فإنّ الأصل في كلمة سيميا أنها" لفظ عبراني معرّب أصله سيم يه ومعناه اسم الله " (1) وعند اليوناني أنّه شيم يه بنفس المعنى والأصل مع وضع الشين بدل السين (2) ونسب صاحب (أبجد العلوم) إلى ابن سينا "أمورا غريبة تنقل عنه في هذا العلم" أي السّيمياء (3). وقد عثرت على كتاب ينسب إليه عنوانه (مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية) (4) وتحتها (في الطب

(1) السيد صدّيق القنوجي، أبجد العلوم، م2، ص 277.

(2) اليوناني، منبع أصول الحكمة، ص 3.

(3) القنوجي، أبجد العلوم، م2، ص 277.

(4) ابن سينا، مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية، للمكتبة الشعبية، بيروت، لبنان.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والسّيما والأبواب والعزائم والطّوالع والبروج والطّبائع والطلاسم) ويحتوي أوفاقا وجداول وحساب الجمل الكبير⁽¹⁾. وأشك في نسبته إليه ولكن دون كبير جزم.

وجزم البونوي أنّ وضع الحروف بطريقة أبجد هوز سرياني محض نزل على " آدم وإدريس ونوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " ⁽²⁾. ويقابله أيقغ بكر عند الحكماء وهو " طريقة سمسارا الحكيم " ⁽³⁾. وهذا الترتيب الثاني للحروف يحتفظ بنفس الحساب العددي مع الترتيب السرياني فالألف تساوي واحدا والباء اثنين وهكذا فيكون جدولها كالتالي: ⁽⁴⁾

أيقغ	بكر	جلىش	دمت	هنت	وسخ	زغد	حفص	طصظ
111	222	333	444	555	666	777	888	999

والعلاقة بين الاسم والحرف هي بدهاة كون الأسماء الإلهية مركبة من حروف وهذه الحروف لها دلالاتها الظاهرة والنورانية فكان التلازم. ثم إن الصّوفية شغلوا أنفسهم في الجانب العرفاني بتحصيل الاسم الأعظم باعتباره مفتاح الأسرار الوجودية⁽⁵⁾، وعليه مدار السّيما في الأصل. ومن

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 73، وهو نفس الحساب الذي مرّنا في الجدول السابق.

⁽²⁾ البونوي، شمس المعارف الكبرى ص 365.

⁽³⁾ نفس المصدر، نفس الصفحة.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 387.

⁽⁵⁾ هو الاسم الذي تصرّف به صاحب سليمان عليه السلام كما جاء في سورة النمل (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التحقيق الدّوقي عندهم يتبين أنّ هذا الاسم هو من تجليات الحق الذي (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)⁽¹⁾ بين تجليات جمالية وأخرى جلالية. فالأولى بأسماء الإكرام كالفتاح والرزاق والعمو والغفور والرحمن والرحيم والأخرى بأسماء الجلال كالقهار والجبار والمنّقم إلخ....⁽²⁾ وبما أن تجلياته سبحانه متغيرة فقد شغل العرفانيون أنفسهم ببحث إطار الزّمن فكان الارتباط بين الحرف والاسم من ناحية واليوم والليلة من ناحية أخرى ثم بالفلك وهو التاموس الكوني الذي نتعرّف إليه من خلال منازل الفلك الثمانية والعشرين المناسبة تماما لعدد الحروف.

ولا أعني بالمنازل الفلكية الكواكب السبعة فتلك تُناسب أياما سبعة وأملاكا علوية سبعة وأخرى سفلية سبعة وهكذا.

ويمكن توضيح هذا التناسب الحرفي الأسمائي الفلكي من خلال جدول أيقف الذي مرّ معنا.

الحرف	اليوم	الكوكب	الاسم
أيقف	الأحد	الشمس	حي قيوم
بكر	الاثنين	القمر	رحمن رحيم
جلس	الثلاثاء	المريخ	ملك قدوس
دمت	الأربعاء	عطارد	كبير متعال

سورة النمل الآية 40. ووردت الأحاديث بصيغ عديدة للإسم الأعظم. وسنذكره حين نعرض لمعنى الحرف عند ابن عربي.

(¹) سورة الرحمن الآية 29. ولابن عربي رسالة في الحرف والوقت عنوانها (أيام الشأن).

(²) نتعرض في مبحث المصطلح إلى معنى الجلال والإكرام.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

شديد ذو القوة	المشتري	الخميس	هنت
فتاح رزاق	الزهرة	الجمعة	وسخ
قوي قادر	زحل	السبت	زغد
قوي	الجوزاء	الأحد	حفض
.....	طصظ

(1)

أما الحرف فله قيمة عددية وأما الاسم فيه يكون التصرف وهو يناسب حرفا أو عدة حروف وأما اليوم فينقسم إلى ساعات وكذلك الليل والساعات بدورها تنقسم إلى ساعات سعيدة وأخرى نحيسة وأما الفلك فالمقصود منه روحانيته فالعرفانيون من الصوفية مجمعون على أن الفلك له أرواح ملائكية تدبره. وصاحب الاسم بعد تحقيق المناسبة الحرفية والزمانية والفلكية بإمكانه: "استنزال روحانية الأفلاك" (2) مع إثبات التأثير لله تعالى. والفرق بين أهل الطلسمات وأهل التصوف، أن أهل الطلسمات يترضون للتصرف بخلاف الصوفية فإن هذا التصرف قد يحصل لهم دون تدبير. وهذا رأي ابن خلدون (3) قال: وقد يمزج صاحب الأسماء قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الأسماء الحسنى أو ما يرسم من أوقافها، بل ولسائر الأسماء أوقاتا تكون من حظوظ الكوكب الذي يناسب ذلك الاسم... إلا أن مناسبة الكلمات

(1) البوني، شمس المعارف الكبرى ص 387.

(2) ابن خلدون المقدمة، ج2، ص 633.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عندهم (أي أصحاب الطلسمات) ليست كما هي عند أصحاب الأسماء من الإطلاع في حال المشاهدة (أي الكشف الصوفي) وإنما يرجع إلى ما اقتضته أصول طريقتهم السحرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في العالم من المكونات من جواهر وأعراض وذوات ومعان و الحروف والأسماء من جملة ما فيه⁽¹⁾.

وأحبّ في هذا الشأن أن أثبت كلاما للروحاني الغربي الشهير روني غينون⁽²⁾ حيث يقول " وإننا لا نخاف إذا قررنا وجود نفوس بالكواكب وأنّ لها تأثيرا فعلا على الحوادث الأرضية"⁽³⁾ كما أثبت عنصر القوى السابحة⁽⁴⁾ كعنصر خامس وأضاف " ونؤكد أن العقول التي تأثرت بالفكر الغربي سوف تتهمنا بأنّ ما نقرره خرافات ولكن ذلك لا قيمة له من جهتنا "⁽⁵⁾. وقد اطلعت على كتاب (Symboles

(1) المصدر السابق ص 634 ثم أضاف بأن هذا اللون من السحيم ضرب من السحر وأن التصرف في عالم الأكوان يكون لصنفين من البشر هما الأنبياء من طريق المعجزة والأولياء من طريق الكرامة

(2) روني غينون (1986 بفرنسا / 1951 بمصر) فيلسوف ورياضي فرنسي من أسرة كاثوليكية: أسلم سنة 1912 وتسمى عبد الواحد يحيى. تآثر بابن عربي. أشهر كتبه (رمزية الصليب) و (الرموز الأساسية للعلم المقدس).

(3) د/ عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، دار المعارف الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر 1988، ص 328 من نصوص مترجمة لغينون

(4) القوى السابحة أو الأثير هي : TAO-SI

(5) د/ عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية ص 328

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

(1) لغينون فأفنت (fondamentaux de la science sacrée) منه كثيرا. (2)

بعد حديثنا عن الحرف والاسم أريد أن أتكلم عن الوفق كبعد للستيمايانية العرفانية عند الصوفية المسلمين. والوفق هو اجتماع الحرف والعدد واللفظ في جدول واحد وينقسم إلى تاليفي وهندسي وهما الأصل ومشارك وهو متأخر. قال البوني " إن أسماء الأوفاق تطلق على اللفظية والحرفية والعددية ويسمى وفقا لموافقة أضلاعه وجهاته وأقطاره وأيضا لموافقه في الأعمال أي وجود التأثير منه "(3) والمراد بالتأثير المجازي لا الأصلي الذي هو من اختصاص الله. وتحرير الوفق يجب أن يوافق ساعة فلكية لموافقة روحانية الكوكب وخصوصيته، علما أن الأوفاق تتدرج من كوكب إلى

(1) René Guénon, symboles fondamentaux de la science sacrée, Gallimard, paris 1962.

(2) عرف القنوجي في أبجد العلوم (علم معرفة الخواص الروحانية) من العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية بأنه علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد والحروف على التناسب والتعادل بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد عن ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها وموضوعه الأعداد والحروف وغاية الوصول إلى المطالب الدينية أو الدنيوية أو الأخروية. وفائدة لا تخفى. وكتب عبد الرحمن الأنطاكي نافلة في هذا الباب وكذا كتب الشيخ أحمد البوني وغير ذلك من المشايخ الكرام " القنوجي، أبجد العلوم، ج 2 ص 410.

(3) البوني، منبع أصول الحكمة ص 29، وأضاف في ص 31 " واعلم أن الكواكب السيارة السبعة لكل واحد منها وفق منسوب إليه. ولكل حرف من حروف الهجاء وفق، ولكل وفق تأثير يظهر منه بحسب تأثير الكواكب أو الحرف. واعلم أن الخواص لا تقاس وأن للحرف خواص وللأعداد أسرار. فمن جمع بين الخواص والأسرار فقد ألهم السر الأكبر"

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

آخر. وهذا جدول أوضح فيه خصوصية الكوكب ونوع الوفق المناسب له:

نوع الوفق	الخصوصية	الكوكب
مثلث	تفريق الجماعات وتشتيت الظالمين	زحل
مربع	إبطال السحر وعقد الأسننة	المشتري
مخمس	الأعمال الضارة والحروب	المريخ
مستس	الهيبة والقبول ومخالطة الحكام	الشمس
مسيب	المحبة والألفة والرد	الزهرة
مثمّن	في الخير والشر يصلح للحكام والسلاطين	عطارد
متسع	للبهجة والقبول	القمر

وقد يكون الوفق بحرف أو بأية أو باسم من الأسماء الحسنى. ويترجم بعد ذلك عددياً أو يحتفظ به على أصله الحرفي مثال ذلك اسم الجلالة (الله) الذي تساوي حروفه بالجمال الصغير ستة وستين نضعه حرفياً وعددياً بالشكل التالي :

أ	ل	ل	هـ	21	26	25
هـ	ل	ل	ا	26	22	18
ل	هـ	ا	ل	19	24	23
ل	ا	هـ	ل			

وكما نرى فإنّ الوفق العددي مثلث أما الوفق الحرفي فمربع.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ويترتب على هذا الحساب العددي أعداد ذكر هذا الاسم في الخلوة أو الجلوة، وهي أصغر وصغير وكبير أكبر، وكذا بقية الأسماء.

وقد وجد عبد الباقي مفتاح⁽¹⁾ أن الـوفـق المعشر لأسماء الله الحسنى الذي وضعه الإمام أبو العباس البونى هو ضرب من الإعجاز. فقد اكتشف أن مجموع كل رواق فيه أفقياً وعمودياً هو (3394) بحساب الجمل، قال " وما يجعل احتمال تصنيف هذا الـوفـق ناتجاً عن تركيب رياضى فى غاية البعد فضلاً عن أن يكون عن طريق المصادفة، مع العلم أن عدد الكيفيات لوضع مائة عنصر فى مائة خانة يعطينا نتيجة حسابية مشكّلة من تسعة أرقام ومتبوعة بمائة وسبعة وخمسين صفراً وهو ما تعجز على إنجازها وسائل الحساب الحالية فضلاً عن تلك التى كانت متوفرة فى القرن الثالث عشر"⁽²⁾ ثم أضاف " ولا بد من الإقرار بأن وضعها كان عن طريق الكشف العرفانى والعلم المقدس الموهوب والمتعلق بالقوى الروحية دون ارتباط بالفكر أو القوى العقلية والعلم الظاهر"⁽³⁾. وقد وضع البونى هذا الـوفـق فى سياق حديثه عن خواص أسماء الله الحسنى.⁽⁴⁾

والحق أن أبا حامد الغزالي قد تكلم فى
(المنقذ من الضلال) عن الـوفـق

(1) سيرد معنا ذكر كتابه (مفاتيح فصوص الأحكام) فى آخر هذا المبحث

(2) عبد الباقي مفتاح، ورقات عن وفق معشر للبونى ص 3.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) البونى، منبع أصول الحكمة ص 217. وقد اعتمد مفتاح نفس الطبعة التى بين يدي.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ورسم وفقاً مثلثاً حرفياً و عددياً هو المشهور بين
أرباب السّيمياء بوفق بطد. وهذا رسمه كما أورده الغزالي⁽¹⁾.

4	9	2	ب	ط	د
3	5	7	ز	هـ	ج
8	1	6	و	ا	ح

ونذكر أنّ له " خواص عجيبة مجرّبة في معالجة
الحامل التي عسر عليها الطلق"⁽²⁾.

وقد نسب صاحب (الجواهر اللماعة) وفق (كهيعص
جمعسق)⁽³⁾ مع الآيات الخمس المناسبة له إلى الإمام الغزالي⁽⁴⁾
فلا نطيل الوقوف عنده. وفي (المنبع) للإمام البونوي رسالة
مستقلة عنوانها (بغية المشتاق في معرفة الأوفاق)⁽⁵⁾ تعرّض
فيها إلى خواصّ الحروف وكيفية تركيب الأوفاق وما يناسبها
فلكيا واسميا وقد افتتح ابن الحاج التلمساني كتابه (شموس
الأنوار) بالحديث عن الحرف وخصوصيته وتصريفه

(1) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق د/ عبد الحلّيم محمود،
الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر 1988 ص 395.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) كهيعص هي فواتح سورة مريم وحم عسق هي فواتح سورة الشورى

(4) المرزوقي، الجواهر اللماعة، ص 21.

(5) البونوي، منبع أصول الحكمة ص 56.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الروحاني. (1) كما أنّ الشيخ ماء العينين الشنقيطي القادري تعرّض لخواص الحروف ووضع لكلّ حرف وفقه وكيفية استخدامه وما له من " الأسرار العجيبة " (2) وهذا في كتاب (نعت البدايات) (3) إلا أنّه وضع بعده كتاب (مذهب المخوف على دعوات الحروف) (4). وتولّى تحقيق الكتاب وضبطه الشيخ عبد الرؤوف محمد سالم من علماء الأزهر. ولم يتعرّض فيه صاحبه إلى الحساب الوفيّ كأنه اكتفى بما جاء في الكتاب الأوّل.

إلا أنّه ذكر مواقيت الدعاء في اليوم والليّلة وكذلك الحرف المناسب للدعاء.

وأود قبل الحديث عن الدلالة المعرفية للحرف عند ابن عربي في خاتمة هذا المبحث أن أشير إلى أنّ ابن خلدون قد وضع فصلين في المقدمة من الأهميّة بمكانهما:

1- فصل في الإطلاع على الأسرار الخفيّة من جهة الارتباطات الحرفيّة. (5)

2- فصل في الاستدلال على ما في الضمانر الخفيّة بالقوانين الحرفيّة. (6)

(1) ابن الحاج التلمساني، شمس الأنوار وكنوز الأسرار، دار المنار، تونس، بدون تاريخ

(2) ماء العينين بن فاضل بن مامين، نعت البدايات وتوصيف النهايات، الطبعة الأولى، دار الكتب الطنمية، بيروت 1998، ص 181

(3) هو المصدر السابق

(4) الشيخ ماء العينين، مذهب المخوف على دعوات الحروف، تحقيق عبد الرؤوف محمد سالم، المطبعة الأزهرية للتراث، القاهرة، بدون تاريخ.

(5) ابن خلدون، المقدمة ص 653.

(6) نفس المصدر، ص 657.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهما شهادة قائمة على موسوعية هذا الرجل العَلم وخوضه في كلّ فنّ حتى يخيّل إليك أنه لا يتقن غيره. خصص ابن عربي للحرف جزءا معتبرا فيما كتب. وقد تتبعت ذلك فوجدته: (1)

- في الجزء الأوّل من (الفتوحات المكيّة)
- في الجزء الثاني من (الفتوحات) أيضا
- كتاب (فصوص الحكم) باعتبار مداره على الحرف
- (عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب)
- (مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم)
- (مجموعة ساعة الخبر)
- (كتاب الباء)
- (توجّهات الحروف)
- (شجرة الكون)
- (كتاب الألف)
- (كتاب الياء)
- (كتاب أيام الشان)
- (كتاب الميم والواو والنون) (2)

(1) سأذكر طبعة كل كتاب أوان الاستشهاد به أو الاقتباس منه أو مجرد ذكره. (2) ذكر ابن عربي في رسالة الميم والواو والنون أنه كتب بابا في الفتح المكي (يعني الفتوحات المكيّة) حول الحرف وأنه كتب بابا في (الفتح الفاسي) في نفس الموضوع بعنوان (المبادئ والغايات بما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات)، وأن له " كتابا بسيطا " تكلم فيه على الحروف المجهولة التي في أوائل السور. وهو مفقود أيضا.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والبحث في معنى الحرف ودلالته السيميائية عند ابن عربي شيق ومتشعب في آن واحد. وما سنفعله في هذه الإلماعة إنما هو قراءة مركزة لهذين المعنيين باختصار لا يخلُ بالمعنى المراد.

يقول ابن عربي إنَّ الحروف سرّ من أسرار الله تعالى (1) " والعلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله. وهو من العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة من الأنبياء والأولياء" (2) وطريقه أي المنهج الموصل إلى معرفة سرّه هو الكشف (3) كما ذكر أن " العلم بالحروف مقدّم على العلم بالأسماء تقدم المفرد المركب، ولا يعرف ما ينتجه المركب إلا بعد معرفة نتيجة المفردات التي تركبت منه" (4).

ومما انفرد به ابن عربي - ولم أجده من ذكره غيره - قوله " إن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون " (5) وأنه لا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا " (6) أي الطريق العرفاني الأكبري.

(1) ابن عربي، كتاب الميم والواو والنون، الطبعة الأولى، حيدرآباد الدكن، 1948، ص 2 (ضمن رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ)

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) ابن عربي الفتوحات المكية، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، م1، ص59.

(4) ابن عربي، كتاب الميم والواو والنون، ص 3

(5) ابن عربي، الفتوحات المكية، م1، ص 58.

(6) نفس المصدر، نفس الصفحة، وكذلك في كتاب الميم والواو والنون، ص1

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد قسّم ابن عربي في هذا الفصل الذي عنوانه (ذكر بعض مراتب الحروف) من (الفتوحات المكيّة) الحروف حسب عوالم الأمر إلى:

1 - الهاء والهمزة وعالمهما عالم العظمة أو الجبروت. ويوازن النفس الكلّيّة والعقل الأوّل ولهما من الأسماء الإلهية الباعث والبديع.

2- العين والحاء والغين والخاء وتوازي الطبيعية الكلّيّة والهباء والجسم والشكل. ولها من الأسماء الإلهية الباطن والظاهر والآخر والحكيم.

3 - التاء والتاء والجيم والذال والذال والراء والزاي والطاء والكاف واللام والفاء والصاد والضاد والقاف والشين والياء وتمثّل العالم الوسط - لا الوسيط كما ذكر الدكتور ناصر حامد أبو زيد⁽¹⁾ ولها مراتب الوجود من العرش إلى الملك ولها أسماء إلهية تناسبها سنراها في جدول مفصّل مع ذكر المنازل الفلكية.

4- الباء والميم والواو وتوازي عوالم الجنّ والإنس ومرتبة المرتبة وهي أقصى مرتبة في الوجود، والأسماء المناسبة لها سنذكرها في الجدول الذي نتهت إليه سالفاً. وجعل ابن عربي للحروف مقامات تُرتبها كالتالي:

1- مقام العامّة وفيه الجيم والضاد والخاء والذال والغين والشين.

(1) د/ناصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، الطبعة الأولى، دار الوحدة للنشر، 1983، ص 307، وهو كتاب قيم موضوعه تأويل القرآن عند ابن عربي.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- مقام الخاصة وفيه حروف أوائل السور وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والتون.

3- مقام خاصة الخاصة وفيه الألف والياء والباء والسين والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والتون واللام والغين.

4- مقام خلاصة خاصة الخاصة وفيه الباء

5- مقام صفاء خلاصة خاصة الخاصة وفيه التون والميم والباء والراء والذال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والطاء والتاء واللام والفاء والسين⁽¹⁾.

والسر في وجود الحرف الواحد في أكثر من مقام هو تداخل عوالم الحرف غير الأمرية الأربعة المذكورة سابقا ومنها عالم أهل الأنوار وعالم أهل الأسرار وعالم أهل التحقيق إلخ ...⁽²⁾.

كما جعل للحروف أجناسا وهي أربعة :

1- جنس مفرد وهو الألف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو.

2- جنس ثنائي مثل الذال والذال.

3 - جنس ثلاثي مثل الجيم والحاء والحاء

4- جنس رباعي وهو الباء والتاء والتاء والياء في وسط الكلمة، والتون⁽³⁾.

(1) ابن عربي، الفتوحات المكية م1، ص 58.

(2) نفس المصدر نفس الصفحة.

(3) المصدر السابق، م1، ص 59.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ومن المهمّ قبل ذكر الارتباط الفلكي والعنصري للحرف عند ابن عربي القول بأنّ الشيخ الأكبر الذي قال إنّ الحروف أمة من الأمم مخاطبة بالأمر دون النهي لا يقصد صورة الحرف التي نعلمها وهي المنطوقة المرقومة فقط. فهذه أجساد ملائكة الحروف - وإنّما روحانيات هذه الحروف وهي ملائكة علوية، كلّ ملك يأخذ اسم حرف. وهذه الملائكة تأخذ مراتبها حسب المخرج المنطوق للحرف كما يلي:

ملك الهاء، ثم ملك الهمزة، ثم ملك العين، ثم ملك الحاء، ثم ملك الغين، ثم ملك الخاء، ثم ملك القاف، ثم ملك الكاف، ثم ملك الجيم، ثم ملك الشين، ثم ملك الياء، ثم ملك الضاد، ثم ملك اللام، ثم ملك النون، ثم ملك الراء، ثم ملك الطاء، ثم ملك الدال، ثم ملك التاء، ثم ملك الزاي، ثم ملك السين، ثم ملك الصاد، ثم ملك الفاء، ثم ملك الباء، ثم ملك الميم، ثم ملك الواو.

قال " ولكلّ حرف تسبيح وتمجيد وتهليل وتكبير وتحميد، يعظم بذلك كله خالقه ومظهره، وروحانيته لا تفارقه، وبهذه الأسماء تسمى هؤلاء الملائكة في السماوات. وما منهم ملك إلا وقد أفادني" ⁽¹⁾ وهي خلاصة يشاركه فيها الإمام البوني وابن الحاج والمرزوقي وغيرهم ممّن اشتغل بالحرف من صوفية العرفان، وقد ذكر ابن عربي أنّ للحرف من وجه آخر ثلاث مراتب تعطينا ثلاثة أنواع من الحروف هي :

1 - الحروف الفكرية

2 - الحروف اللفظية

(1) نفس المصدر ، م2، ص 121

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

3 - الحروف الرقمية وهي على رتبتين:

رتبة المفرد وترتيبها أ- ب - ت إلخ ورتبة المزدوج " وهي حروف أبي جاد " (1).

وقد أجاب ابن عربي على مسألة التناسب الزمني بين الحرف ومعناه (2) أو بين جسمانية وروحانية (3) بمثلين أحدهما عمّن عرف الحرف ومعناه أي روحانية وهو صاحب سليمان - عليه السلام - الذي تصرّف برأس الأسماء وهو " الاسم الأعظم " (4)، والمثل الآخر عمّن عرف الحرف وجهل معناه أي روحانيته وهو صاحب موسى - عليه السلام - (5) ولا يكون التصرّف إلا لمن أحاط بالحرف ومعناه ووقته وينقسم الوقت المناسب للحرف إلى وقت اليوم ووقت الليلة.

وله ما يناسبه من الأسماء الإلهية. وقد وجدتها في كتاب (توجّهات الحروف) (6) لا بن عربي كالتالي:

الاسم الإلهي	الحرف	اسم النبي	الليلة
الشكور	ك	يعقوب	الأحد
الفاهر	ل	لوط	الاثنين

(1) ابن عربي، كتاب الميم والواو والنون، ص 4، ويقصد ترتيب أبجد هوّز إلخ...

(2) ابن عربي، الفتوحات المكيّة، م2، ص 121.

(3) ابن عربي، كتاب الميم و الواو والنون ص 12.

(4) ابن عربي، الفتوحات المكيّة، م2 ص 120.

(5) نفس المصدر ص 121 وحسب المفسرين فإنّ الأوّل وهو أصف بن برخيا والثاني هو بلعم بن باعوراء.

(6) ابن عربي، توجّهات الحروف، مجموعة رسائل ابن عربي، الطبعة الأولى، دار المحجّة البيضاء، بيروت 2000م.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الثلاثاء	ج	يوسف	القني
الأربعاء	ن	عزير	النور
الخميس	ح	إدريس	الأخر
الجمعة	ط	سليمان	المحصي
المنبت	ي	صالح	الرّب (1)

الليلة	النبي	الحرف	الاسم الإلهي
الأحد	أدم يحيى ويونس	أ.س.ت	البديع، المحي، القابض
الاثنين	خالد نوح لقمان	ب.ع.ث	اللطيف، الباطن، الرزاق
الثلاثاء	موسى وإسحاق وداود	ف.خ.د	القوي، الحكيم، المبين
الأربعاء	هارون زكريا	ذ.ص	العذل، المميت
الخميس	شيث آدم شعيب	ه.ق.ص	الباحث، المحيط، العظيم
الجمعة	محمد عيسى إلياس	و.ل.ر.ظ	الجامع، رفيع الدرجات، الله، المصور، العزيز
المنبت	أيوب هود إبراهيم	ز.ش.غ	الحي، المقدر، الظاهر

(2)

علما أنه وضع دعاء يناسب كل حرف في (توجهات الحروف) جاء على شاكلته بعد زمن طويل كتاب (مذهب

(1) المصدر السابق، المجلد الأول ص 628

(2) نفس المصدر، المجلد الأول ص 629.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

المخوف على دعوات الحروف) لماء العينين القادري الشنيطي، وقد مرّ معنا ذكره طيّ هذا المبحث.

وقد عمّى ابن عربي وألغز حين تحدّث عن الاسم الأعظم باعتباره المظهر الأسمائي العظم للحرف فضرب مثلاً بصاحبي سليمان وموسى عليهما السلام. وقال إنّه " ما طوي عن سليمان العلم به وإتما طوي عنه الإذن في التصرف به تنزيهاً لمقامه " (1) " وباب هذا الاسم الخفي على الخلق بالمغرب " (2) " ورقته في زمان الشتاء إذا وقع شهر صفر في أوّل الشتاء إلى انتصافه " (3) وحروفه هي " الألف ولام الألف والواو والزاي والراء والذال والذال فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره وانفعل عنه جميع ما توجّه عليه " (4). والحق أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكره في عدة روايات بعدة صيغ، ممّا يدل على أنّه من تجليات الحق المخصوصة بوقت معيّن كما ذكر ابن عربي. وللصوفية عموماً اهتمامٌ بالاسم الأعظم ولذا قالوا كل اسم دعوت به في الوقت هو أعظم.

(1) ابن عربي، الفتوحات المكية، م2، ص 121

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة، والمغرب هو خلاف المشرق لا بلد بعينه تصديقاً للحديث الذي رواه مسلم لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة. وقد استشهد به ابن عربي.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة، قال فهو أسرع أثراً منه من باقي الأزمنة وباقي الشهور

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد كان ابن عربي أقلّ تعمية وإغازا حين تعرّض للأحرف التي افتتحت بها بعض السور وقد جاء في الحديث لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف⁽¹⁾. فقد ذكر ابن عربي أنه كتب كتابا عنوانه (الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل)⁽²⁾ يفسر أحرف أوائل السور.

يرى الشيخ الأكبر أن السور جاءت بحرف السّين الذي مدلوله التّعبد الشرعي. أما باطنها فحرف الصاد ودلالته مقام الرّحمة. والمفتّحة بأحرف تسع وعشرون سورة. وهذا العدد هو من الناحية الحرفية "كمال الصورة"⁽³⁾ على رأسه آل عمران - مفتّحة بالاسم الأعظم ألم الله⁽⁴⁾. وذلك بمثابة القطب الذي هو رأس الفلك وبه ثبات الثمانية وعشرين حرفا الهجائية التي تقابلها فواتح السور. وهي المنازل المقابلة لمنازل الفلك (والقمرُ قدرناه منازل)⁽⁵⁾. فإذا تأملنا الحروف مكررة حصل معنا العدد ثمانية وسبعون وهو عدد شعب الإيمان التي ورد الحديث الصحيح بها⁽⁶⁾، بالإضافة إلى ورود الكشف بها⁽⁷⁾. وقد تعمق بعد الحديث عن فواتح السور ناحيتها العددية الحرفية. وهو شأن لا نقف عنده لتشعب معانيه.

(1) حديث متفق عليه

(2) هو من كتبه المفقودة دون شك

(3) ابن عربي، الفتوحات المكية، م، 1، ص 121 - 59

(4) وهي إحدى روايات الحديث الصحيح عن الاسم الأعظم.

(5) سورة يس، الآية 39.

(6) رواه الترمذي

(7) ابن عربي الفتوحات، م، 1، ص 59.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد علل في المجلد الثاني من (الفتوحات المكية) لماذا صار عدد الحروف ثمانية وعشرين فقال إن أعيان الحروف ظهرت في العالم العنصري، والعناصر حدثت عن حركات الأفلاك، حركات الأفلاك قطعت ثمانيا وعشرين منزلة، والكل صادر عن النفس الرحماني⁽¹⁾ قال " فمن تمكن أن يضع قلما على شكل المنازل في طالع مخصوص فإنه يكون عن ذلك القلم متى كتب به عجائب " (2) ويبين الجدول التالي الحرف والمرتبة المناسبة له في الوجود التكويني بخلاف الجدول اللاحق الذي هو تفصيل له عند التحقيق فإنه يبين ترتيب الحرف والاسم الإلهي المناسب له والحقيقة الوجودية الكونية والمنزلة الفلكية واسم النبي الذي تخصصه.

الحرف	المرتبة المناسبة
أ	العقل والقلم
هـ	اللوح والنفس
ع	الطبيعة
ح	المياه
غ	الجسم
خ	الشكل
ق	العرش
ك	الكرسي
ج	الأطلس
ش	الكواكب الثابتة
ي	السماء الأولى

(1) ابن عربي، الفتوحات المكية، م2، ص 123

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

السماء الثانية	ض
السماء الثالثة	ل
السماء الرابعة	ن
السماء الخامسة	ر
السماء السادسة	ط
السماء السابعة	د
كرة الأثير	ت
كرة الهواء	ز
كرة الماء	س
كرة التراب	ص
المعن	ظ
النبات	ث
الحيوان	ذ
الملائكة	ف
الجن	ب
الإنسان ⁽¹⁾	م ولا

وقد وجدت مزيد تفصيل للتعليل الأكبري للعدد ثمانية وعشرين عند عبد الباقي مفتاح في بحثه مفاتيح الفصوص⁽²⁾.

(1) ابن عربي، توجهات الحروف، ص 629.

(2) نكر ميشال شود كيفيكس (M.Chdkiewicz) في كتابه (un océan sans rivage

librairie du XX siècle, le seuil, paris 1992.

من جملة الباحثين الأكبريين الذين استفاد منهم في دراسته لابن عربي الأستاذ عبد الباقي مفتاح. وقد كان محققاً فقد حصلت واطلعت على كتاب

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يقول إنّ موقع هذا العدد برز حي بين عالم الأمر الملكوتي الأعلى وعالم الخلق الذي تحبه فمثله مثل مرتبة العشرات البرزخية بين الأحاد والمنات. وله أيضا المرتبة الثالثة إذ المرتبة الأولى للقلم الأعلى والثانية للوح المحفوظ. أما المراتب الأربعة الأخرى التي بينه وبين اللوح وهي الطبيعة والهباء والجسم والشكل فليس لها وجود عيني⁽¹⁾. إنّما حكم اعتباري فقط. ومن هذا الأصل قسمت دائرة الفلك إلى ثمان وعشرين منزلة حسب مراتب الوجود⁽²⁾ ثم ذكر أنّ العدد (28) هو مجموع الأعداد السبعة الأولى $(1+2+3+4+5+6+7)$ والسبعة هو عدد الكمال كما هو معلوم. فالعدد (28) هو مجموع تفاصيل حقائق الكمال ولذلك انحصرت مراتب الوجود ومنازل الفلك والحروف في هذا العدد⁽³⁾، كما أنّه أي العدد (28) ناتج ضرب عدد الكمال (7) في (4) عدد أمّهات الأسماء التي تشير إلى الأركان الإلهية الأربعة الأول والآخر والظاهر والباطن " وسريان هذه الأسماء هو المتوجه على إيجاد مراتب العالم " (4). فهناك إذن " علاقة أصيلة بين التجليات الإلهية وهي - ثمانية وعشرون - والآيات القرآنية

(مفتاح فصوص الحكم) دار القبة، الطبعة الأولى، مراكش 1997، فتنفتحت

به.

(1) وهذا واضح من الجدول السابق

(2) عبد الباقي مفتاح، مفاتيح فصوص الحكم، الطبعة الأولى، دار القبة الزرقاء، مراكش 1997. ص 24.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والمراتب الوجودية ومظاهر الإنسان الكامل أي مظاهر الحقيقة الإنسانية " (1) والجدول الآتي يبين ذلك (2)

الرقم	الاسم الإلهي	المرتبة الكونية للاسم	المنزلة الفلكية	الحكمة	النبي أو الولي	الحرف الرقمي	الحرف اللفظي
1	البدع	القلزم الطي	نطح	إلهية	أدم	أ	ء
2	الباعث	اللسوح المحفوظ	بطين	نفثية	شيث	ب	هـ
3	الباطن	الطبيعة	ثريا	سبحوية	نوح	ج	ع
4	الأخر	الهباء	دبران	قدوسية	إدريس	د	ح
5	الظاهر	الجسم الكلي	هقعة	مهيمنة	إبراهيم	هـ	غ
6	الحكيم	الشكل الكلي	هتعة	حقيقية	إسحاق	و	خ
7	المحيط	العرش	كراع	علوية	إسماعيل	ز	ق
8	الشكور	الكرسي	نثرة	روحية	يعقوب	ح	ك
9	القي	فلك البروج	طرف	نورية	يوسف	ط	ج
10	المقدر	فلك المنازل	جبهة	أحدية	هود	ي	ش
11	الرب	سام زحل	زبرة	فاتحية	صالح	ك	ي
12	العليم	سما المشتري	صرفة	قلبية	شعيب	ل	ض
13	القاهر	سما المريخ	عواء	ملكبة	لوط	م	د

(1) نفس المصدر، ص 20

(2) نفس المصدر و ص 62

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

14	النور	مسماء الشمس	سمك	قدية	عزير	ن	ن
15	المصور	مسماء الزهرة	غفر	نبوية	عمسى *	س	ر
16	المحصي	مسماء الكاتب	زبانا	رحمقبة	سليمان	ع	ط
17	المبين	مسماء القمر	إكليل	وجودية	داود	ف	د
18	القابض	كرة النار	قلب	نفسية	يونس	ق	ز
19	الحي	كرة الهواء	شولة	غيبية	أيوب	ق	ز
20	المحي	كرة الماء	تعليم	جلالية	يحي	ر	س
21	المميت	كرة التراب	بلده ملكية	زكريا	ش	ش	ص
22	العزير	المعدن	ذابح	إلياسية	إلياس	ت	ظ
23	البراق	النبات	بلع	إحصائية	لقمان	ت	ث
24	المنزل	الحيوان	سعود	إسمية	هارون	خ	ذ
25	القوي	الملائكة	أخبية	عظوية	موسى	ذ	ف
26	اللطيف	الجن	مقدم	صمدية	خالد	ض	ب
27	الجمع	الإنسان	مؤخر	فردية	محمد	ظ	م
28	رفيع الدرجات	تعسبون المراتب	رشا	ختمية	الختم	غ	و

وبهذا الجدول الذي هو خلاصة الباب الثامن والتسعون ومائة (198) من (الفتوحات) (!) شرح صاحب الكتاب لغز ترتيب

(!) الباب (198) من الفتوحات فيه خمسون فصلاً عنوان الفصل الأول منها (ذكر الله نفسه بنفس الرحمن (بفتح الفاء) وبه أوجد العالم من كونه أحبباً ذلك) وعنوان الفصل الحادي عشر (في الاسم البديع وتوجهه على إيجاد العقل والعقول وهو القلم الأعلى ومن الحروف على الهمزة ومن المنزلة على

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفصوص الذي مازال الباحثون يجدون فيه غموضاً يصعب الوصول معه إلى مراد ابن عربي. (1)

أختم هذه الوقفة مع ابن عربي بسوق هذه الملاحظات:

1- إنّ الحرف هو مظهر للرمزية عند الصوفية العرفانيين.

2 - إنّ الارتباط بين الحروف والأسماء والمنازل الفلكية والمراتب الكونية عند الصوفية العرفانيين أمر ثابت.

3 - يصعب على غير المتخصص في الرّمزية الحرفية عند العرفانيين من صوفية الإسلام أن يضع حاجزاً بين الأوفاق والحروف والطلسمات والأسماء عند الصوفية ومثيلاتها عند السحرة والمشعوذين وهذا ما نتبه إليه ابن خلدون مثلاً.

4 - ذكر ابن عربي أنّ حديثه عن الحرف إنما ينصرف إلى أسراره لا إلى خواصّه مخافة المحذور الذي

الشرطين والإمداد الإلهي ومراتبه الذاتية والزائدة) إلى أن يصل إلى الفصل الثامن والثلاثين (في الاسم رفيع الدرجات وتوجهه على تعيين الرتب والمقامات والمنازل وحرف الواو ومن المنزل الرشا). وملخص هذه الفصول (من 1 إلى 38) الجدول السابق. ابن عربي. الفتوحات المكيّة. م. 2 ص 399

(1) نكر ميشال شونكليفيس في كتابه (un océan sans rivage) أن البونني نكر ابن عربي في سلسلة مشايخه وأشار خاصة إلى كتابه (شمس المعارف الكبرى). كما تحدّث عن كتاب (نعت البدايات) لماء العينين. إلا أنه أخطأ حين ذكر كتاب (Kanz Al - Asrar) لمحمد النازلي. والحق أنه كتاب (خزينة الأسرار) للسيد محمد حقي النازلي. وقد اطلعت عليه مراراً في طبعات سيّنة وبدون تاريخ إلى أن وقع بين يدي في حلة بهيئة الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت 2000. ويشتمل على أوفاق وجداول بعض أسرار آيات القرآن الكريم.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ذكرته في الملاحظة السابقة قال " فإن الكلام على خواصّ الأشياء يؤدّي إلى تهمة صاحبه وإلى تكذيبه في أكثر الأوقات.

أما تهمة في دينه فهو أن يكون من أهل الكشف والوجود فيلحق بأهل السحر والزنقة وربما يكفر " (1).

5- يرى ابن عربي أنّ بسط الكلام على الحرف والمنازل الفلكية " حرامٌ بحيث يدركها الخاصّ والعامّ فيستعين بها المفسدون على فسادهم " (2) ويؤكد أنه وضعها " إيماء " (3) لأصحابه - يعني الصّوفية، " فلا يعرف ما أشرفا إليه سواهم " (4). فهي رموز لخلاصة الخاصة.

6- ذكر ابن عربي القمر الذي يعنيه في حديثه عن المنازل الفلكية، فقال في الباب الواحد والسبعين من الجزء الأول من الفتوحات " إن القمر من حيث جرمه مظهر من مظاهر الحقّ في اسمه النور فيمضي في منازل عبده المحصورة في ثمانية وعشرين " (5). فلا تعويل إذن على قول من يريد أن ينسب ابن عربي إلى القول بمؤثر غير الله.

7- توسّع ابن عربي في رمزيته في كتابه (مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم) (6) وتحوّل الرّمز الفلكي

(1) ابن عربي، كتاب الميم والواو والنون، ص 7

(2) المصدر السابق، ص 8

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة

(5) ابن عربي، الفتوحات المكية ج.1 ص.601.

(6) ابن عربي، مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، مطبعة محمد

علي صبيح وأولاده القاهرة 1965.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

نفسه إلى رمز لمعنى بعيد يقول عنه ابن عربي " فافهم ما رمزناه لك وحلّ قلبه تسعد " (1).

8- قال ابن عربي في كتابه (عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب) (2): " لولا الحقائق المرتبطة والأفلاك الروحانية المتوسطة ما بدلت الأرض غير الأرض وصارت درمكة بيضاء تحت قدم الخفض. فظهور الأفلاك النيرات عبارة عن تبدل السماوات، فتأمل هذه الإشارات، وابتحث عما تضمنته هذه العبارات " (3) وهو كلام صريح في أثر تجليات الحق في حركة الموجودات.

إلا أنه في نهاية هذا الكتاب الرمزي جدًا حين تحدّث عن شمس المغرب - ويعني به الإمام المهدي - جمع بين الرمز الحرفي والرمز الفلكي فقال " اسمه الذي يختصّ به فلا يظهر فيه إعراب، وينصرف في صناعة الأعراب، أوله عين اليقين وآخره قِيومية التمكنين، ونصف دائرة الفلك من جهة النصف الذي هلك. لا يدعي باسم سواه ولا يعرف أباه. إن وقف قلت سرولة وإن مشى مشى بين السعي والهرولة، مرضي القول مشكور الفعل. وهذا هو فاعلمه " (4) ثم كتب رموزاً رسميّة وتصويرية وبعضها هندسي لا أعتقد أنه من السهل

(1) المصدر السابق ص 157.

(2) ابن عربي، عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة 1954.

(3) المصدر السابق، ص 46.

(4) المصدر السابق، ص 75.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فكها لبعدها عن الجرف والفلك في أن واحد. وهي غير رموز القلم الطبيعي التي ذكرها الشيخ داود الأنطاكي في (التذكرة)⁽¹⁾.
9- إن أهم الحروف الألف والباء والميم والواو والنون. وقد خصّص لكل واحد منها رسالة مستقلة فكتب كتاب الألف وكتاب الباء وكتاب الميم والواو والنون. أما الألف فهو قِيوم الحروف. وله من الأسماء الاسم الجامع الله. وليس حرفا عند التحقيق الدوقي ولكن له مجموع عالم الحروف ومراتبها⁽²⁾ أما الميم والواو والنون فأحرف شريفة يضيق هذا الملخص عن التوسّع في أسرارها. وأما الباء " فلم تتعلق معرفة العارفين إلا بالباء ولا شهدت أبصار الشاهدين إلا الباء ولا تحقّق المُحقّقون إلا بالباء فهي كل شيء والظاهرة في كل شيء والسارية في كل شيء " وسرّ الباء في نقطتها⁽³⁾ كما " أن النقطة رأس الخط ومبدأ كل شيء. فما من شيء إلا والباء عنده وما من شيء إلا ونقطة الباء فيه "⁽⁴⁾ وذكر الأنطاكي في (التذكرة) أن القوة الطبيعية لهذا الحرف هي (18496) والقوة الكلية هي (184960)⁽⁵⁾. وذكر السراج أن قلوب العارفين استراحت إلى أوّل حرف من كتاب الله وهو حرف الباء⁽⁶⁾.

(1) الأنطاكي، التذكرة، ص 89.

(2) ابن عربي، الفتوحات المكيّة، م 1، ص 58.

(3) ابن عربي، كتاب الباء، مجموعة رسائل ابن عربي، م 1، ص 460.

(4) نفس المصدر، ص 464.

(5) داود الأنطاكي، التذكرة ص 89.

(6) السراج، اللمع ص 124

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

10- من المهمّ جدا القول إنّ ابن عربي وضع كتابين مهمّين عن الساعات والأيام والليالي باعتبار الارتباط الحكمي، وهما:

أ- كتاب أيام الشان⁽¹⁾ وفيه نجد الفهم العرفاني الأكبري لقوله تعالى (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)⁽²⁾. وهو تعبير عن الارتباط الفلكي الروحاني بمقولة الزّمن مفهومه من حيث التجلّي الأسمائي لا الحسابي. قال " فما بقيت روحانيّة في فلك إلا ساعدت (على الأمر الإلهي). وابتنى على هذا علم كثير " ⁽³⁾.

ب - كتاب (مجموعة ساعة الخبر)⁽⁴⁾ وهو في الحكمة الروحانية المبنية على الدراية الفلكية وفهم سرّ الحرف والاسم معا. وهو كتابٌ في كثير من الأوقاف على طريقة البوني التي سبق أن عرضنا لها في هذا المبحث. وعمدته الحسابية الجزم - أي الجمل - الصّغير لأبجد هوز⁽⁵⁾

11- إنّ الارتباط بين البرج والحرف والوقت مبحث مشترك بين المنجمين والصوفية العرفانيين غير أنّ الفرق بينهما أنّ المنجمين اكتفوا بوقت الميلاد والبرج المناسب له بينما جعل العرفانيون الحرف هو الأساس ثم نظروا في الارتباط الروحاني الفلكي الوقتي ثم فصلوا المواقيت إلى

(1) ابن عربي، كتاب أيام الشان من رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(2) سورة الرحمن الآية 29.

(3) ابن عربي . كتاب أيام الشان، ص 14.

(4) ابن عربي، مجموعة ساعة الخبر، مجموعة رسائل ابن عربي، م3، ص

377

(5) أثبت ذلك في ص 462 من المصدر السابق.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

41- العبودية: هي الوفاء بالعهود والرضا بالموعود، وحفظ الحدود، والصبر على المفقود. أما العبودية فهي مقام من شهد نفسه لربه.

42- العقل الأول: هو مرتبة الوحدة، وهو إجمال العلم واللوح المحفوظ تفصيله.

43- العناء: هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم⁽¹⁾.

44- الغوث: هو قطب الأقطاب، الفرد الجامع لكل الكمالات الجمالية والجلالية، ولا يكون إلا واحدا في الزمن الواحد، وهو رأس العارفين ومقامه أعلى درجات الولاية.

45- الغيبية: نوع من الفناء وهي غيبة القلب عن مشاهدة الخلق.

46- الغين: ما يعارض القلب وهو في حق عامة الناس غين أغيار أي غين ما سوى الله وفي حق الرسول صلى الله عليه وسلم غين أنوار⁽²⁾.

والغين دون الرّين أو الرّان لأنه حجاب رقيق يزول بالتصفية لبقاء الإيمان معه.

47- الفتح: ما انفتح على العبد من مقامات الولاية وتجليات الأسماء الإلهية وهو أنواع منها الفتح القريب والفتح المبين و الفتح المطلق وهو أعلاها، والفتوحات كذلك:

أ- فتح العبادة سببه الإخلاص
ب- فتح الحلاوة سببه الجذب

(1) ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، مجموعة الرسائل، م 1، ص 564.
(2) روى مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي قوله (ص): إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

-
- ج - فتح المكاشفة سببه معرفة الحقّ
- 48 - الفقر: هو مرادف التصوّف المقصود به فقر الباطن فإذا صحّ الفقر إلى الله صحّ الغنى بالله.
- 49- الفيض: هو ثمرة التجلّي الإلهي وهو نوعان:
أ - الفيض الأقدس: قبل معرفة الخلق للحقّ.
- 50- قاب قوسين: هو مقام القرب الأسماي، وهو الوصول إلى الحقّ مع بقاء الاثنينيّة.
- 51- القلم الأعلى: أوّل تعيّنات الحقّ في المظاهر الخلقية على التمييز⁽¹⁾.
- 52- الكشف: هو الإطلاع بعين البصيرة والبالصرة على ما وراء الحجاب من الأمور الغيبية وجودًا وشهودًا، وهو في الحقّ المؤمن كرامة وفي حق غيره استدراج وإهانة، والكشف والمكاشفة بمعنى واحد، والأدب يقتضي اللفظ لأنه نسبة إلى الله.
- 53- اللطفية: إشارة تلوح لفهم الذائق ولا تسعها العبارة لدقة معناها.
- 54- الروح: هو النفس الكلية والكتاب المبين وهو أربعة الواح:
أ- لوح القضاء وهو سابق على المحو والإثبات

(1) عبد الكريم الجبلي، الإنسان الكامل، ج2، ص 10. قال بعد ذلك "وقولي على التمييز هو لأن الخلق له تعين إبهامي أولاً في العلم الإلهي ثم له وجود مجمل حكمي في العرش ثم له ظهور تفصيلي في الكرسي ثم له ظهور على التمييز في القلم الأعلى، لأن ظهوره في تلك المجال جميعها غيبٌ ووجوده في القلم وجود عيني مميّز عن الحقّ وهو - أعني القلم الأعلى - أنموذج ينتقش ما يقتضيه في اللوح المحفوظ" نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ب - لوح القدر وهو اللوح المحفوظ وهو روح العالم
ج - لوح الخيال في السماء الدنيا وهو صورة العالم
د - لوح الهيولى وهو يقبل صورة عالم الشهادة
55- المحاضرة: هي حضور القلب في لطائف البيان،
وهي في الغالب الأعم لأرباب التلوين أي المتقلبين في
الأحوال.

56- المجلى: جمعه مجالي، وهي مظاهر مفاتيح
الغيوب، ضبطها الصوفية في خمسة هي:

أ- مجلى الذات الأحديّة
ب- مجلى البرزخية ومقام قاب قوسين
ج - مجلى عالم الجبروت وفيه تنكشف الأرواح
القدسيّة

د - مجلى عالم الملكوت وفيه المدبرات السماوية
هـ- مجلى عالم الملك وفيه المدبرات الكونيّة
57- المحق: هو فناء وجود العبد أمام وجود ذات الحق
وهو فوق المحو لأنّ المحو يترك أثرا للبشرية بخلاف المحق،
والمحق مرادف السحق.

58- المشاهدة: هي قريبة المعنى من المحاضرة
والمكاشفة وهي ثلاثة أنواع:

أ - مشاهدة بالحقّ لدلائل التوحيد
ب- مشاهدة للحقّ في الأشياء أي لمظاهر القدرة
ج- مشاهدة الحقّ وهي حقّ اليقين.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

59 - النّجباء: قال ابن عربي: هم أربعون وهم المشتغلون بحمل أفعال الخلق فلا يتصرفون إلا في حقّ الغير⁽¹⁾.

60- النّقباء: هو الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة⁽²⁾.

61- النور: من الأسماء الحسنى وهو من تجلّي الحق باسمه الظاهر، والنور كلّ وارد إلهي ينفي الغير عن قلب العبد ويكشف المستور، مناما أو يقظة، أو في حال بينهما، ونور الأنوار هو الله سبحانه وتعالى.

62 - الهباء: هو العنقاء حيث فتح الله صور العالم وأجساده، واسمه أيضا الهيولى.

63 - الهجوم: قال القشيري هو ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تكلف من العبد⁽³⁾.

64- الهمة: هي توجّه القلب بجمعيّة روحانية إلى القصد وهو الله.

65- الهو: هو الغيب الذي لا يصحّ شهوده⁽⁴⁾.

66- الوقت: هو الحال الغالب على العبد، ولكلّ وقت آدابه.

(1) ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، من مجموعة رسائل ابن عربي، 3م، ص 555.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) القشيري، الرسالة القشيرية، ص 41.

(4) ابن عربي، اصطلاحات الصوفية من مجموعة رسائل ابن عربي، 3م، ص 570.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

67- الولاية: هي التولي الإلهي للعبد علماً وعيناً وحالاً وتصرفاً، وهي درجات ولاية عامة وولاية خاصة وثالثة أخص.

68- اليقين: هو رؤية العيان بقوة الإيمان وهو ثلاث درجات:

- أ - علم اليقين وهو أدناها
- ب- عين اليقين وهو أوسطها
- ج - حق اليقين وهو أعلاها.

المصطلح المتقابل :

تعمدت استخدام منهج المقابلة⁽¹⁾ لتقريب معاني بعض المصطلحات التي تفهم بأضدادها. ولهذا الاستخدام أصل (في الرسالة القشيرية) إذ عمد صاحبها إلى هذه الطريقة لتوضيح بعض المعاني المرادة من مؤلفه، بخلاف أصحاب المعاجم والرسائل الذين تطرقوا لموضوع المصطلح الصوفي فإتهم وضعوها في الصفحة المناسبة للحرف أبجدياً. والحق أن مقابلة المصطلحات يعين على الولوج إلى بعض أسرار السيميولوجية الصوفية كما يتبين مما يلي:

1- الإشارة والعبارة⁽²⁾: العبارة هي ظاهر اللفظ والإشارة هي باطنه⁽³⁾.

(1) المقابلة : opposition

(2) مرّ معنا مبحث الإشارة والعبارة.

(3) قال زروق في القاعدة السابعة والسبعون " الثالث قوم أثبتوا المعاني وحققوا المباني وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى وهم الصوفية المحققون : القواعد ، ص 47.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- التجريد والتفريد: التجريد ترك الأسباب والتفريد ترك النفس⁽¹⁾.

3- التحلي والتخلي: يكون التحلي بجملة الفضائل بعد التخلي عن جملة الرذائل

4 - التلوين والتمكين: التلوين هو الانتقال من مقام إلى آخر وهو لأرباب الأحوال بخلاف التمكين فإنه صفة الواصلين⁽²⁾.

5- الجمال والجلال: الجمال هو نعوت الرّحمة الإلهية والجلال هو نعوت القهر الإلهي⁽³⁾.

6- الجدب والسلوك: الجذب هو طريق الاصطفاء ومعناه قطع المقامات جملة دون جهد بل من الله وفضلا. أما السلوك فهو طريق المجاهدة والترقي في المقامات، فالمجذوب

(1) شرح ابن عجيبة الحكمة العطنية (إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهود الخفية) بأن التجريد هو ترك الأسباب الدنيوية وخرق العوائد الجسمانية، ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 31، والسهورودي في عوارف المعارف، ص 332.

(2) قال القشيري في رسالته، ص 41: " التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق " وقال السهروردي في (العوارف) " التلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب أما أرباب التمكين فخرجوا عن مشانم الأحوال وخرقوا حجب القلوب وبشرت أرواحهم سطوع نور الذات " ص 334.

(3) قال ابن عربي " إن الجلال لله معنى يرجع منه إليه وهو منعنا من المعرفة به تعالى. والجمال معنى يرجع منه إلينا. وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندها به " كتاب الجلال والجمال، ص 3. وذكر النابلسي في (اسرار الشريعة) ص 190 أن التجلي الجمالي لأهل الجنة والتجلي الجلاي على أهل النار.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مجتبي والسالك مهتدي، ولا يصلح المجذوب للتربية بخلاف السالك⁽¹⁾.

قال الشيخ براده في (جواهر المعاني)⁽²⁾: معنى الاجتباء هو جذب الله تعالى للعبد إلى حضرة قدسه بحكم الفضل والجود والعناية بلا تقدم سبب من العبد، والمجتبي يسمى محبوبا ومصطفى ومرادًا ومعنى به".

وكان هذا جوابا على سؤال يتعلق بقوله تعالى (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)⁽³⁾.

7- الجمع والفرق: الجمع رؤية الصفات والتفرقة - أوالفرق - رؤية الأفعال وجمع الجمع رؤية الذات⁽⁴⁾. وقال القشيري الجمع ما سلب عنك والفرق ما نسب إليك⁽⁵⁾.

(1) بين (إياك نعبد) وهي طريق السلوك و (إياك نستعين) وهي طريق الجذب و يصنف العاملون في طريق الحق إلى أربعة:

- 1 - سالك مجرد: ويصلح للتربية والتلقين
- 2 - مجذوب مجرد ولا يصلح للتربية والتلقين
- 3 - سالك متدارك بالجذب ولا يصلح للتربية والتلقين
- 4 - مجذوب متدارك بالسلوك ولا يصلح للتربية والتلقين

عبد الكريم حسنان، التصوف في الشعر العربي، ص 62.

(2) برادة، جواهر المعاني، ج 1، ص 171.

(3) سورة الشورى الآية 13.

(4) السهروردي، عوارف المعارف، ص 331.

(5) القشيري، الرسالة، ص 35. قال الغزالي في (روضة الطالبين وعمدة

السالكين) ص 43 " التوحيد في البداية نفي التفرقة والوقوف على الجمع.

وأما في النهاية فيمكن أن يكون الموحد حال التفرقة مستغرقا في عين الجمع. وفي عين الجمع ناظرا إلى التفرقة بحيث كل واحد من الجمع والتفرقة لا يمنع من الآخر". وقال السهروردي في العوارف ص 331: جمعهم في المعرفة وفرقهم في الأحوال " ولابن عربي :

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

8- الحال والمقام: المقام هو المنزلة التي يدركها العبد بالجدّ في السلوك " والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ولا اكتساب" (1) فالمقام ثمرة الكسب والحال ثمرة الوهب. والمقام للسالك والحال للمجذوب (2) فالحال زائل والمقام ثابت (3).

9- الخلوة والجلوة: الخلوة هي التحنّث الفردي ومداومة الدّكر بشروط معلومة من حيث المكان وطبيعة المأكل ومدّة الاختلاء. أمّا الجلوة فهي وجود الصّوفي بين الناس، والمختلي والمجتلي كلاهما في طريق الحق. قال ابن عربي الخلوة خروج العبد بالتعوت الإلهية والجلوة محادثة السرّ مع الحق حيث لا ملك ولا أحد (4). والخلوة أنواع كثيرة (5).

10- الخوف والرجاء: حالان لا يعتدل سلوك الصّوفي

إلا بالوقوف بينهما فلا هو خائف إلى حدّ القنوط ولا هو راج إلى درجة ترك العمل.

جمع وفرّق فإن العين واحدة * وهي الكبيرة لا تبقى ولا تذر
فصوص الحكم ، ص 79.

(1) القشيري، الرسالة ، ص 32.

(2) قال ابن عطاء الله في الحكم : " حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال.

وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال" وشرحها ابن عجيبة بقوله:
الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، فإذا دام العمل واتصل الحال صار مقاما،
فالأحوال تتحوّل وتذهب وتجيئ. فإذا سكن القلب في ذلك المعنى صار مقاما.

وهو مكتسب من دوام العمل" إيقاظ الهمم .ص 134.

(3) عبد الكريم حسّان، التصوّف في الشعر العربي، ص 63/64.

(4) ابن عربي، اصطلاحات الصّوفية، مجموعة الرسائل ج.1، ص 566.

(5) ابن عربي، رسالة الخلوة المطلقة، مجموعة الرسائل ج.1، ص 423.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

11 - الظاهر والباطن: الظاهر والباطن أخوان (1) والعقل هو لسان الظاهر والذوق هو لسان الباطن (2)، والظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة. ولا تنافي بينهما. كما لا يصح تحقيق الباطن من غير التمكن في الظاهر (3).

12 - الفناء والبقاء: يكون الفناء عن السوى وهو سقوط الأوصاف المذمومة (4) أما البقاء فيكون بالله وهو " القيام بالأوصاف المحمودة " (5) ومن أمثلة الفناء ما وقع للنسوة اللاني قطعن أيديهن في مشاهدة يوسف عليه السلام. وكلّ فناء لا يعقبه بقاء فهو مذموم (6)، وعموما فإنّ الفناء نوع من أنواع الغيبة عن الحسنّ والغير.

13 - القبض والبسط: القبض من مقتضيات الجلال وهو حال الخوف في الوقت (7) والبسط من مقتضيات الجمال وهو حال " الإشارة إلى قول ورحمة وأنس " (8). فالقبض بمنزلة الخوف للعارف والبسط بمنزلة الرجاء. وتتفاوت نعوت العارفين في القبض والبسط على قدر تفاوتهم في أحوالهم (9).

(1) ابن عربي، كتاب الشاهد من رسائل ابن عربي، ص 17.

(2) ابن عربي، فصوص الحكم، ص 14.

(3) الشعراني، الأتوار القدسية، ج 1، ص 91.

(4) القشيري، الرسالة، ص 36.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) و الفناء " هو ذهاب القلب عن حصى المحسوسات بمشاهدة ما شاهد ثم يذهب عن ذهابه. ثم الذهاب عن الذهاب إلى ما لا نهاية له "

(7) ابن عربي، اصطلاحات الصوفية من مجموعة الرسائل، ج 1، ص 556.

(8) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(9) القشيري، الرسالة، ص 32.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

14- اللاهوت والناسوت: اللاهوت هو صفات الخالق وما اتصل بالعلويات والناسوت صفات المخلوق وما اتصل بالسفليات.

15- المحو والإثبات: المحو رفع أوصاف العادة والإثبات إقامة أحكام العبادة. وأصله قوله تعالى (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) (1)، وللصوفية فيه كلام إشاري كقولهم يحمو عن قلوب العارفين ذكر غير الله ويثبت على السنة المريدين ذكر الله (2) وقولهم يحمو أوصافهم ويثبت أسرارهم.

16- المريد والمراد: المريد هو العبد والمراد هو الله، هذا إذا طرحا بصيغة التقابل أما في صورة الأفراد فإن المراد يعني أحياناً المجدوب كما مرّ في شرحنا للجذب والسلوك وأصل الإرادة قوله تعالى (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (3).

17- السنكر والصحو: قال في (العوارف): السنكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال، فالسنكر لأرباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب (4).

(1) سورة الرعد الآية 39.

(2) قال السهروردي في العوارف "المحو بيزالة أوصاف النفوس والإثبات بما أثير عليهم من آثار الحب من كزوس. فهو - أي العبد - بالحق لا بنفسه بإثبات إياه مستأنفاً بعد أن محاه عن أوصافه" ص 332.

(3) سورة الكهف الآية 28.

(4) السهروردي ، عوارف المعارف ، ص 332، ثم نقل قول الواسطي: مقامات الوجد أربعة : الذهول ثم الحيرة ثم السنكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

18 - الشريعة والحقيقة: الشريعة ظاهر النصّ والحقيقة باطنه، فالشريعة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم والحقيقة أحواله، قال ابن عربي " تخيل من لا يعرف أن الشريعة تخالف الحقيقة وهيئات لما تخيلوه، بل الحقيقة عين الشريعة، فإنّ الشريعة جسم وروح، فجسمها علم الأحكام وروحها الحقيقة. فما ثمّ إلا شرعٌ " (1).

19 - الغيبة والشهود: قال السهروردي: ما دام العبد موصوفاً بالشهود والرعاية فهو حاضر، فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة وخرج من دائرة الحضور فهو غائب (2). والغيبة راجعة إلى مقام الفناء أما الحضور فراجع إلى مقام البقاء.

20 - الهيبة والأنس: قال القشيري هما فوق القبض والبسط وحق الهيبة الغيبة، كما أن حق الأنس الصحو " فكلّ مستأنس صاح ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب " (3).

المصطلح العرفاني الخاص:

يقتصر عرضنا للمصطلحات العرفانية الخاصة على عدد قليل منها فقط وهذا لأسباب علمية وجبهة أجزها في ما يلي:

(1) ابن عربي، كتاب التراجم، من رسائل ابن العربي، ص 28، وقال النابلسي في (أسرار الشريعة): " إن الصوفية قانمون بطم النبوءة المحمدية كما أن علماء الشريعة قانمون بطم الرسالة المحمدية، ولا يجوز لأحد أن يقول إن الأرض تخلو في زمن من الأزمان من علماء الشريعة فكنك لا يجوز أن يقول إنها تخلو في زمن من الأزمان من علماء الحقيقة لأنّ كلا الطرفين ورد عن محمد صلى الله عليه وسلم " أسرار الشريعة ص 268.

(2) السهروردي ، عوارف المعارف، ص 333.

(3) القشيري الرسالة ص 32.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1- إنّ أكثر المصطلحات العرفانية مترتبة على ثلاثة أو أربعة رئيسية تمثل نظريات عرفانية⁽¹⁾ يمكن أن تستقل بحوث خاصة لمن يهّمه موضوع العرفان في التصوّف الإسلامي.

2- إنّ هذه المصطلحات - النظرية⁽²⁾ صعبة الترسّد ويمكن حصرها عند ابن عربي والجيلي والحكيم الترمذي، وعنهم أخذ من استعملها.

3- وجد المستشرقون صعوبة جمة في فهم هذه المصطلحات فربطوها بالعقائد والأديان السماوية والوضعية والفلسفات القديمة، ويتبين مما كتبوا أنهم لم يصلوا بشأنها إلى كبير نتائج.

4- إنّ المصطلح الأخلاقي كمعاني الصبر والحلم والتقوى له أصل ظاهر في الاصطلاح العقدي الإسلامي بخلاف المصطلح العرفاني فهو تركيب جديد لا عهد للمسلمين به، وقد زاده السياق والتحليل العرفانيان إغرابا وتعقيدا.

5- إنّ الرّمزية التي لا تفارق المصطلح الصوفي لفظيا كان أم إشاريا أم فقيها تزداد ارتساما عند الحديث عن المصطلح العرفاني الخاص.

وسيتبين من العرض الاصطلاحي الذي يستقبل ما عرضته من أسباب هي أقرب إلى وصف هذا المصطلح منها إلى تبرير قلته.

(1) عرفانية: غنوصية.

(2) إذا أسعف التركيب اللغوي سميتها نظريات ذات أصول اصطلاحية أي

des théories terminologiques

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1- الإنسان الكامل: يكفي في الدلالة على قيمة هذا المصطلح الذي يمثل نظرية عرفانية كاملة أن الدكتور عبد الرحمن بدوي وضع كتاباً بعنوان (الإنسان الكامل في الإسلام)⁽¹⁾. كما خصّص له ميشال شودكيفيكس الفصل الثالث والسبعون من نصوصه المختارة من (الفتوحات المكيّة)⁽²⁾، أما الدكتورة سعاد الحكيم فرغم ضلوعها في مصطلح ابن عربي فقد كادت لا تصل إلى طائل بشأن هذا المصطلح رغم الصفحات العشر التي خصّصتها له⁽³⁾.

وقديماً كتب عبد الكريم الجيلي (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل). والجيلي هو حفيد الجيلاني الذي عاصر أبا مدين دفين العباد بتلمسان وهو أشهر شيوخ ابن عربي صاحب (الفتوحات). وكلام الجيلي في العرفان عال جداً ويحتاج إلى دراسة خاصة.

والإنسان الكامل في السريانية هو (أناشا قذمايا) حسب تحقيق هانز هينرش شيدر. وفي العبرية (أزام قذمون) حسب نفس المحقق الذي ينقل بدوي كلامه⁽⁴⁾ والتسميتان تعنيان فيما توصلت إليه الإنسان الأول وهو غير الإنسان الكامل، ولكن

(1) د/ عبد الرحمن بدوي، الإنسان الكامل في الإسلام، الطبعة الثانية وكلاء المطبوعات، الكويت 1976.

(2) Michel CHODKIEWICZ selected texts from the meccan illuminations sindbad Paris 1988. the perfect man. chapter 73 p93

(3) د/ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 158 إلى ص 168.

(4) د/ بدوي الإنسان الكامل، ص 48.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ولع المستشرقين بنسبة علوم الإسلام إلى حضارات أخرى معلوم.

وقد سار لويس ماسينيون على نفس النهج فأغرب ونقل بدوي دراسته كاملة⁽¹⁾.

وفي (المعجم الصّوفي) للدكتورة سعاد الحكيم وضعت مرادفات للإنسان الكامل وصلت واحداً وأربعين مرادفا كلها لابن عربي، وبرزت هذه الكثرة من المرادفات بأمرين لا طائل من الوقوف عندهما في سياقنا هذا. وبدا كلاهما مضطربا إلى أن قالت في الصفحة الرابعة إنّ الإنسان الكامل هو محمد صلى الله عليه وسلم⁽²⁾ وإن ابن عربي يستعمل هذه التسمية للكلام على الحقيقة المحمدية⁽³⁾ قالت: " ولم يختلط على دارسي ابن عربي عبارة أكثر من هذه " ⁽⁴⁾. والحق أنّ الإنسان الكامل هو مرادف للحقيقة المحمدية التي هي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويمكن وضع الصورة بالشكل التالي:

الحقيقة المحمدية = الإنسان الكامل = الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا حسب التعيين في الزمن وإلا فإنّ الحقائق الثلاث وجدت في لحظة واحدة من علم الله الأزلي، والشاهد على ما أقول ما أنقل عن ابن عربي في الجزء الأول من (الفتوحات) حيث أورد: " بدأ الخلق هباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرّماني وهو العرش الإلهي ولا أين يحصرها لعدم التحيز.

(1) نفس المصدر من ص 103 إلى ص 138.

(2) د/ سعاد الحكيم، المعجم الصّوفي، ص 161.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ومما وجد؟ وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف
لابالوجود ولا بالعدم".

وأجزم أن الدكتور سعاد التي لم تضع الحقيقة
المحمدية ضمن مرادفات الإنسان الكامل في بداية شرحها لهذا
المصطلح المركب قد استعانت بكتاب الجيلي المذكور الذي
يقول فيه "الإنسان الكامل هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو
القطب الذي تدور أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحدٌ
منذ كان الوجود إلى أبد الأبدين"⁽¹⁾.

والإنسان الكامل هو البرزخ بين الوجود - وهو صفة
الحق - وبين الإمكان - وهو صفة الخلق - ومنه تفيض
الحقائق من الله إلى سائر العوالم، وما المرادفات التي ذكرتها
الدكتورة سعاد الحكيم إلا وجوه ونسب لهذه الحقيقة.

وقد أحسن الدكتور عبد الرحمن بدوي حين حقق
نصوصاً غير منشورة لصدر الدين القوني⁽²⁾ وهو ربيب ابن
عربي وأحد شراح علومه. ووجدت من بينهما نصاً يوضح ما
ذهبت إليه وفيه يقول القوني: "ثم كشف لي عن صور العقل
الأول فإذا هو شيء لا يكيف عند النظر، وكليات الوجود
مندرجة⁽³⁾ تحت إشراقه. ورأيت قد قابل شيئاً مثله في الصورة
وقد اشتمل على الجزئيات فقال لي: هي لوح القضاء والدرة

(1) الجيلي، الإنسان الكامل، ج 1، ص 152.

(2) صدر الدين محمد بن اسحاق، المنسوب إلى قونية بتركيا والمتوفى سنة

672هـ وهو من كبار تلامذة ابن عربي، له (النصوص في تحقيق الطور

المخصوص) و (اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النصائية) و (مفتاح

الغيب) إلخ ...

(3) ما يدخل تحت الإمكان أي ما سوى الله

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

البيضاء، وقال لي: الحقيقة المحمدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء وهي أم الكتاب وحضرة العلم الجامع وإنسان العيان السامع. ومنها كشف لي أسرار النور والوجود والعلم... ثم كشف لي عن ينبوع ذلك فإذا هي المركز والنقطة التي في فؤاد القطب المحمدي" (1)، والنص صريح في أنّ الحقيقة المحمدية هي الإنسان الكامل الذي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. والنتيجة المهمة في نظرية الإنسان الكامل أنها تنفي وحدة الوجود كما فهمها كثيرون من درّاس ابن عربي إذ تبقى على أنتينية الحق والخلق مع الحديث عن الوساطة بينهما وهو هذا الإنسان الرسول الحقيقة. ولهذا قالت الدكتورة سعاد بحق " إن الإنسان الكامل هو الحدّ الجامع الفاصل بين الحق والعالم" (2).

2 - ختم الولاية: أورد الدكتور عبد المنعم الحفني في (الموسوعة الصوفية) مصطلح خاتم هكذا مجردا. فذكر معنى خاتم الأنبياء ثم انتقل إلى معنى خاتم الأولياء فقال - ناقلا جملة ابن عربي في الفصوص بحرفيتها " وخاتم الأولياء هو الولي الوارث الأخذ عن الأصل المشاهد للمراتب" (3).

(1) د/ بدوي، الإنسان الكامل، ص 196.

(2) د/ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي ص 161. وفي كتاب (عقائد مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب) لابن عربي فصل عنوانه (امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية إلى جميع الحقائق) يؤكد هذا الرأي. ابن عربي (عقائد مغرب) من مجموعة الرسائل ج 3 ص 40، وكذا فصل (الإنسان الكامل) من كتاب الجبلي وأنه " مقابل للحق والخلق " ج 2، ص 90.

(3) د/ عبد المنعم حفني، الموسوعة الصوفية، ص 728.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والحق أن هذا الكلام يحتاج إلى مزيد إيضاح. فالذين تكلموا عن ختم الولاية ثلاثة هم الحكيم الترمذي⁽¹⁾ في كتابه (ختم الولاية وعلل الشريعة) وابن عربي في (عناء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب) وبعض فصول (الفتوحات) ومحي الدين الطعمي من المعاصرين في كتابه (أسرار خاتم الأولياء)⁽²⁾ وبعض فصول (تكملة الفتوحات المكية) المعروفة أيضا باسم (عروش الحقائق). وكل الذين تحدّثوا في هذا الموضوع بعد ذلك إنما أخذوا من هؤلاء الثلاثة باستثناء الشيخ براده في (جواهر المعاني) فإنه يعني بختم الولاية القطب الخاتم أو القطب المكتوم سيدي أحمد التجاني⁽³⁾. وهو ما سنراه مع الشيخ محي الدين الطعمي.

وختم الولاية يقابل ختم النبوة وهو عند ابن عربي كما يتضح من الجزء الأول من (الفتوحات)⁽⁴⁾ وكذا الجزء الثاني ومن كتابه (عناء المغرب)⁽¹⁾ ختمان:

(1) أبو عبد الله بن علي الحكيم الترمذي ولد سنة 205 وتوفي سنة 320هـ أسس الطريقة الحكيمية. وركز نظريته العرفانية على نظرية ختم الولاية وأشهر كتبه هو (ختم الولاية) وله أيضا (كتاب الفروق) و (توادر الأصول في أحاديث الرسول)

(2) محي الدين الطعمي (أسرار خاتم الأولياء) من موسوعة (إحياء علوم الصوفية)، ج1، ص378.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني (1230/1150هـ) ولد بعين ماضي نواحي الأغواط ومات ودفن بزرهون بلناس المغرب الأقصى، مؤسس الطريقة التيجانية وهي طريقة شكر كما سنرى في مبحث الطرق في حديث المنهج. لم يولف وإنما نقل أصحابه علومه وهي في الغالب الأعم أكبرية المشرب.

(4) ابن عربي الفتوحات، ج1، ص 8/7 والفتوحات، ج2 ص 50 والفتوحات، ج3، ص 328.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1- ختم الأولياء وهو الإمام المهدي عليه السلام الذي يظهر بخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام⁽²⁾.

2- ختم الولاية المحمدية وهو ابن عربي نفسه فيما قدر، قال عن الختم الأول في (عنقاء المغرب): واعلموا أن زمانه أربع من صورة العقود الأول على حسب ما حط له في الأول، فكان العام الأول في كشمير والعام الثاني كجمعة والعام الثالث كيوم والعام الرابع كساعة. وما بقي من الأعوام كخطرات الأماني والأوهام، وأنه زائل من مرتبته بختمه وظاهر بعلم غيره لا بعلمه وجار في ملكه على خلاف حكمه، ولولا ظهر بهذا العلم وحكم بهذا الحكم ما صح له مقام ولا ختمت به ولاية ولا كملت به هداية⁽³⁾، وعن الختم المحمدي يقول في (الفتوحات) "ختم الولاية المحمدي يختم ولاية الأولياء لتمييز المراتب بين ولاية الولي وولاية الرسل"⁽⁴⁾.

ولا خلاف بين العرفانيين من الصوفية في كون المهدي خاتم الأولياء، إنما الخلاف حول تعيين ختم الولاية المحمدية فقد ذكر ابن عربي أنه هو⁽⁵⁾. وقال الطعمي وسائر

(1) ابن عربي، عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، ص 75 من طبعة علي صبيح وأولاده القاهرة 1954، من (عنقاء) ضمن مجموعة الرسائل، ج 3، ص 55 في فصل نكتة تمام الأنبياء في تعيين ختم الأولياء.

(2) جلال الدين السيوطي، العرف الوردي في أخبار المهدي ضمن الحاوي للفتاوي، ج 2، ص 87/59

(3) ابن عربي عنقاء مغرب من مجموعة الرسائل، ج 1، ص 75.

(4) ابن عربي، الفتوحات، ج 4، ص 195.

(5) ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 244.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

اتباع الطريقة التجانية ، إنه الشيخ أحمد التجاني المكتوم
والمختوم⁽¹⁾.

فبعد أن ذكر وصف الختم المحمدي في كتابه (أسرار خاتم الأولياء) وقال بأن " مقامه الكتم وحاله الختم، بصرف العوالم ويحقق في الظالم الوارث للهكل المحمدي أي الكامل الصمداني مفخرة الحق في الملك والملكوت ذوقه وحيد ووصفه فريد"⁽²⁾ عاد في (عروش الحقائق) ليقول بوضوح أكثر " أما سرّ هذا الختم فهو رجل مقامه بين النبوة والقطبانية، اسمه أجمد كنيته أبو العباس⁽³⁾ بلده فاس، حسني النسب نبوي الأدب منقطع المشرب إلا عن جدّ المصطفى صلى الله عليه وسلم، صاحب الأدب، مولده في عين مضت⁽⁴⁾ وبدا نجمه من علم المعاني إلى علم الظهور في سنة⁽⁵⁾ خمسين ومائة وألف من الهجرة"⁽⁶⁾ وهو كلام يبين عن اسم الختم ومولده وكنيته كما يعتقد الطعمي.

(1) صفة القطب الجامع الفرد فإذا أضفنا إليه الختمية كان مقامه بين الصديقية والنبوة، وإذا قال تجاني القطب المكتوم فإبه يعني الشيخ أحمد التجاني.

(2) محي الدين الطعمي، أسرار خاتم الأولياء من موسوعة إحياء علوم الصوفية، ج 1، ص 380/379.

(3) المصدر نفسه

(4) المصدر نفسه

(5) هي كنية الشيخ أحمد التجاني وبلده عين ماضي حيث ولد وسنة مولده 1150 هـ.

(6) الطعمي، عروش الحقائق، ج 2، ص 692.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وجدير بالذكر أن الطعمي كتب فصلاً اعتبر فيه ادّعاء صفة الإمام الخاتم من الابتلاءات الحادثة بين يدي الساعة⁽¹⁾. وهو يقصد ختم الولاية الحاصل للمهدي كما يتبين من قراءة هذا الفصل.

وفائدة نظرية ختم الولاية ارتباطها بأمرين أساسيين في عقيدة المسلمين هما كون الإسلام ناسخاً لسانن الديانات السماوية وكون الساعة أمر عقدي لا مفر منه بالإضافة إلى التحصيل الكمالي الأسماني عند الصوفية.

العماء: سنل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ فقال: في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء⁽²⁾.

والعماء عند الصوفية العرفانيين هو حضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات وهي بين الأحدية الإلهية والكثرة الخلقية⁽³⁾. قال ابن عربي "العماء أصل الأشياء والصور كلها وهو أول فرع ظهر من أصل"⁽⁴⁾ "وهو عالم الثبوت للممكنات جميعاً"⁽⁵⁾. وعند الجيلي - والمعنى واحد - "أن العماء عبارة عن حقيقة من الحقائق التي تتصف بالحقيّة ولا بالخلقية، والفرق بين العماء والأحدية أن الأحديّة حكم الذات في الذات بمقتضى التعالي وهو الظهور الذاتي الأحدي

(1) المصدر السابق، ج2، ص553.

(2) رواه أحمد في مسنده

(3) د/ أنور فؤاد أبي خزام، معجم المصطلحات الصوفية، ص 129.

(4) ابن عربي، الفتوحات، ج3، ص 420

(5) د/ سعاد الحكم، المعجم الصوفي ص 822

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والعماء حكم الذات بمقتضى الإطلاق فلا يفهم منه تعال وتدان وهو البطون الذاتي العماني" (1).

الغيب: أمّهات الغيوب التي تظهر التجليات سبعة:

- أ- غيب الحقّ وحقائقه.
- ب - غيب الخفاء المنفصل من الغيب المطلق.
- ج - غيب السرّ المنفصل من الغيب الإلهي.
- د - غيب الروح وهو حضرة السرّ الوجودي.
- هـ - غيب القلب وهو تعانق الروح والنفس في الكمال.
- و - غيب النفس وهو مقام الأنس.
- ز - غيب اللطائف البدنية.

ملاحظة:

هذه بعض أمّهات المصطلحات العرفانية باعتبارها تؤسس لنظريات كاملة في العرفان الصوفي الإسلامي. أمّا ما يترتب عليها من مصطلحات فرعية كالخيال والرّفرف وعالم الرقا وما إليها فلا تكاد تحصره المعاجم لتشعبه وكثرة الاستطراد فيه بحسب مشرب الصّوفي وموسوعيته.

ومن الحيف أخذ المصطلح مستقلاً والحكم على عقيدة صاحبه، فلا مصطلح من غير سياق، والسياق قد يكون كتاباً وقد يكون موسوعة وقد يكون الأعمال الكاملة للصّوفي العارف، وتبقى الرّمزية هي السّمة الأساسية للمصطلح الصّوفي في جميع مراتبه.

ثبت بأهم مصطلحات الصّوفية مترجمة إلى اللغة الفرنسية (1)

(1) الجيلي، الإنسان الكامل، ج1، ص 125.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

المصطلح	الترجمة	المصطلح	الترجمة
Station de la solitude spirituelle	التفريد	Conjonction extasiante	الاتصال
Abandon à Dieu	التوكل	sincérité	الإخلاص
Monde supra-formel	الجبروت	inspiration	الإلهام
Attraction spirituelle	ال جذب	ipseité	الإيتية
Voile interne	الحجاب	Ascention	الإسراء (والمعراج)
Etat spirituel	الحال	Nom suprême	الاسم الأعظم
Préservation du lien spirituel	حفظ النسبة	Méditation illuminative	الإشراق
Vérité ésotérique	الحقيقة	Saint apotropeen intercesseur	البذل
Certitude de la réalisation	حق اليقين	interiorisation	الباطن
émerveillement	الحيرة	Influx divin	البركة
AL- Khadir AL - Khidr	الخضر	Elargissement spirituel	البسط
الترجمة	المصطلح	الترجمة	المصطلح
L'excellence	الخواص	Clairvoyance	البصيرة
Le pôle de l'époque	قطب الزمان	Invocation	التكر
Le pôle des pôles	قطب الأقطاب (الغوث)	Invocation d'exellence	نظر الخواص

(1) لأن مصادر البحث الأجنبية المعتمدة في هذا الكتاب كتب أغلبها السأحي باللغة الفرنسية.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

Rayon sacré	اللاح	Saveur spirituelle	الدوق
Centres subtiles (le très caché, le caché, le secret, l'esprit, le cœur)	اللطائف الإنسانية	Agrément divin	الرضا
Le non-être	الليسية	Secret divin	السر
Demeure spirituelle Station sur la voie spirituelle Station sur la voie de l'ascèse	المقام	Ivresse mystique	السكر
Monde céleste angélique	الملكوت	Maître spirituel	الشيخ
Connaissance ésotérique	المعرفة	Lucidité	الصحو
	الترجمة	الترجمة	المصطلح
Vigilance contemplative	المراقبة	pureté	الصفاء
Ceuvres surérogatives	النوافل	Le gnostique	العرف
Lumière des lumieres	نور الأنوار	Monde de l'ordre créateur	عالم الأمر
Annihilation du moi devant Dieu	غروب الهويات	Certitude de la vision	عين اليقين
Resserrement spirituel	القبض	Annihilation, mort de l'égo	الفناء

الباب الثالث

[III]

مسالك المنهج الذاني في المعرفة الصوفية

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفصل الأوّل
[1]
المعرفة الصوفية
وقصور العقل

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ من نافلة القول الحديث عن أدوات ذاتية عند تفكيكنا لمسالك المنهج في المعرفة الصّوفية. وأريد قبل تناول هذه الأدوات بالبحث أن أسوق ملاحظة تبدو لي غاية في الأهمية وهي حديث الصّوفية عن معنى العلم والمعرفة. فقد سنل الشيخ أبو العباس التجاني⁽¹⁾ عن حقيقة العلم فأجاب بأنه ملكة تحصل في الشخص بحسب استقراره لضوابط العلم وقوانينه بالقدر الذي يمكنه من أن يدفع جميع وجوه الإشكال والتلبيس عن ذلك العلم وأن يأتي فيه باستشهادات تفصل حقائق ذلك العلم من مجازاته وارتباط لوازمه من ملزوماته وانفصال ما يوجب الفرق بين متفرقاته " من غير أن يسمع ذلك من مدارس كتب ولا تعليم ولا مطالعة كتب ولا تفهم بل بحسب ما تُعطيه القوة الملكية لا الصّورة المنقولة"⁽²⁾ والمنقولة عندهم إمّا عن قوّة ضرورية وإمّا عن أسماع خبرية. ومعلوم أنّ الشيخ تناول بالشرح والبيان المعنى العام للعلم وإلا فإنّ المعنى الخاصّ الذي يقصده الصوفية أبعد غورًا.

فقد تناول القشيري مثلاً قوله تعالى (لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)⁽³⁾، فقال إنّ الراسخ في العلم من لا يكون في الدليل مقلدًا بل ينتهي إلى حدّ لا يكون للشكّ في عقله مساع وهذه المرتبة الدنّيا وفوقها مرتبة من يرتقي عن حدّ تأمل البرهان ليصل إلى

(1) سبق التعريف به .

(2) علي برّاده الفاسي، جواهر المعاني، دار الجبل بيروت 1988، ج2، ص

76.

(3) سورة النساء الآية 162.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

حقائق البيان. وفوق هذه الرتبة درجة العالم الذي ورث العلم عن الله بلا واسطة. ثم ذكر أنّ هذا الصنف الأخير هو "عالم لاطفه حتى أحضره ثم كاشفه فقهره. فالإسم باق والعين محو" والحكم طارق والعبد محق"⁽¹⁾.

ويرى الصوّفية أن كلّ علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك إذا حرص عليه لأنه نتيجة الذهن وثمرة العقل إلا علم الإيمان والإيقان - أي التصوّف - فإنه لا يستطيعه إلا مؤمن موقن لأنه آيات الله وعهده والمكاشفة بقدرته وعظمته، وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين"⁽²⁾ فمن كان عاريا من اليقين لأبسّته دواخل الشكّ.

والعلم عندهم ثلاثة:

- أ - العلم بالله وهو معرفة صفاته ونعوته.
ب - العلم من الله وهو علم الحلال والحرام

والأمر والتهي.

ج - العلم مع الله وهو علم الخوف والرّجاء
والمحبة والشوق⁽³⁾.

وهذه الثلاثة تُمثل التوحيد والأحكام والمعاملة، والأخيرة أعلاها وتسمى علم الأخلاق أو التزكية أو الذوق وكلها ذات دلالة واحدة هي التربية الروحية أو التصوّف. فإذا حصل العلم أنتج الإنابة والإنابة منتجة للتوبة والتوبة تنتج الحزن والحزن ينتج الخوف والخوف ينتج الاستيحاش من

(1) الفشيري، لطائف الإشارات، ج 1، ص 226.

(2) أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج 1، ص 353.

(3) ابن عربي، كتاب الجلال من مجموعة الرسائل، ص 282.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الخلق والاستيحاش من الخلق ينتج الخلوة والخلوة تنتج الفكرة والفكرة تنتج الحضور والحضور ينتج المراقبة والمراقبة تنتج الحياء والحياء ينتج الأدب والأدب ينتج مراعاة الحدود ومراعاة الحدود تنتج القرب والقرب ينتج الوصال والوصال ينتج الأُنس والأُنس ينتج الإدلال والإدلال ينتج السؤال والسؤال ينتج الإجابة⁽¹⁾.

قال ابن عربي "وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة في اصطلاح بعض أصحابنا والعلم في اصطلاح بعضهم"⁽²⁾ ويقصد بالعلم هنا العلم "الذي هو سرّ بين العالم وبين الله وهو حقيقة الإيمان"⁽³⁾ لا يظهره صاحبه لا لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن⁽⁴⁾ وهذا العلم الذي هو سرّ بين العبد وربّه هو مرادف المعرفة إذ يعنيان "كشف الشيء على ما هو عليه"⁽⁵⁾ أي معرفة الله ذوقاً.

وذكر الغزالي أنّ سرّ المعرفة وروحها التوحيد وذلك بأنّ ينزّه العبد حياة الحقّ وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه. أمّا علامتها فهي حياة القلب مع الله تعالى وهذا هو مقام الرّؤية والمشاهدة "فيرفع الله تعالى بعض الحجب ليريهم نور ذاته تعالى وصفاته عزّ وجلّ من وراء الحجاب ليعرفوه"⁽⁶⁾ أمّا حقيقة المعرفة فنورٌ يطرحُ في قلب

(1) ابن عربي، مواقع النجوم ومطلع أهلة الأسرار والعلوم، ص 17.

(2) نفس المصدر، ص 18.

(3) نفس المصدر، ص 27.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس المصدر، ص 26.

(6) الغزالي، روضة الطالبين وعدة السالكين، ص 55

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

المؤمن⁽¹⁾ فالعالم بالله إذن هو العارف به. ولهذا أطلق الصّوفية لقب العارف بالله على أكابرهم وجاءت المعرفة الصّوفية "نوقية كشيّة إلهامية باطنية تأتي القلب مباشرة دون إعمال العقل ودون استخدام الحواسّ فهي إذن معرفة خاصّة"⁽²⁾. وقد ذكر الهجويري في (كشف المحجوب)⁽³⁾ بعض أقوال الصّوفية في المعرفة منها قول ذي النون المصري حقيقة المعرفة اطلاع الخلق على الأسرار بمواصله لطائف الأنوار وقول الشبلي المعرفة دوام الحيرة وقول أبي يزيد المعرفة أن تعرف أن حركات الخلق وسكناتهم بالله إلخ...⁽⁴⁾ ونقل الرفاعي تقسيم الواسطي المعرفة إلى نوعين:

أ- معرفة الإيمان وهي توحيد الملك الديان والإقرار بصدق ما في القرآن.

ب- معرفة الإيقان وهي دوام مشاهدة الفرد الديان⁽⁵⁾.

وقد عثر محمد جلال شرف على نص مخطوط للجنيد⁽⁶⁾ حدّ فيها الجنيد المعرفة بمختلف أطوارها الذوقية فأحببت أن أثبت هذا النص المخطوط بكامله لأهميته. قال الجنيد: "اعلم أنّ أول عبادة الله عزّ وجلّ معرفته، وأصل

(1) نفس المصدر ، ص 56.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، ص 8.

(4) الهجويري، كشف المحجوب، ص 518.

(5) أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، حققه وعلق عليه عبد الغني

نكه مي، الطبعة الأولى، حلب 1408، ص 27.

(6) ورقة رقم 63، مخطوطة شمسية تصوير حامد مراد رقم 1036 ب، مكتبة

أداب الإسكندرية.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

معرفة الله توحيداً، ونظام توحيد الصفات عنه بالكيف والحيث والأين فبه استندل عليه وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه، وتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيد وقع التصديق به، والتصديق به وقع التحقيق عليه، ومن التحقيق جرت المعرفة به، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا إليه، ومن الاستجابة له وقع الترقى إليه، ومن الترقى إليه وقع الاتصال به، ومن الاتصال به وقع البيان به وقعت الحيرة وذهب البيان ومن ذهابه انقطع الوصف ووقعت حقيقة الوجود ومن حقيقة الوجود وقع الشهود بذبابه عن وجوده، وبفقد وجوده صفا وجوده، وبصفائه غيب عن صفاته ومن غيبته حضر بكنيته، ومن حضور كنيته فقد بكنيته فكان موجوداً مفقوداً فكان حيث لم يكن ثم كان بعدما لم يكن حيث كان، فهو هو بعدما لم يكن هو، فهو موجود بعدما كان موجوداً مفقوداً لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحو، وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها بعد بلوغه غاية ماله منه⁽¹⁾.

وهذا الكلام العرفاني الخالص يبيّن تداخل الأحوال الوهية والمقامات الكسبية في الذات العارفة ليتمخض عن ذلك العرفان الذوقي الخالص لحقيقة التوحيد وشهوداً أي معرفة الله خارج دائرتي العقل والحس، ويؤيد هذا البيان قول النفري: "ما بلغت معرفة من لم يقف ولا نفع علم من لم يعرف"⁽²⁾.

(1) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، ص 317.

(2) النفري، المواقف، ص 14.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ب - من لم يغترف العلم من عين العلم لم يعلم الحقيقة ولم يكن لما علمه حكم فحلت علومه في قوله لا في قلبه⁽¹⁾.
وينقل القشيري عن أستاذه أبي علي الدقاق أنّ كلّ عارف بالله عالم وكل عالم عارف⁽²⁾.

وهذا أبو يعقوب السوسي يسأله بعض مرّديه: هل يتأسّف العارف على غير الله عزّ وجلّ؟ فيجيبه: وهل يرى غيره فيتأسّف عليه لأنه ينظر الأشياء بعين الفناء والزوال⁽³⁾.
وقد حدّر ابن عربي وكل أكابر الصّوفية من ولوج طريق المعرفة قبل إتقان البدايات⁽⁴⁾، قال "إنّ باب الملكوت والمعارف من المحال أن يفتح وفي القلب شهوة هذا الملكوت وأمّا باب العلم بالله من حيث المشاهدة فلا يفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت⁽⁵⁾ بل إنّه في رسالته إلى الإمام الرازي يحثه على الترقّع عن المعقولات الكلامية لتذوق معاني التوحيد كشفاً فيقول له: "ارفع الهمة في أن لا تأخذ علماً إلا من الله تعالى على الكشف فإنّ عند المحققين أن لا فاعل إلا الله، وما فاز أهل الله إلا بالوصول إلى عين اليقين أنفه من البقاء مع علم اليقين"⁽⁶⁾. وجزم الشيخ الأكبر أنّه لا تصحّ المعرفة بالله لأحد حتى "يتعرّف إليه ويعرفه بظهوره فيبصره

⁽¹⁾ نفس المصدر، ص 20، ويضيف بعد ذلك "إذا عرفت معرفة المعارف جعلت العلم دابة من دوابك وجعلت الكون كله طريقاً من طرقكك".

⁽²⁾ القشيري، الرسالة، ص 141.

⁽³⁾ نفس المصدر، ص 142.

⁽⁴⁾ ابن عربي، رسالة الأنوار من مجموعة رسائله، ص 5.

⁽⁵⁾ نفس المصدر، ص 18.

⁽⁶⁾ ابن عربي، رسالة إلى الإمام الرازي من مجموعة رسائله، ص 3.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

من القلب عين اليقين بنور اليقين⁽¹⁾ وهو مقام المعرفة المحض الذي عبّر عنه في موضع آخر بأنه المقام الذي فيه⁽²⁾ تبلغ الغايات وتتحدّ الشهادات والغائبات وتجتمع الهمم والإرادات، ومن هنالك ابتداء نشأة أخرى في الحضرات الإلهيات⁽³⁾ "وهذه هي المعرفة التامة الكاملة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله"⁽³⁾.

إنّ هذا المدخل حول العلم والمعرفة من المنظور الصوّفي المحض يقودنا إلى أمرين أساسيين هما:

1- الفصل الإبستيمولوجي (المعرفي) بين العلم والمعرفة (إن وُجد).

2- سوق مثالين منطبعين بملاحظات العلم المعاصر ولكن لهما جانب خفيّ هو من مدارك علم التصوّف أو الممارسة الصّوفية التي ثمرتها الفتح كما سنذكر في فصل لاحق.

أمّا في الشطر الأوّل من الملاحظات والاستنتاجات فالخلاصة التي توصلت إليها هي كون العلم والمعرفة يترادفان في المعنى عند جمهور الصّوفية فالأوّل هو اليقين الاعتقادي والأخير هو اليقين الدوّقي فلا يزال نور الإيمان والإيقان يزداد في قلب المؤمن حتى يعطيه الله نور الفرقان⁽⁴⁾ وهو النور الذي

(1) ابن عربي، كتاب التراجم من مجموعة الرسائل، ص 20.

(2) ابن عربي، كتاب الكتب من الرسائل الإلهية، ج 2، ص 32.

(3) ابن عربي، فصوص الحكم، ج 1، ص 181.

(4) مصداقاً لقوله في سورة الأنفال الآية (إِنَّ تُثْقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يُميّز به بين الحقّ والباطل ويكتسب به الفيوضات⁽¹⁾ والأسرار ثم يترقى هذا الفيض القدسي حتى يستولي الحب الإلهي (الإخلاص المحض) على قلب العبد فيرزق برد اليقين حيث يزول الخيال والوهم وتحصل طمأنينة القلب وراحة السرّ فيشاهد بذوقه الباطن الأمور عيانا ويعيش الحضور اليقيني الدوّقي الذي اعتذر الإمام الغزالي عن وصفه وعبر عنه " بدرجات يضيق عنها نطاق النطق "⁽²⁾ إذن فاليقين الاعتقادي علم فيه نسبة عالية من الدوّق بينما المعرفة عين الدوّق وقد تساءل ابن عطاء الله في (الحكم) التي مرّت معنا فقال (شئان بين من يستدل به أو يستدل عليه. المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه؟ ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟)⁽³⁾.

وقد جعل بعضهم العلم أعلى من المعرفة لكون العلم صفة الحقّ والمعرفة صفة العبد ثم لكون المعرفة حال مسبوقة بالجهل فالمعرفة محبّة والعلم نعت إلهي لذلك فإن " المعرفة حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس والعلم حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه. فالمعرفة تشبه التّصوّر والعلم يشبه التّصديق "⁽⁴⁾.

(1) وهي المنح الخاصة جمع منحة، ومن الماثور عند الصوفية قولهم بعد المحن المنح أي أنّ الفيض هو ثمرة الجهد.

(2) (الغزالي، المنقذ من الضلال تحقيق د/ عبد الحليم محمود، ص 378.

(3) (ابن عطاء الله، الحكم الحكمة 29، ص 51.

(4) (ابن أنبوجة الشنقطي، ميزاب الرحمة الربانية، المكتبة الشعبية - بيروت - بدون تاريخ، ص 288.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- وقد حصر صاحب هذا الرأي علوم المعرفة في سبعة هي:
- أ- علم الأدوية (الروحية) وما يحتاج إليه المربي (أي الشيخ الصوفي).
 - ب- علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه.
 - ج - العلم بالنقص والكمال في الوجود.
 - د - العلم بخطاب الحقّ عباده بالسنة الشرائع.
 - هـ علم التجلي.
 - و- علم الخيال وعالمه المتصل والمنفصل.
 - ز- العلم بالأسماء الإلهية وهو علم الحقائق ومنه الرّؤيا⁽¹⁾.

ومن الذين وافقوا هذا المذهب ابن قيّم الجوزية⁽²⁾ أشهر تلاميذ ابن تيمية الذي يرى " أن المعرفة تتعلّق بذات الشيء، والعلم يتعلّق بأحواله فنقول عرفت أباك وعلمته صالحا. ولذا جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة، فالمعرفة تشبه ذكر الشيء والعلم ضدّ الجهل"⁽³⁾. وقد سمى ابن القيم الفروق الخمسة التي توصل إليها فروقا معنوية بين العلم والمعرفة وهي:

- أ- المعرفة تتعلّق بذات الشيء والعلم يتعلّق بأحواله.
- ب- المعرفة ضدّ الإنكار والعلم ضدّ الجهل.

(1) المصدر السابق ، ص 235.

(2) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (691-751هـ) ولد وتوفي بدمشق، له مؤلفات في التصوف منها (مدارج السالكين) و (طريق الهجرتين)

(3) ابن القيم، مدارج السالكين في منازل السالرين، دار الكتاب العربي، بيروت 1972، ج3، ص 337.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ج - المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره.

د - يقال علمت زيدا دون عرفت زيدا وهذا إذا خبرته.

هـ - المعرفة علمٌ بعين الشيء مفصّلا عن سواه بخلاف

العلم الذي يتعلّق بالشيء إجمالاً⁽¹⁾.

ثم أقرّ تقسيم الإمام الهروي الأنصاري الصوفي

صاحب (منازل السانترين)⁽²⁾ المعرفة إلى ثلاثة أنواع:

أ- معرفة الصفات والنعوت.

ب- معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات

والذات.

ج- معرفة مستغرقة في محض التعريف لا يوصل إليها

الاستدلال ولا يدلّ عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة وهي على

ثلاثة أركان:

* مشاهدة القرب.

* الصّعود عن العلم.

* مطالعة الجمع.

ثم قال عن هذه المعرفة الأخيرة " وهي معرفة خاصّة

الخاصّة"⁽³⁾ وأردف " ولعمر الله إنّ هذه درجة من المعرفة

منيفة ورتبة شريفة تنقطع دونها أعناق مطايا السانترين فلذلك

(1) المصدر السابق، ج3، ص 336.

(2) شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري (396-418هـ) حنبلي المذهب. من مؤلفاته (نم الكلام وأهله) و (المناجاة) و

(منازل السانترين) و (طبقات الصوفية).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين، ج3، ص 366.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لا يوصل إليها الاستدلال إنّما هي فضلٌ من الفضلُ بيده" (1) وهو قريب من تعبير المُحاسبي الصّوفي في كتاب (العلم) حين قسّم العلم إلى علم الظاهر وهو علم أحكام الدّنيا ثم علم العبادة الباطنة ثم أخيراً نوع من العلم هو " بحرٌ لا يدرك غوره وإنّما يعلمه العلماء من أهل الإيمان" (2).

ويؤكد ترادف العلم والمعرفة في التصوّف الإسلامي الغالب الأعمّ مما كتب الصّوفية العرفانيون. فقد جعل ابن عربي حركة العلم وحركة المعرفة (3) تسيران في فلك رُوحِي واحد رغم اختلاف " الأصحاب " (4) في الاصطلاح (5). أما النّفري فإبّنه يقول في (المواقف والمخاطبات) بأنّ علم المعرفة دون المعرفة (6) وأنّ " العلم وطرقاته وصف من أوصاف المعرفة " (7) التي هي " مستقرّ الغايات ومنتهى النهايات " (8). أمّا الجبلي صاحب المذهب العرفاني الوجودي فإبّنه تناول معنى العلم قال " إبّنه أقرب الأوصاف إلى الحيّ كما أنّ الحياة

(1) نفس المصدر، نفس الجزء، ص 367.

(2) الحارث المحاسبي، كتاب العلم، تحقيق محمد العابد مزالي، الدار التونسية للنشر 1975، ص 159.

(3) ابن عربي، مواقع النجوم، ص 38.

(4) نفس المصدر، ص 18، ويعني بالأصحاب الصّوفية.

(5) قال في ص 18 من نفس المصدر " وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة في اصطلاح بعض أصحابنا والعلم في اصطلاح بعضهم ".

(6) النّفري ، المواقف، ص 97.

(7) نفس المصدر، ص 217.

(8) نفس المصدر ص 218.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أقرب الأوصاف إلى الذات. ولهذا كنى الله تعالى عن العلم بالحياة⁽¹⁾. وأقول انتهاء :

1- إنه لا وجود لفصل إبستمولوجي بين العلم (بالمعنى الصوفي) والمعرفة بنفس المعنى بل هما من حيث الدلالة العرفانية الوجودية أمرٌ واحد.

2- إن مشكلة الإنسان " معضلة معرفية لا وجودية "⁽²⁾ كما يقول الدكتور حامد ناصر أبو زيد.

3- يعرف " الغنوص "⁽³⁾ بأنه " نوع من الدّوق لا دخل للعقل فيه. وشهود للحقّ في القلب استضاء بنور الله "⁽⁴⁾

4- من المهمّ أن ننقل بعض كلام ابن سينا⁽⁵⁾ حول مفهوم العرفان ومعنى العارف. قال:

أ- العرفان مبتدئ من تفريق ونفص وترك ورفض معنّ في جمع هو جمع صفات الحق للذات المريدة بالصدق مُنته إلى الواحد ثم وقوف⁽⁶⁾. وحديثه عن مقام الوقوف يصله

(1) الجيلي، الإنسان الكامل، ج1، ص76.

(2) د/ نصر حامد أبو زيد، فلسفة التّأويل، ص 198.

(3) الغنوص gnosticism ومعناه مذهب العرفان ويشقّ من الفعل

to know أي عرف والمعرفة: knowledge والعرفان: gnose

ومفهومه العلم - من حيث تجاوز العقل - يقترب من التصوف المسيحي والروحانية الهندوسية بمختلف مشاربها.

(4) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، ص 157.

(5) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (370هـ / 428هـ) فيلسوف وطبيب أشهر كتبه (القانون في الطب). وقد كتب استكمالاً لمذهبه العقلي في التصوف النظري كتباً أهمها (أسباب حدوث الحروف) و(الإشارات والتنبيهات)

(6) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر 1968، القسم الرابع، ص 98.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بالتفري الذي جعل الوقفة قمة المعرفة وبالأمير عبد القادر الجزائري في مواقفه التي هي مشرباً عرفاني أكبري (نسبة لابن عربي).

ب- من أثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن وجد العرفان كأنه لا يجده بل يجد المعروف به فقد خاض لجه الوصول. وهناك درجات ليست أقل من درجات ما قبله أثرتنا فيها الاختصار فإنها لا يفهمها الحديث ولا تشرحها العبارة ولا يكشف المقال عنها غير الخيال ومن أحب أن يتعرفها فليترج إلى أن يصير من أهل المشاهدة دون المشاهدة ومن المواصلين للعين دون السامعين للأثر⁽¹⁾.

ج- العارف ربّما ذهل فيما يصار إليه فغفل عن كلّ شيء فهو في حكم من لا يكلف. وكيف والتكليف لمن يعقل التكليف حال ما يعقله ولمن اجترح بخطيئته إن لم يعقل التكليف.

جلّ جناب الحق عن أن يكون شريعة لكلّ وأراد أو يطّلع عليه إلا واحد بعد واحد⁽²⁾. ويعني بالواحد القطب وهو "رأس العارفين"⁽³⁾.

أنقل بعد هذا ببعض التحليل مثالين من صميم الملاحظة العلمية حول حقائق وطيدة الصلّة بالتصوّف الإسلامي.

والمثالان فيهما نقلة من السيمولوجي إلى الإبستمولوجي أو هُما البعد الإبستمولوجي لحقائق متصلة

(1) نفس المصدر، ص 100.

(2) المصدر السابق، ص 109.

(3) أورد هذا الشرح ابن خلدون بعد نقله جملة ابن سينا، المقدمة، ج 2، ص 592. ثم نقده بعد ذلك.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بالتصوّف والباراسايكولوجي. أمّا المثال الأول فمجسّد جيّدًا كتاب (التصوّف والباراسايكولوجي)⁽¹⁾ للدكتور عبد الستار عزّ الدين الراوي وفيه حاول المقاربة بين بعض الكرامات المذكورة في كتب التصوّف أو الشائعة بين الصوفية والظواهر النفسانية الفارقة.

تناول الباحث مثلًا ظاهرة " الاستشفاف " ⁽²⁾ الذي يعني القدرة على رؤية الأشياء والحوادث خارج نطاق البصر التقليدي وراء الحواجز والجدران " إلى مدى يصل أبعد من نصف الكرة الأرضية " ⁽³⁾ وقابله بالتجلي الصوفي وضرب له مثلًا بصبيّ للشيخ أبي مدين شيخ ابن عربي⁽⁴⁾.

كما تناول التحريك النفسي (psycho kinesis) بتعبير واضعه جي بي راين الذي هو " التأثير المباشر للعقل على منظومة ماديّة بدون توسّط أي طاقة فيزيائية معروفة " ⁽⁵⁾ وقابل هذه الظاهرة بفعل الصوفي في حال التجريد⁽⁶⁾ وضرب أمثلة لمشاهير من الصوفية كالسهروردي وعلي بن وهب إلخ...

(1) د/ عبد الستار عزّ الدين الراوي، التصوّف والباراسايكولوجي (مقدمة في الكرامات الصوفية و الظواهر النفسانية الفارقة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عمان 1994.

(2) سمّاها " الجلاء البصري " أيضا ومعناها أن يشفّ الإنسان فيدرك المغيبات أو الأشياء البعيدة جدًا.

(3) المصدر السابق، ص 59.

(4) المصدر السابق، ص 60.

(5) نفس المصدر، ص 65.

(6) نفس المصدر، ص 67/66.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ثم تناول استحضار الأشياء وهو "استدعاء شئ من مكان بعيد والقدرة على تحريك شئ من مكان إلى آخر"⁽¹⁾ وبعد أن ضرب له مثلا بالشاهد القرآني (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)⁽²⁾ ضرب أمثلة أخرى من أفعال لأبي يزيد البسطامي وطنطاوي جوهرى⁽³⁾. وأكد وجود الظاهرة ما نشره زولز سنة 1932 في بحث لفائدة الجمعية الأمريكية للأبحاث الفيزيائية حيث أثبت "ظاهرة اختفاء وظهور المادة"⁽⁴⁾.

أما التنبؤ بالمستقبل كظاهرة باراسايكولوجية فقابله بالكشف (le dévoilement) عند الصوفية وأكد وجوده وضرب عليه أمثلة عديدة عند غير المسلمين ثم عند أكابر الصوفية كالإسكندراني والسعدي وابن عسيفير والعريان⁽⁵⁾. وكذلك ظاهرة التخاطر (Telepathy) وهو "إرسال الأفكار واستلامها عند طريق الذهن"⁽⁶⁾ ويقابله مصطلح الهاتف عند الصوفية ونقل له شاهدا من كلام أبي حامد الغزالي⁽⁷⁾ عند ذلك.

(1) نفس المصدر ، ص 68.

(2) سورة النمل الآية 40.

(3) الشيخ طنطاوي جوهرى 1870-1940م - أحد رواد الدراسات الروحية بمصر.

(4) الراوي، التصوف والباراسايكولوجي، ص 72.

(5) نفس المصدر ، ص 79.

(6) نفس المصدر، ص 80.

(7) نفس المصدر ، ص 81.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ثم انتقل إلى ظاهرة أخرى هي الإبراء الروحي (psychic healing) قال "توجد طاقة حيوية شافية في الجسم الإنساني تتفاوت قوتها حسب هالته وذبذباته واستقطابه يدعوها اليوغيون بـ (البرانا) فيما كان المصريون القدماء يسمونها (ألكا) أما الصينيون فيسمونها (تسي)⁽¹⁾.

وقد وجدتُ أن الدكتور عبد الحلیم محمود ينقل عن روني غينون أنهما تسمّى (الطاو - سي) وأنها العنصر الخامس أي (القوة السابحة) ونقل عن غينون قوله "إذا رجعنا إلى الحالات النفسية نقرر أن الإنسان في هذه الحالات يحاط بقوى فعالة مختلفة الطيف من تلك التي في عالم الجسم والحسّ ولكن بعضها ربما كان مشابها لقوى مثل الكهرباء⁽²⁾ والإبراء الروحي- الذي هو فرغٌ من معجزة عيسى عليه السلام - هو في الدوائر الصوفية نابع من البركة التي للذاكر الطاهر ويعدّ كرامة للصوفي.

والحق أن جملة هذه الأمثلة التي تشهد لها ملاحظة العلم تدل على أمرين وإن كانت التفسيرات العلمية في مجال علم النفس قد وضعتها ضمن دائرة ما وراء السيكلوجي ولم تجد لها تفسيراً علمياً:

1- أما الأمر الأول فوقعها في طور خارج مدار العقل ومحيطه.

2- أما الأخير فكونها لا تخضع لقانون المادة ولهذا سماها صاحب البحث تسمية فيها بعض طرافة هي "مينافيزياء

(1) نفس المصدر، ص 83.

(2) د/ عبد الحلیم محمود، المدرسة الشائنية، ص 319.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الكرامات"⁽¹⁾ ليتناول بعدها " سيمياء السعادة"⁽²⁾ التي تنفعل لها حقائق الأشياء المادية وضرب لها أمثلة عديدة من عوالم التصوف لا أحبّ الوقوف عندها لأنها ليست المقصودة من هذا الطرح. وأختم هذه الوقفة بتعليقين من دائرة التصوف الإسلامي:

1- يرى الدكتور عامر النجار أن النفس وقد ملك عليها ذكر الله كل سبيل تصبح في حالة غيبة تفارق بها البدن وتصعد إلى الملائكة حيث تتصل ببارئها ويصير البدن كأنه خلوة من الحياة فلا يحسّ ما يولده أكل النار وازدراء الأفاعي والطعن بالمدي⁽³⁾ من الآلام⁽⁴⁾.

2 - أما ابن عربي فإنه ذكر اجتماع النبي و الولي (أي الصوفي بمفهومه) في ثلاث هي:

أ- العلم اللدني

ب- رؤية الخيال في اليقظة

ج - الفعل بالهمة⁽⁵⁾

ومعنى الفعل بالهمة انفعال الأشياء للصوفي استجابة لقوة باطنة فيه أي التأثير في الأشياء دون وسيط مادي ظاهر. وكلا التفسيرين يفتح بابا للبحث العلمي المنصف.

أما الموضوع الثاني- والأخير - في مجال النقلة من السيمولوجي إلى الإبيستمولوجي فيتعلق بالعلاقة الحرفية

(1) د/ الراوي التصوف والباراسيكولوجي، ص 87.

(2) نفس المصدر ، ص 95.

(3) المدى جمع مديّة وهي السكنين الكبيرة.

(4) د/ عامر النجار ، الطرق الصوفية في مصر ، ص 67.

(5) ابن عربي، كتاب التراجم من مجموعة الرسائل، ص 39.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

العديدية بواحد من أكبر اكتشافات العلم المعاصر وأعني ما يسمى الـ (A.D.N).

يعرف (A.D.N) اختصاراً بأنه خلاصة كروموزومات النواة الخلوية (1). ولكل كائن حي نواة خلوية تختلف عن نواة غيره وهي واحدة سواء تعددت خلايا الكائن أو كان ذا خلية واحدة. وبفضل النواة الخلوية (A.D.N) يمكن معرفة الكائن المتحلل ولو مضت عليه قرون من الزمن. وقد ساهم اكتشاف الـ (A.D.N) في الأبحاث المتصلة بالتاريخ والآثار والأقوام والإجرام، وشكل الـ (A.D.N) واحد في جميع الكائنات الحية وهو هذا :



أما عن علاقة (A.D.N) بالحرف والعدد فهذا بسيطاً. إننا نقرأ في السورة الثلاثين من القرآن وهي سورة (الروم) قوله تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (2) وهي الآية الحادية عشرة من السورة المذكورة .

(1) Acide desoxyribo nucléique : A.D.N

D.N.A: dans la terminologie anglo-saxonne constituant l'essentiel des chromosomes du noyau cellulaire (Larousse p.16)

(2) سورة الروم الآية 11.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ثم نقرأ في السورة التي تليها وهي سورة لقمان قوله تعالى (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)⁽¹⁾ وهذه الآية ترتيبها أيضا هو الحادي عشر. والمتأمل يجد أن الآيتين تتحدثان عن الخلق بدءً وإعادة ثم تحدّي غير الله أن يأتي بمثل هذا الخلق. والسياق الوارد قبلهما يمهد للحديث عن مظهر من مظاهر الإعجاز الإلهي في الخلق بجميع مظاهره. فإذا نحن أخذنا العدد (11) الذي يناسب ترقيم الآيتين وبحثنا حاويته (matrice)⁽²⁾ حصلنا على الجدول التالي:

1/11	090	909	090	909	090	909	090	909	090	909
2/11	181	818	181	818	181	818	181	818	181	818
3/11	272	727	272	727	272	727	272	727	272	727
4/11	363	636	363	636	363	636	363	636	363	636
5/11	454	545	454	545	454	545	454	545	454	545
6/11	545	454	545	454	545	454	545	454	545	454
7/11	636	363	636	363	636	363	636	363	636	363
8/11	727	272	727	272	727	272	727	272	727	272
9/11	818	181	818	181	818	181	818	181	818	181
10/11	909	090	909	090	909	090	909	090	909	090

(¹) سورة لقمان الآية 11.

(²) La matrice de l'inverse du chiffre 11 veut dire: (1/11-
2/11 - 3/11 - 4/11 - 5/11 - 6/11 - 7/11 - 8/11 - 9/11 -
10/11)

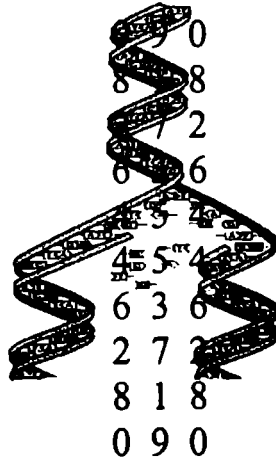
التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تعطينا قاطعة (diagonale) هذا الجدول المعشر
الأعداد التالية:

0 9 0
8 1 8
2 7 2
6 3 6
4 5 4
4 5 4
6 3 6
2 7 2
8 1 8
0 9 0

وبرصدنا لتسلسل هذا الجدول نحصل على:



التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهو شكل الـ (A.D.N) للكاننات الحية (١).

والأعداد المحصّل عليها(090)(818)(272)(636)(454)هي
الرموز الحسابية لمكونات الوجود في علم الكيمياء:

090 = الهيدروجين

818 = القانون الذي تكونت بموجبه العناصر الكيميائية

272 = مجهول

636 = أصغر جزء في الكون أي الكواركز ونقيضه (١)

454 = مجهول (2)(3)

والجدول المعشر هو نتيجة ، واحد على إحدى عشر ألف
وإحدى عشر (1) و التي هي:

11011

النتيجة.....

0:000090818272636454636272818090 =

والتي تعطي كتابتها شكل الـ (A.D.N) عند الكائنات الحية.
ثم إننا إذا ربنا حروف الهجاء ألفبانيا كان معنا الجدول التالي
معلما رقميًا (٤).

ا	ح	ر	س	ص	ط	غ	ق	ك	ل	م	ن	ه	ي
1	2	3	4	5	2	7	8	9	3	11	12	13	14

فإذا أخذنا قوله تعالى (الم) (١) الذي افتتحت به (سورة الروم)
وجدنا القيمة العددية التالية:

(١) Quarks et anti – quarks (muon –gluon...)

(٢) مجهول ولكن يفترض أن له علاقة بقانون الاستنساخ (clonage)

(٣) N.GLINKA, chimie générale, éditions M.I.R 110 GSP
Moscou 1981.Tom 1.

(٤) أي بالقيمة العددية البسيطة

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الألف: 1

اللام: 10

الميم: 11

فإذا قسمنا رقم الآية في الترتيب على الحاوية (Matrice) كان معنا:

11011

وهي نفس النتيجة التي توصلنا إليها ونفس الجدول المعشّر وكذا الشكل الهيكلي للـ (A.D.N) عند الكائنات الحية. إن اكتشاف آية (سورة لقمان) يعود إلى كاتب هذا الكتاب أمّا اكتشاف آية (سورة الروم) فيعود إلى الصديق المتصوف الصديق سعد وهو باحث في الرياضيات له اشتغال خاص منطبع بالتصوف بالعلاقة بين العدد والحرف والحقيقة الوجودية.

وقد أفادني كثيرا في فهم بعض المسائل الكيميائية والرياضية المتصلة باهتماماتي الخاصة بعلم الحرف، وله يعود كل الفضل والحق في اكتشاف هيكل (A.D.N). وهو يواصل أبحاثه حول ثلاث مسائل هي :

أ - مبطل السلاح أو نقيض السلاح أو

الغشاء المغناطيسي⁽²⁾.

ب- نقل المادة⁽³⁾.

ج- طي الأرض⁽¹⁾

(¹) سورة الروم الآية 1.

(²) Le bouclier magnétique

(³) le télétransport

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهي ظواهر تبدو باراسايكولوجية في التصنيف العلمي الحالي. فإذا نحن توصلنا إلى المفاتيح العددية أمكننا فعلها. بل إنّه من الممكن فهم ما هو أبعد من ذلك.

وقد نقل الأستاذ عبد الباقي مفتاح صاحب كتاب (مفاتيح فصوص الحكم) الذي مرّ معنا في الباب الأول مصفوفة معشّرة بأسماء الله الحسنى من (منبع) الإمام البوني . ووجد فيها إعجازا عدديا مرتبطا بالحرف أثبتّه في بحث قصير غير مطبوع قال في صفحته الثالثة " ولا بدّ من الإقرار بأنّ وضعها كان عن طريق الكشف العرفاني والعلم المقدّس الموهوب المتعلّق بالقوى الروحية دون ارتباط بالفكر أو القوى العقلية والعلم الظاهر"⁽²⁾.

إنّ لا بدّ على الباحثين في السيمياء عند الصوفية المسلمين أن يتيقنوا أنّ كثيرا من المباحث المتصلة بالحرف والعدد ليست مغاليق يتعدّر فهم بواطنها، بل إنّ القراءة المتبصرة المنصفة ستكون عوناً لمن باشرها للاهتمام إلى حقائق في ثمرة الصفاء الذي كان عليه أصحاب هذه الألغاز، وسيدفع هذا اللون من المبحث إلى إفادة العلم المعاصر ببعض الحقائق عن سمو المعرفة في الإسلام.

أحبّ بعد هذا أن أقف مع الأداة الأساسية للعلم والفلسفة وهي العقل لفهم موقع هذه الأداة داخل المعرفة الصوفية. إنّ الثابت عند كلّ من له دراية بالتجربة الصوفية أنها ذوقية وهذا ما يجعلها ذاتية، وهذا هو الاختلاف الأول بين

(1) la téléportation

(2) عبد الباقي مفتاح، بحث في ثماني صفحات حول مصفوفة البوني، ص 3.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

طبيعة العقل وطبيعة الذوق الصوفي. ثم هي تجربة متعالية أي متصلة بالماوراء (الله-الملا الأعلى-عالم النور-عالم الأرواح إلخ...) وأحكامها وأقوالها فيما يتعلق بهذا الماوراء أحكام وأقوال من عاينه وعاشه. وهذا بخلاف أحكام العقل في هذا المجال فإنه وإن حاول التعالي كما في فلسفة إيمانويل كانط (E.Kant)⁽¹⁾، مثلاً فإن أحكامه لا تعدو التحسس في هذا المجال. بالإضافة إلى هذا فإن العقل يصوغ قوانينه وأحكامه (أي وصفه) للأشياء صياغة واضحة (معقولة) بخلاف التجربة الصوفية فإن وصفها مبهم ملغز كما رأينا في باب المصطلح. وهو لغة قائمة بذاتها لا يفهمها إلا أربابها.

إنّ هذه الفروق الأساسية تجعلنا نبوح بنتيجة أولى لهذا المبحث وهي كون العقل ليس أداة المعرفة الصوفية. ونستطيع أن نتبين هذه الحقيقة من خلال مسألتين أساسيتين هما:

أ- حدّ العارف الصوفي كما وضعه الصوفية أنفسهم.

ب- أحكام الصوفية على العقل من خلال ما دونه أكابره إنّ هذا العمل هو صميم الوصف العلمي الموضوعي للمنهج عند الصوفية. فإذا استطعنا إثبات قصور العقل كما جاء في عنوان هذا الفصل فقد أثبتنا بصورة قطعية ذاتية هذا المنهج وبالتالي

(1) إيمانويل كانط (1724-1804) فيلسوف مثالي ألماني. أسس الفلسفة النقدية، قضى حياته في التأمل والكتابة. كتب (نقد العقل المحض) (نقد العقل العملي) و (تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق)...

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

انتقلنا دون كبير اعتراض إلى الأدوات البديلة المستخدمة في المنهج الذاتي عند المتصوّفة.

إنّ غاية الصّوفي هي معرفة الله. وهذه المعرفة هي نهاية الطريق الصّوفي ويتطلب الوصول إليها قطع المقامات. فإذا اجتازها السّائر صار عارفا بالله. وقد وضع الشيخ زروق قاعدتين لتوضيح شأن العارف:

أ- إنّ حديث الإحسان⁽¹⁾ ينقسم إلى شطرين: الشطر الأول (أن تعبد الله كأنك تراه) وهو رتبة العارف⁽²⁾. والشطر الأخير (فإن لم تكن تراه فإبه يراك)⁽³⁾ وهو رتبة من هو دون العارف⁽⁴⁾.

ب - يرى الشيخ زروق أنّ للعارف لسانين، فإن تكلم بلسان العلم نظر في كلامه بالأصلين الكتاب والسنة " وإذا تكلم من حيث الحال سلم له ذوقه إذ لا يوصل إليه إلا بمثله فهو معتبر بوجدانه"⁽⁵⁾.

والقاعدة الأخيرة تتحدّث عن الحال الذي يدور بين شطري القاعدة التي قبلها. وما أحسن وصف ابن القيم لحال العارف حين صورّه ببدوّ الشاهد وفناء الشواهد وانحلال العلائق وانقطاع العوائق⁽⁶⁾. وهو نفس المعنى الذي ساقه

(1) رواه البخاري من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) زروق، قواعد التصوف، القاعدة 56 ص 33.

(3) الشطر الأخير من حديث الإحسان.

(4) زروق، نفس المصدر القاعدة والصفحة.

(5) نفس المصدر، القاعدة 39 ص 22.

(6) ابن القيم، مدارج السالكين، ج 3، ص 337.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الجنيد حين سئل عن العارف فأجاب: لَوْنُ الماء لَوْنُ إِنَانِهِ⁽¹⁾ يعني أنه بحكم الوقت والحال، وبعلق القشيري على هذا الوصف البليغ المختصر "بلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود ولفظة جرت على هالك مفقود"⁽²⁾.

إنّ الناس في درجات معرفتهم بالله أربعة أصناف:

أ - رجل جعله الله مكفوفاً لا يبصر شيئا وهو مظهر قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾⁽³⁾

ب - رجل جعل الله عقله بصيرا ينظر بنور الفطنة إلى الوعد والوعيد.

ج - رجل جعل الله قلبه بصيرا ينظر بنور اليقين إلى لطائف صنعه وكمال قدرته.

د - رجل جعل الله سرّه بصيرا ينظر في كلّ الأوقات بنور المعرفة⁽⁴⁾.

فإذا أدرك العبد رتبة المعرفة نلت عليه ثلاث علامات:

أ- لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

ب- لا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر منه.

ج- لا تحمله النعم على هتك محارم الله⁽⁵⁾.

فهو إذن " ذو بصيرة منيرة "⁽¹⁾ قد جمع الله له بين

(1) القشيري، الرسالة، ص142، وابن القيم مدارج السالكين، ج3، ص342.

(2) القشيري، الرسالة، ص143.

(3) سورة الإسراء الآية 72.

(4) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص178.

(5) القشيري، الرسالة، ص143، واللمع للسراج، ص61.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

" نار الخشبية ونور المعرفة"⁽²⁾ فإذا امتزجت نار الخشبية ونور المعرفة " ظهر صفاء الحق للعبد فتلاشت الأنانية"⁽³⁾ وبقيت الألوهية كما في الأزل"⁽⁴⁾. وهذا هو معنى البقاء بالله الذي عبّرت عنه رابعة حين سنّلت عن علامة كمال العارف فقالت: علامة ذلك احتراقه بحبّه لربّه وأن يكون مستغنيا بالمعطي عن العطاء وبالمكوّن عن الكون مستغرقا في بحار السرور"⁽⁵⁾.

وقد فسّر الرفاعي قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾⁽⁶⁾ بأنّ الناس في باب المعرفة منهم من يمشي على قدم الافتقار والاضطرار ومنهم من يمشي على قدم الاعتبار والانكسار ومنهم من يمشي على قدم الافتخار⁽⁷⁾. ومن هؤلاء " خواص أهل المعرفة من أولي اليقين عرفوه به سبحانه فوقفوا متمكنين"⁽⁸⁾.

والعارفون عنده على أصناف فمنهم من عرف الله بالقدرة فخافه ومنهم من عرفه بالفضل فأحسن الظنّ به، ومنهم من عرفه بالمرآبة فأحسن الظنّ به، ومنهم من عرفه بالعظمة فاعتقد الخشية، ومنهم من عرفه بالكفاية فاعتقد الافتقار، ومنهم من عرفه بالفرذانية فاعتقد الصّفة، ومنهم من عرفه به فاعتقد

(1) ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 159.

(2) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص 75.

(3) يقصد إثنية العبد

(4) هذا معنى البقاء الذي يعقب الفناء فلا وحدة ولا حلول كما قد يتبادر إلى ذهن من لم يطلع على السياق، الرفاعي، المصدر السابق، ص 75.

(5) نفس المصدر، ص 56.

(6) سورة فاطر الآية 32.

(7) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص 48.

(8) نفس المصدر، ص 45.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الوصلّة^(١) وهذا الأخير أعلاها شأواً لأنه بلغ مقام الكمال فصار " غريبا في الأكوان "^(٢) لأنها تمثل السوى وهو أعظم حجاب عن الحق، وقد نبّه الغزالي إلى أنّ منهم من صارت له هذه الحال عرفانا ومنهم من صارت له ذوقا وحالا وانتفت عنه الكثرة بالكليّة فاستغرق " بالفردانية المحضّة وذهبت عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه "^(٣) فالصنّف الأوّل هم أرباب السلوك والصنّف الثاني هم أرباب الجذب الذين خرجوا من طور الصحو إلى طور السكر، وقد عذرهم الغزالي لأنهم "سكروا سكرا" وقع دونه سلطان عقولهم"^(٤) ثم ذكر بعض شطحاتهم ليعلق بعدها "بأنّ كلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى"^(٥).

لقد كرّر الغزالي فكرة زوال العقل وذهابه ليؤكد ذاتية النهج الدوّقي الذي اختطّه الصوّفية لأنفسهم والموصل إلى المعرفة بالله. وهي حال نفي السوى وإثبات القرب التي وصفها في (روضة الطالبين وعمدة السالكين) بأنها حالّ تذهب فيها الإثنيّة وتستحيل البينيّة^(٦) فإن نطقت فبإذكاره وإن نظرت فبأنواره"^(٧) تصديقا لحديث بي يسمع و بي يبصر^(٨)،

(١) نفس المصدر، ص 43

(٢) الشعرائي، الأنوار القدسية، ج 1، ص 10.

(٣) الغزالي، مشكاة الأنوار، ص 18.

(٤) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٥) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٦) الغزالي، روضة الطالبين، ص 12.

(٧) نفس المصدر، ص 13.

(٨) جزء من حديث قدسي طويل صحيح.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فمن انكشف له شئ بطريق الإلهام في القلب من حيث لا يدري فقد حصل بعض المعرفة بالطريق^(١).

فكلّ الكمالات إذن منطوية في مقام المعرفة وهناك "فرق بين معارف الفيلسوف ومعارف الصوّفي فإنّ الأول منشأ معارفه الفكر. ويشترك معه الصوّفي في تلك لكن هذا الأخير يختصّ بالفيض القدسي الذي لا دخل للفكر فيه^(٢).

ومفاد هذا الكلام أنّ الفيض العرفاني طوراً بعد طور العقل بل متجاوزاً له. فالمعرفة إذن هي منتهى العقول والقلوب" وغاية ما تبلغ حالات الأولياء لأنّ ما وراء ذلك مختصّ بالأنبياء والرسل.

فبداية النبي نهاية الولي^(٣) وإن اشترك الاثنان في العلم اللدني ورؤية الخيال في اليقظة والفعل بالهمة^(٤) كما سبق أن ذكرنا، ويعجبني في هذا السياق قول الرفاعي إنّ المعرفة من العبد والتعريف من الله تعالى^(٥) فالبداية اصطفاء والنهاية فضل والفضل كلّ بيد الله.

وهذه قمة التفويض الصوّفي، ويعلق ابن عربي على ألوان الفيض التي تكون للعارف فذكر أوصافها التي تكون

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 25.

(٢) محمد الحافظ التجاني، أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية، الطبعة الثانية، دار الطباعة الحديثة، القاهرة 1963.

(٣) عبد القادر الجيلاني، الغنية، دار اللباب، دمشق دون تاريخ، ج2، ص 162.

(٤) ابن عربي، التراجم من مجموعة رسائله، ص 39.

(٥) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص 33.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الهيئة أو ربّانية أو قدسيّة ثم عَبَّ " المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وما هو عليه" (1).

نستطيع إذن بعد هذه الوقفة القصيرة مع العارف الصّوفي أن نقول مطمئنين إنه السالك طريق الحقّ تعالى بعد تجاوز طور العقل والولوج إلى عالم التور والقلب.

هل يعني هذا أن الصوفية نبذوا أداة العقل ظهريًا؟ أم أنهم استبعدوه لقصوره عن الغاية التي ينشدونها؟

إنّ منهج التصوّف منهج غير عقلي في جانبه العرفاني، فهو قائم على حياة الدوق للوصول إلى معرفة الله التي هي موضوع السير الصّوفي كلّه. وسؤالنا: ما هو موقع العقل في المعرفة الصّوفية؟ أو ما هي قيمة العقل في منظومة العرفان الصّوفي؟

جواب هذا السؤال فيما يلي:

إذا كان الحكم على الشئى فرعًا عن تصوّره فحريّ بنا أن نفهم معنى العقل عند الصّوفية ثم نسوق بعد ذلك موقفهم منه.

يقول الغزالي إنّ العقل " منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة" (2) ثم يتساءل: كيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة؟ (3)

(1) ابن عربي، كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام من مجموعة رسائله، ص

5.

(2) الغزالي، الإحياء، ج 1، ص 99.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أما عن حقيقة العقل الغيبية فيقول "اعمل أنّ هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة"⁽¹⁾.

إنّ العقل يمثل المعرفة النظرية التي هي عماد المعرفة الأولى التي هي معرفة الله⁽²⁾ وبفضل العقل يتلمس الإنسان معالم التوحيد في هذا الوجود⁽³⁾.

والعقل يطلق بالاشتراك على أربعة معان:

أ- الاسم الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم ويستعدّ به لقبول العلوم النظرية.

ب- العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات المميّز.

ج - العلوم المستفادة من التجارب

د- " أن تنتهي قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف الإنسان عواقب الأمور ويقمع الشهود الداعية إلى العاجلة "⁽⁴⁾ ففي هذه الحال يسمى "عاقلاً"⁽⁵⁾.

وقد نقل هذا التقسيم بحرفيته صاحب (التصوف النفسي)⁽⁶⁾ واعتمده. ويرى الغزالي أنّ العقل الأول هو الأسّ والثاني أقرب العقول إليه والثالث فرع عنهما والرابع هو " الثمرة الأخيرة والغاية القصوى "⁽¹⁾ فالأولان بالطبع والأخيران بالاكْتساب⁽²⁾.

(1) نفس المصدر، ص 100.

(2) د/ عامر النجار، لتصوف النفسي، دار المعارف بمصر، نون تاريخ، ص 112.

(3) د/ عناية الله إبلاغ الأفغاني، جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1987، ص 266.

(4) الغزالي، الإحياء، ج 1، ص 102.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) د/ عامر النجار، التصوف النفسي، ص 109/108

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد صاغ الدكتور عناية الله في كتابه عن جلال الدين الرومي هذه العقول بصيغة تفيد نفس التقسيم وتؤكدته فتحدّث عن:

أ - العقل الهولاني وهو استعداد محض
ب - العقل بالملكة وهو العلم بالضروريات وبعض الجزئيات

ج - العقل بالفعل وهو ملكة استنباط النظريات
د - العقل المدرك للنظريات بحيث لا تغيب عنه⁽¹⁾.
ثم تساءل بعد ذلك "هل الكسب العلمي يحصل للإنسان بحال تصير مشاهدة المعقولات ملكة له فتكون كالبرق اللامع أم لا"⁽²⁾ أي هل يصبح العقل مشرقاً فينتقل من حال التجريد النظري المحض إلى حال تحصيل عامل فوق العقل وهو النور؟ وهذه مرحلة وسيطة بين العقل وعالم النور أي عالم المعرفة كما وصفها الصوفية.

وقد جعل الصوفية للعقل خمسين من الأعوان منها الفراسة والإنابة والحفظ والقناعة والتفكير والعبارة الخ... فقالوا "إنّ من بين هؤلاء الأعوان من يمثل ملكات الإدراك البدني مثل الذهن والفهم والبصر والحفظ.. ومنها ما يمثل الحكمة بمذاهبها المختلفة"⁽³⁾.

(1) د/عناية الله، جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، ص 270.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) د/ عامر النجار، التصوف النفسي، ص 155.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وجعلوا الفكرة - وهي ثمرة العقل المشرق - "سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له"^(١). إلا أنّ هذه الفكرة التي هي "فكرة أهل التصديق والإيمان"^(٢) هي دون "فكرة أهل الشهود والعيان"^(٣) لأنّ الأولى تعين القلب في سيره " في ميادين الأغيار"^(٤) أمّا الثانية فهي "سير الرّوح في ميادين الأنوار فتتقلب الدلائل مدلولات والغيب شهادة"^(٥) وهو المعنى الذي لم يتجاوزه الدكتور عناية الله حيث تحدّث عن "العقل الجزني والعقل الأوّل"^(٦)، معتبرا العقل الأوّل "مظهر الإرادة الحق"^(٧).

إنّ هذا الوصف للعقل ومراتبه وعظيم منزلته لا يؤهله لأن يكون أداة للمعرفة الصوفية، خاصّة إذا لم يكن مستضيئا بنور الإيمان^(٨). وفي كلّ الأحوال " هذا العقل العظيم لاشان له بالمساتير والملاّ الأعلى وكشف المحجوب الرّوحى ومعارج القدس ومنازل الأرواح لأنه سيقف عاجزا لا يجد جوابا"^(٩).
والحق أنّ الصّوفية وهم يمجدون الذوق قد نعتوا العقل بالعجز والقصور كما يتضح فيما يستقبل من سطور.

(١) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 541.

(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٤) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٥) نفس المصدر نفس الصفحة.

(٦) د/ عناية الله، جلال الدين الرومي، ص 268.

(٧) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٨) د/ عامر النجار، التصوف النفسى، ص 110.

(٩) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص 17.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لقد ذكر الصّوفية للعقل حدًا لا يتجاوزه تبدأ بعده رحلة المعرفة الحقّة بالله. فعلى حدّ العقل (تدبير مصالح الوجود الإنساني) تجري أمور العقلاء "وعلى حدّ الإيمان تجري أمور بعض المنتمين إلى الله أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية"⁽¹⁾ فمن قيّد الطلب- أي طلب المعرفة - بصورة معقولة فاته خير كثير⁽²⁾. ولهذا نجد جلال الدين الرومي يستبدل العقل بالعشق باعتبار الأول "سدًا عظيمًا ومانعًا في الطريق"⁽³⁾ إلى معرفة الله. ومتى ظنّ العبد أنه بالعقل يصل فقد وكله الله لما اعتقده⁽⁴⁾.

ويرى صاحب (الفتوحات المكيّة) أنّ الشيخ الصوفي متى ترك مريده يستدلّ عليه بالمعقولات ويجنح إلى استخدام عقله في النظريات فقد "خانه في التربية"⁽⁵⁾ لأنّ "الفكر عليه حرام"⁽⁶⁾ ولأنّ المرید "لا ينبغي له الكلام إلا فيما شاهده وعائنه"⁽⁷⁾ ومثّل هذا الاستخدام للعقل من قبل المرید جزاؤه الطرد "لأنه يفسد عليه (أي على الشيخ) بقية أصحابه"⁽⁸⁾.

(1) ابن عربي، كتاب المسائل من مجموعة الرسائل، ج2، ص 34.

(2) ابن عربي، كتاب الجلالة، ص 11.

(3) د/ غياية الله، جلال الدين الرومي، ص 220.

(4) ابن عربي، كتاب التراجم، ص 2.

(5) ابن عربي، الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط،

دون نكر دار الطبع، القاهرة، 1968، ص 279.

(6) نفس المصدر، الصفحة 280.

(7) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(8) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد شبّه الصّوفيّة العقل تارة "بالحيّة والعقرب" (1) وأخرى "بالذباب" (2)، في الحالة الأولى بسبب سيره تبعاً لأوامر النفس وفي الحالة الأخيرة "لجريه وراء الجدل والبحث وطلب النقاش والفحص" (3). بل إن صاحب (الميزاب) ينعى على العقل غروره حين "يتخيل أنه صاحب دليل إلهي وإنما هو صاحب دليل فكري، فإنّ الدليل الفكريّ يمشي به حيث يريد، والعقل كالأعمى بل هو أعمى عن طريق الحق" (4) ولا فائدة منه غير "دفع سلطان الشهوة" (5). ويبلغ الحدّ بأحد المعاصرين وهو الدكتور عبد الحلّيم محمود في تحقيقه للمنقذ أن يرى أنّه لا فرق مطلقاً بين ذهن العبقريّ الفذّ وذهن الجاهل الغبي في أنّ كليهما يعتمد على الواقع المحسّ في تصوّره وتخيّله" (6) بل إنّ الدكتور أبو العلا عفيفي يتساءل في مقدّمة تحقيقه للفصوص: متى كان العقل وحده أداة صالحة للوصول إلى اليقين أو إلى الحقيقة التي تطمئن إليها النفس (7)؟ وفي بدايات هذا القرن يُحدّث الصوفي الجزائري الشيخ العلاوي أنّه سأل بلسان الروح عن صرط العقول فكان الجواب: خطّة رقيقة وسمة دقيقة متعذّرة السلوك كثيرة الشكوك بين جبر واعتزال وتنزيه وتشبيه وحرية وتكليف فالميل لأحد

(1) د/ عناية الله، جلال الدين الرومي، ص 223.

(2) نفس المصدر، ص 219.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) ابن أنبوجة الشنقيطي، ميزاب الرحمة الربانية، ص 235.

(5) ابن عربي، كتاب الأسفار، ص 27.

(6) د/ عبد الحلّيم محمود، تحقيق المنقذ من الضلال للغزالي، ص 179.

(7) د/ أبو العلا العفيفي، تحقيق فصوص الحكم لابن عربي، ص 9.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الجنّاحين مضرّ والجمع بينهما متعذّر إلاّ لذي جناحين المسمّى بواحد في اثنين قال: فقلت عزّ المنال وندمت على السؤال⁽¹⁾.

ومدار كلامه في صعوبة المسلك العقليّ يشير به إلى اختلاف فرق المسلمين في مجال الكلاميات والجنّاحان هما الخوف والرجاء.

إنّ ثمرة العقل وهي الفكر تحوّلت إلى "شبهة وحيرة"⁽²⁾ بل "إنّ الفكر والتفكر والمتفكر ضرب في حديد بارد"⁽³⁾ على رأي ابن عربي في (كتاب الأسفار من جملة الرسائل الإلهية. والغزالي صريح في أنّ ذمّ العقل والمعقول جاء يوم أن "نقل العقل إلى مجادلة والمناظرة وبالمناقضات والإلزامات في صنعة الكلام"⁽⁴⁾ وقد لفت ابن عربي النظر إلى هذه الحقيقة من زاوية أخرى حين تناول قوله تعالى **وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**⁽⁵⁾ فرأى أن الحق لم يقل لمن كان له عقل "لأنّ العقل قيد فيحصر الأمر في نعت واحد، والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر"⁽⁶⁾ وأمّا أبو طالب المكي فصاغ الأمر بقوله "إنّ السلف يستحبّون العيّ والبله في علوم المعقول"⁽⁷⁾ كناية عن ذمّ علم الكلام وهو تناول

(1) أحمد بن مصطفى العلوي، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ص 49.

(2) ابن أنبوجة، الميزاب، ص 233.

(3) ابن عربي، كتاب الأسفار، ص 62.

(4) الغزالي، الإحياء، ج 1، ص 105.

(5) سورة ق، الآية 37.

(6) ابن عربي، فصوص الحكم، ج 1، ص 122.

(7) أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج 1، ص 341.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مسائل الإلهيات بالمنهج العقلي المحض الذي هو " شراب الغرور" (1) على حد تعبير السهروردي "والركون إلى ظلمة العقل يطفى نور الوقت" (2).

إنّ العقل وثمرته وهي الفكر لا دخل لهما في مجالات العرفان الصوفي الذي ينتهي إلى آفاق نوقية عزيزة المنال. وإنّ كبار العقلاء كما يقول ابن عربي رغم إقرارهم بالفيض والروح عجزوا عن درك الحقيقة العرفانية "لغلبة الفكر وعدم استعمال العبادات المشروعة على السنة الأنبياء عليهم السلام" (3).

وهاهو جلال الدين الرومي حين ذاق يقول " ازدریت العقل والمدرسة والكتاب" (4) بل هاهو الشيخ الأكبر يكتب إلى إمام المتكلمين في عصره فخر الدين الرازي يقول له فيها: "ويجلّ الله سبحانه وتعالى أن يعرفه العقل بفكره ونظره، فينبغي للعاقل أن يخلي قلبه عن الفكر إذا أراد معرفة الله تعالى من حيث المشاهدة" (5).

وكخلاصة لمبحث المعرفة الصوفية وقصور العقل أحبّ تدوين مايلي من ملاحظات:
1- إنّ العقل ليس الأداة المثلى لتحصيل معرفة الله عند الصوفية.

(1) السهروردي، اللحات، تحقيق إميل مطوف، دار النهر، بيروت 1969، ص 27.

(2) الشعرائي، الأنوار القدسية، ج1، ص 82.

(3) ابن عربي، كتاب التراجم، ص 2/1.

(4) د/ غنابة الله، جلال الدين الرومي، ص 140.

(5) ابن عربي، رسالة الإمام الرازي، ص 2.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2- إنّ العقل طور دون التّعالّي العرفاني عند الصّوفيّة وهو عقلان نظري محض ومستتير يصلح أن يكون وسطا بين عالم العقل وعالم التور.

3- إن الشطط الملاحظ عند بعض الصّوفيّة في أحكامهم على العقل ليس مردهُ نُكران هذه النعمة وإتّما الضرر الحاصل الذي لحق بالإسلام بسبب اختلاف المسلمين الكلامي الذي نتجت عنه في غالب الأحيان الطوائف والفرق. يقول ابن عربي "وهنا سرّ غاب عنهم لو عرفوا كيفية تلقّي العقل من الله تعالى المعارف التي عنده لرأوا أمرا عظيما"⁽¹⁾.

وبعد: لقد استبعد الصّوفيّة أداة العقل من حقل المعرفة الإلهية الذوقي فما هو البديل عنه؟

لقد أسسوا لجملة من الحقائق تشكّل جميعها المنظومة الذاتية للمعرفة الصّوفيّة، حاول تفكيكها في آخر هذا الباب الذي تستقبلنا بقية صفحاته.

(1) ابن عربي، كتاب التراجم، ص 5.

التصنيف العام

من المجلد الثاني

الفصل الثاني

[2]

الادوات الذّانية للطريق الصّوفي

[الطريقة - القلب - الشيخ - الأدب - الذّكر - الفلج - المقام -
الكشف - الفراسة - الرؤيا - العلم الدنّي]

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

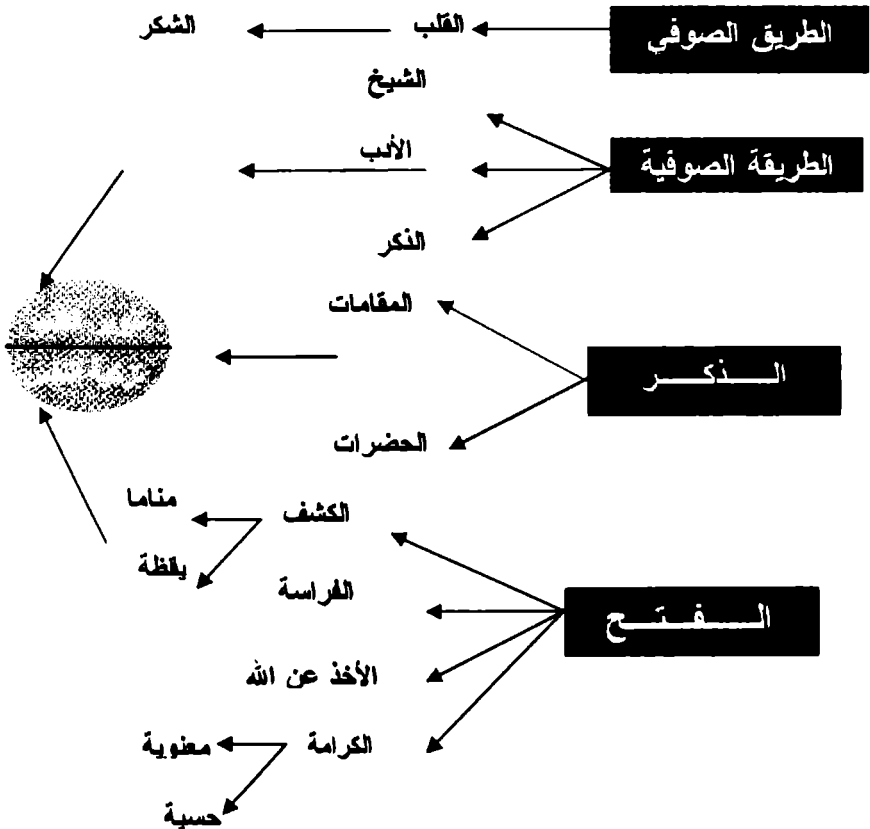
التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بعد أن عرفنا أنّ الصّوفية قد استبعدوا العقل كأداة للوصول إلى المعرفة الحقّة (العرفان) نمضي الآن في ختام هذا البحث لتتبع أدوات المنهج الذاتي عندهم.

لقد تبين لي من خلال قراءتي المتواضعة لسنين غير قليلة أنّ هذا المنهج لو أردنا تشخيصه بيانياً لجاء في الشكل التالي:

المنهج الصوفي



التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ولا بدّ قبل الشروع في تفكيك أدوات هذا المنهج من ملاحظة مهمة وهي كون الأداة في المنهج الصّوفي العرفاني قد تكون أداة ونتيجة في نفس الوقت. خذ مثلاً الكشف فهو أداة أساسية في المنهج وهو في نفس الوقت ثمرة من ثمار السير في الطريق الصّوفي. وكذلك الفراسة والأخذ عن الله إلخ... ما هي الطريقة؟

ورد لفظ الطريقة والطريق والطرائق في ستة مواضع من القرآن الكريم هي:

1- (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرَ لَهُمْ وَلِاِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا)⁽¹⁾.

2- (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)⁽²⁾.

3- (وَيَذَهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَلَى)⁽³⁾.

4- (إِذْ يَقُولُ أَغْلِبْتُمْ طَرِيقَةً إِن لَبِئْتُمْ إِلا يَوْمًا)⁽⁴⁾.

5- (وَمِمَّا دُونِ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِذَابًا)⁽⁵⁾.

6- (وَالْوَأَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا)⁽⁶⁾.

وإذا استثنينا الآية السادسة التي جاءت فيها الطريقة بصيغة جمع الجمع فإن ورودها بقية الآيات يدلّ على النهج القويم. وأكثر استئناس الصّوفية إنما هو بالآية السادسة في الترتيب الذي مرّ. وتعني الطريقة عند الصوفية "مراسم الله

(1) سورة النساء الآية 168.

(2) سورة الأحقاف الآية 30.

(3) سورة طه الآية 63.

(4) سورة طه الآية 104.

(5) سورة الجن الآية 11.

(6) سورة الجن الآية 16.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وأحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها. وهي المختصة بالسالكين إلى الله مع قطع المنازل والترقي في المقامات⁽¹⁾ وهو نفس التعريف الذي وضعه الأستاذ سالم عمّار في كتابه (أبو الحسن الشاذلي)⁽²⁾.

وعند القشيري هي "مجموعة الآداب والأخلاق والعقائد التي يتمسك به طائفة الصوفية"⁽³⁾ وعند الغزالي "تطهير محض من جانب السالك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار"⁽⁴⁾.

وعند التحقيق يمكن اختصار معنى الطريقة بقولنا إنها عهد بين المريد وشيخه على التزام الذكر (الورد) وآداب مخصوصة للتطهير الباطني ومعرفة الله. "والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق أجمعين"⁽⁵⁾ ويسمى المنتسب على الطريقة مریدا فإذا صنف بحسب ترقيته في المعرفة لحقه لقب يشير إلى مرتبته في السير، فهو إمّا واصل محقق أو عارف إلخ... وإخوانه في الطريق يطلق عليهم اسم الفقراء واحدهم فقير من الفقر إلى الله تمييزاً له عن فقر ذات اليد، فإذا قيل فقير كان المقصود من ذلك أنه صوفي منتسب لطريقة ما.

(1) عبد الله بن علوي العطاس، ظهور الحقائق في بيان اللطائف، طهران بدون تاريخ، ص 17.

(2) علي سالم عمّار، أبو الحسن الشاذلي، الطبعة الأولى، دار التأليف، القاهرة 1961، ص 24.

(3) القشيري، الرسالة، ص 7.

(4) الغزالي، الإحياء، ج 1، ص 52.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص 585.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فالتّريقة إذن نهج في التّربية، وقد أحسن الشّيخ ضياء الدين الكمشختاوي⁽¹⁾ (نسبة إلى الخانة وهي الزاوية التي يجتمع فيها الفقراء للذكر وقراءة القرآن وإنشاد المدائح) حين جعل مراتب الطّريق أربعة هي:

- 1- مرتبة التّوبة
- 2- مرتبة الاستقامة
- 3- مرتبة التّهذيب
- 4- مرتبة التّقريب

وإذا صرفنا التّظر عن مرتبتي الابتداء وهما التّوبة والاستقامة فإنّ المراد بالتّهذيب وهو المرتبة الثالثة هو الصّمت وهو سجن الهوى، والجوع وهو سجن الشيطان، والعزلة وهي سجن الدنيا، والسّهر وهو سجن النّفس.

لكون الكلام سلاح الهوى والشّبع سلاح الشيطان ولقاء الخلق سلاح الدّنيا والتّوم سلاح النّفس⁽²⁾

قال الشّعراي في (الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصّوفية) إنّ أركان الطّريق أربعة هي الجوع والعزلة والسّهر والصّمت واستشهد ببيتين من الشّعْر الصّوفي:

بيت الولاية قسّمت أركانه *** ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين جوع واعتزال دائم *** والصّمت والسّهر التّزيه الغالي

(1) ضياء الدين أحمد بن مصطفى الكمشختاوي النقشبندي (1227- 1311هـ) أصله من كمشختة بتركيا. ألف (راموز الأحاديث) و (نجاه الغافلين) و (الأحزاب) و (جامع الأصول) و (جامع أصول الأولياء).

(2) الكمشختاوي، جامع الأصول، الطبعة الأولى، المطبعة الجمالية، القاهرة 1383هـ، ص 78.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

و معنى مرتبة التقريب أن يدخل الصّوفي الخلوة (وهي المكان المعزول المخصّص للذكر) بالشروط التي يذكرها له شيخه فيداوم الذكر و لا يتركه ساعة " حتى يصير الذكر له بمثابة النفس يجري من غير اختيار و لا تقصد. فإن حصل له هذا اتسعت له ميادين الله و مرافق أسرارهِ (1) وقد نبّه الصّوفية إلى أن الإفراط في الصّمت مضرّ بالحكمة و الإفراط في السهر مضرّ بالحواس و الإفراط في الخلوة يؤدي إلى الاختلاط (وهو الجنون)(2).

و لابدّ بعد ذكر حدّ الطريق الصّوفي من ملاحظة غاية في الأهمية و هي كون الطرق الصّوفية كلها إمّا طرق شكر أو طرق جُهدٍ قال زرّوق في قواعد التصوّف " وعلى الأول يحوم الشاذلية و من نحا نحوهم و على الثاني يحوم الغزالي و من نحا نحوه" (3). و لما سئل الدّباغ عن الفرق بينهما أي بين الأولى ومدارها على الفرح و الشكر من غير مشقة و لا كلفة و الثانية ومدارها على الرّياضة و التعب و الجوع و السهر أجاب بأن " طريقة الشكر هي الأصلية وهي التي كانت عليها قلوب الأنبياء و الأصفياء من الصّحابة و غيرهم و هي العبادة مع إخلاص العبودية و البراءة من الحظوظ و الاعتراف بالعجز و التقصير و عدم توفية الرّبوية حقها و سكون كلّ ذلك في القلب على مرّ الساعات و الأزمان" (4). فالأولى سير القلوب و الثانية سير الأبدان. و عند المقارنة نجد الفرق بينهما مبينًا كما يلي:

(1) الكمشختاوي، جامع أصول الأولياء ص 83

(2) نفس المصدر ص 84

(3) زرّوق، قواعد التصوّف القاعدة 56 ص 33

(4) أحمد المبارك، الإبريز ص 356

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

طريقة الشكر	طريقة الجهد
سير القلوب	سير الأبدان
الفتح هجومي ربّاني	الفتح يكون بسبب و تكدير
الفتح للمؤمن المسلم فقط	قد يكون الفتح لغير المؤمن و هو الإستخراج

وليس القصد مقارنة الرّياضة في تصوّف الغزالي بغيرها عند غير المسلمين فإن ذلك قياس معه الفارق والغزالي " إمام حق ووليّ صدق " (1) وإنما التنبيه إلى تصحيح النّية عند سلوك طريق الجهد أي أن يكو قصد المجتهد في الطريق معرفة الله لا نيل الفتح.

وترجع أسانيد الرّجال في الطّرق جميعا إلى رسول الله صلى الله علي وسلم . وأهمّ الطّرق الصوّفية مرتبة حسب انتشارها اليوم:

1- الطريقة التّجانية نسبة إلى أبي العباس أحمد التجاني الجزائري ومشربها العرفاني أكبريّ يقترب من عرفان ابن عربي بل ويستند إليه كما هو واضح من مصادرها العلميّة (2) وأكبر مراكزها إفريقيّا .

2- الطريقة الشاذلية بجميع فروعها كالدرقاوية والهبريّة والطّيبية والعلّوية إلخ ... ونسبتها إلى أبي الحسن الشاذلي . ويعود الفضل في انتشارها إلى ابن عطاء الله السكندري صاحب (الحكم).

3- الطريقة النّقشبندية نسبة إلى ضياء الدّين خالد النّقشبندي (3) . ولقبه هذا مشتق من نقش بندر أي ربط النّقش

(1) المصدر السابق ص 375

(2) أوّل مصادرها بهجماع التّجانية هو (جواهر المعاني) لبرزادة الفاسي.

(3) أبو ضياء بهاء الدّين خالد النّقشبدي المجدد العثماني (1190 / 1242) .

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ومعناه انطباع الذّكر في القلب دون محو . وتنتشر هذه الطّريقة وفروعها بين العجم في آسيا و بلاد فارس. ولها أتباع بين أكراد الشّام.

4- الطّريقة القادرية و مؤسسها عبد القادر الجيلاني العراقي. وهي أوّل طريقة انتشرت في بلاد الإسلام ولا تخلو بيّنة صوفية إلى اليوم من الطّريقة القادرية الأم أو فروعها. و لا بدّ من الإشارة إلى أن كلّ الطّرق متفرّعة عن هذه الأربعة الأساسيّة وهي تعدّ بالمئات. إلا الطّريقة التّجانية فإنّها بقيت على أصلها إلا ما كان من مورديّة السنينغال التي تنتسب إليها ولكنها لم تجدد فيها. ومع ذلك يقال المورديّة التّجانية. ويمكن الإشارة إلى طريقة خامسة هي الرّفاعية نسبة إلى أحمد الرّفاعي العراقي. وهي منتشرة خاصّة بين بصرة العراق وبلاد الكويت وأرض الكنانة. ولها مصادرهما العلميّة وهي كتب ذات قيمة في العرفان الصّوفي وآداب الطّريق. وفيما يلي ذكر للمصدرية العلميّة للطّرق الصّوفية. وهو جدول للتمثيل لا للتحقيق المطول فيه ذكر بعض فروع الطّريقة إن وجدت.

الطريقة	المؤسس	المصادر	الفروع
القادرية	عبدالقادر الجيلاني 561/472 هـ	(الغنية لطالب طريق الحق) للمؤسس (الفتح الرباني) للمؤسس (فتوح الغيب) للمؤسس (الفيوضات الربانية) للمؤسس (جواهر الأسرار و لطائف الأنوار) لعيسى بن عبد القادر الجيلاني (الدرر الثورانية) لعبد المنعم القادري (مدارج الحقيقة الرّابطة عن أهل للطريقة) لإبراهيم علي القادري	الفارضية القاسمية الشرعية النيازية الكنية

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

<p>الطبيبة العلاوية الذرقاوية الموسوية المهبرية الصبوية الخ...</p>	<p>(الحكم) لابن عطاء الله السكندري (لطائف المنن) لابن عطاء الله (قواعد التصوّف) للشيخ زروق (المدرسة الفئانية) للكتور عبد الحلیم محمود (حلّ الرّموز) للعزّ بن عبد السلام (البحر المسجور) للعلاوي</p>	<p>أبولحسن الفئاني 656/593 هـ</p>	<p>الفئانية</p>
<p>الرواسية</p>	<p>(البرهان المؤيد) لأحمد الرقاعي حالة أهل الحقيقة مع الله) لأحمد الرقاعي فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة) لبهاء الدين الرواس (كتاب السير و المعاصي في أحزاب) وأوراد الرقاعي) لإبراهيم أفندي الرقاعي (النظام الخاص لأهل الاختصاص) لشرف الدين بن عبد المصعب الواسطي</p>	<p>أحمد الرقاعي 578/512 هـ</p>	<p>الرقاعية</p>
<p>الموردية</p>	<p>(جواهر المعاني) لبرادة الفاسي (ميزات الرحمة الربانية في التربية بالطريقة النجافية) لابن أنبوجة الشنقيطي (الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية) لمؤسس الطريقة أحمد النجاني (كشف الحجاب عن تلاكلي مع الشيخ النجاني من الأصحاب) للمعاشي سكيرج الفاسي (أهل الحق العارفين بالله) لمحمد الحافظ النجاني</p>	<p>أحمد النجاني 1232/1150 هـ</p>	<p>النجانية</p>
<p>التاطمية</p>	<p>(بغية الواجد في كتابات مولانا خالد) لأسعد الصناح (المنتجات من المكتوبات) لأحمد الفاروقي المرهندي (كتاب البهجة السنوية في آداب الطريقة النقشبندية) لمحمد بن عبد الله الخاني للنقشبندي</p>	<p>خالد النقشبندي 1242/1190 هـ</p>	<p>النقشبندية</p>

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بعد أن عرفنا حدَّ الطريقة وأسسها النظرية ونهجها ومصادرنا
تعرّف إلى أدواتها الذاتية وهي: القلب والشيخ والذكر.

إن تعظيم الصوفية لشأن القلب مرده تعظيم الكتاب
والسنة له بدليل أنه محل الإيمان هو الدرجة بين الإسلام
والإحسان. قال تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا اسْلَمْتُمْ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (1) وهو أداة
الإبصار (فَبِأَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّوْرِ) (2) ووسيلة التدبر الحق (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (3) وفي الحديث الصحيح ألا إن في الجسد مضغة
إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا
وهي القلب (4) وأيضا "القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل
السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط عليه غلافه، وقلب
منكوس، وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن وأما القلب
المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب
المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان كمثل البقلة يمدّها
الماء الطيب ومثل النفاق فيه كقرحة يمدّها القيح والدم فأى
المدين غلبت على الأخرى غلبت عليه" (5).

يقول ابن عطاء الله "الأنوار مطايا القلوب والأسرار،
النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن
ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار.

(1) سورة الحجرات الآية 14.

(2) سورة الحج الآية 46.

(3) سورة محمد الآية 24.

(4) رواه الترمذي

(5) رواه أحمد.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الإقبال والإدبار⁽¹⁾.

وهو باعتباره محلّ النور العرفاني الإيماني الوارد من الحق تعالى يتشكل من خمس محطات أساسية هي في الأصل أدوات المعرفة وهي:

- 1- القلب
- 2- الرّوح
- 3- السرّ
- 4- الخفيّ
- 5- الأخرى⁽²⁾

وتسمى اللطائف الإنسانية⁽³⁾ ويرى بسبوني في تحقيقه (لطائف الإشارات) للإمام القشيري أن الخطو (نحو المعارف العليا)⁽⁴⁾ يناط بملكات فيتدرج صعوداً من القلب إلى الرّوح إلى السرّ ثم سرّ السرّ ثم عين السرّ⁽⁵⁾ وهو نفس الترتيب السابق عند التحقيق.

ولصعوبة هذه الرحلة القلبية يرى الهجويري أن إعداد القلب لتلقي المعرفة أمرٌ شاقٌ لا يقوى عليه إلا أولو العزم⁽⁶⁾ لأنها محلّ "اصطلام وقهر"⁽¹⁾. وقد اختصر الغزالي

(1) ابن عطاء الله ، الحكم الطائفة الحكمة 55 ، الحكمة 56 ، الحكمة 57 ، ص 56.

(2) Groupe d'écrivains, le soufisme la voie de l'unité (doctrine et méthode), l'originel paris 1980, page 85

(3) ibid.page 85

(4) بسبوني، مقدمة لطائف الإشارات ، ج 1، ص 24.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) الهجويري، كشف المحجوب، ص 512.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

هذه المراكز الأدوات في ثلاثة هي: القلب والصدر والسر " فإن تولى الله القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف السر" (2) وهو الذي حصل المعرفة " بنور قذفه الله في الصدر" (3). ويرى الغزالي أن المعرفة نتاج المعرفة (4) إلى غير نهاية وإنما خلت القلوب لخمسة أسباب هي:

- 1- نقصان ذاتي كقلب الصبي الذي لا تتجلى فيه المعلومات بالقدر الكافي.
- 2- ظلمات المعاصي والشهوات التي تتراكم على قلب فتمنعه الصفاء والجلاء.
- 3- العدول بالقلب عن جهة الحق كما هو حال الملل والنحل الفاسدة.
- 4- الحجاب الناتج عن سوء الظن والتقليد الفاسد كما هو شأن بعض المتكلمين والمتعصبين.
- 5- الجهل بالجهة التي يقع العثور منها على المعرفة الحق (5).

ولعلاج هذه الأدواء القلبية يقترح الغزالي:

- 1- التذكر وهو إحضار المعرفتين في القلب
- 2- التفكير وهو طلب المعرفة المقصودة
- 3- حصول المعرفة واستنارة القلب بها

(1) القشيري، لطائف الإشارات، ج1، ص 116.

(2) الغزالي، الإحياء، ج3، ص 21.

(3) الغزالي، المتقذ، ص 334.

(4) الغزالي، الإحياء، ج4، ص 452.

(5) الغزالي، الإحياء، ج4، ص 15.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

4- تغير حال القلب بحصول نور المعرفة

5- ختمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من

الحال⁽¹⁾

أما عن تغير المعرفة القلبية والقلب خلواً منها فجواب الغزالي إشارة إلى ذاتية هذه الحقيقة إذ يرى "أنه من عجائب أسرار القلب التي لا يسمح بذكرها في علم المعاملة"⁽²⁾ أي في التصوف.

وهو يعتقد أن الحاصل في القلب موافق للحاصل في الخيال (وهو عالم حقيقي غير عالم التخيل عند العقليين أو علماء النفس) والحاصل في الخيال موافق للموجود خارج خيال الإنسان وقلبه وهذا العالم الأخير موافق لنسخة اللوح المحفوظ⁽³⁾. أي أن العرفان القلبي يتصل بهذه الدرجات الأربع وبانكشافها يحصل له "تلج اليقين"⁽⁴⁾ وهو "نور يقع في القلب ويظهر شعاعه في العقل والحواس"⁽⁵⁾ وبفضله يشاهد السالك "رموزاً حقيقيةً روحانيةً"⁽⁶⁾ على حد تعبير السهروردي. وإن كانت رؤية القلوب على قدر صفاتها ونورها فإن "رؤية الأبصار على قدر قلوبها"⁽⁷⁾ حسب ابن عربي. وقد جعل الله رؤيته في الآخرة بالبصر لهذه العلة⁽⁸⁾. فالقلوب إذن خزائن الله

(1) نفس المصدر، ج 4، ص 453.

(2) نفس المصدر، ص 23.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 484.

(5) النابلسي، أسرار الشريعة، ص 265.

(6) السهروردي، اللوحات، ص 28.

(7) ابن عربي، كتاب التراجم، ص 52.

(8) نفس المصدر، نفس الصفحة، ملخصاً

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

في أرضه يضع فيها" ودائع سرّه ولطائف حكمته وحقائق محبته"⁽¹⁾. وقد ذكر الرفاعي أن القلب في المعرفة درجات ثلاث:

- 1 - القلب لقوله تعالى (فَأَيُّهَا مِنَ نَفْوَى الْقُلُوبِ)⁽²⁾.
- 2 - الفؤاد لقوله تعالى (مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)⁽³⁾.
- 3 - الصدر لقوله تعالى (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)⁽⁴⁾.

وقد توسع الشيخ سعيد حوى في كتابه (مذكرات في منازل الصديقين والربانيين) الذي هو شرح للحكم العطائية في بيان منزلة القلب من المعرفة وحقيقة الواردات القلبية وهو يرى أن من ينكرها إنما هم "أهل الجفاف الروحي"⁽⁵⁾ لعدم شعورهم بها مع وضوح أدلة الشرع عليها وأقواها آية المشكاة من سورة النور (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)⁽⁶⁾.

(1) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص 217.

(2) سورة الحج الآية 32.

(3) سورة النجم الآية 11.

(4) سورة الزمر الآية 22.

(5) سعيد حوى، مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، ص 326

(6) سورة النور الآية 35.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إن ثمرة هذا المنهج القلبي أن يصير "باطن الإنسان مملوءاً بالله عز وجل" (1) فينتقل كما يقول ابن القيم "من أحكام العلم إلى أحكام العيان" (2).

ويمكن إدراج هذه الملاحظات في حديثنا عن القلب:

1 - إن مدارك القلب العرفانية غير متناهية وقد عدّ ابن عربي هذا اللاتناهي من "كرامات القلب" (3) ويكون بالانتقال "من العلم الخفي إلى علم السر إلى العلم الأخفى إلى علم ما فوق الأخفى إلى أخفى الأخفى الذي استأثر الله به" (4). ومعلوم أن اللاتناهي هو في المدركات لا في تسلسلها إلى مصدرها الأول وهو الحق تعالى.

2- إن نور القلب الذي هو نور المعرفة "لا يذهب ذهاباً كلياً ولكن يذهب منه ما تعلق بالخلق ويبقى منه ما تعلق بالحق" (5) على حد رأي ابن عربي وأكابر العارفين الصوفية.

3- نبّه ابن عربي في كتابه (لا يعول عليه) إلى أنّ من قال "إن العيان يغني عن البرهان لا يعول عليه" (6). وهو قول صائب لو ترك لاحت عرى الشريعة.

4- إنّ واردات القلب هي جملة "أنوار قدسية متذوقة من حضرة الحق ترد على من وردت عليه فتكسبه صفاء وتمكيناً وقرباً".

(1) عبد القادر الجيلاني، الغنية، ج2، ص 162.

(2) ابن القيم، مدارج السالكين، ج3، ص 229.

(3) ابن عربي، مواقع النجوم، ص 134.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) ابن عربي، عنقاء مغرب، ص 59.

(6) ابن عربي، كتاب لا يعول عليه من مجموعة الرسائل، ص 19.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

5- إنّ هذا الصفاء يجعل ما تعتبره بعض الطوائف غيباً شهوداً ومعانيّة. وهذه نقطة خلاف أساسية بين الصوفية وغيرهم وشأنها شأن من نظر بعينه المجردة فإنه ينكر على من نظر بألة كالمجهر مثلاً قوله إنه يرى جيوشاً من الكائنات الحية تتحرك وتتقاتل داخل قطرة دم مثلاً. وقد جعل ابن عربي في (مواقع النجوم) الإخبار بالمغيبات والكائنات قبل حصولها في الوجود على ثلاثة أضرب:

أ- إلقاء

ب- كتابة

ج - لقاء⁽¹⁾.

بل إنّ الشعراني في (الأنوار القدسية) يحذّر المرید قائلاً: "إياك أن تستغرب من شيخك إخباره بالمغيبات فإن القلب إذا انجلي أخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت"⁽²⁾. ولا عجب "فإن الأرواح كلها خلقت كاملة المعرفة بالله تعالى ولكن طرأ عليها الجهل بمخالطتها للجسم"⁽³⁾، وهي نفس نظرة ابن سينا التي بسطها في قصيدته العينية⁽⁴⁾.

وذكر الغزالي في (مشكاة الأنوار) أنّ الأرواح البشرية خمس:

أ - الروح الحساس.

(1) ابن عربي، مواقع النجوم، ص 76.

(2) الشعراني، الأنوار القدسية، ج 2، ص 21.

(3) برزاه، جواهر المعاني، ج 1، ص 156.

(4) ومطلعها:

هبطت إليك من اغل الأرفع *** ورقاء ذات تعزّز وتمّع

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ب - الروح الخيالي وهو يكتب ويحفظ ما تـورده الحواس.

ج- الروح العقلي وهو الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال.

د - الروح الفكري وهو الذي يزواج ويؤلف بين العلوم العقلية المحضة

هـ الروح القدسي الذي هو خاص بالأنبياء وبعض الأولياء وفيه "تتجلى لوانح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف لكوت السماوات والأرض بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها الروح العقلي والفكري"⁽¹⁾ وهو نفس المعنى الذي أورده ابن عربي حين وصف هذه الإطالة العرفانية القلبية بأنها " إرث نبوي محفوظ ومقامٌ علوي ملحوظ"⁽²⁾.

إن بعض المتحاملين على الصوفية من هذا الباب أي الحديث عن المغيبات والمكثرين من نقل فتاوى ابن تيمية في هذا الباب لا يروقهـم أن يطلعوا على صفتين كاملتين كتبهما أخلص تلاميذه وهو ابن القيم يتحدث فيهما عن إخبار ابن تيمية ببعض الحوادث الغيبية قبل وقوعها "تحقيقاً وتعليقاً"⁽³⁾ وبعضها من خلال اطلاعه على "اللوح المحفوظ"⁽⁴⁾ كما يذكر هو بنفسه يعني ابن تيمية. ويقول ابن القيم إنه شاهد منه في هذا الباب "أموراً عجيبة ومالم أشاهده منها أعظم وأعظم"⁽⁵⁾، وفي

(1) الغزالي، مشكاة الأنوار، ص 34.

(2) ابن عربي، عنقاء مغرب، ص 21.

(3) ابن القيم، مدارج السالكين، ج 2، ص 489.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس الصفحة، نفس الباب.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تقديرني أن ما ذكره لا يدخل في باب الفراسة كما ذكر إنما هو واردٌ تحت صريح الكشف لأن النظر في اللوح المحفوظ يحصل بالعيان الكشفي ولا علاقة له بالفراصة إطلاقاً. أما تعليق محقق الكتاب على ما كتب ابن القيم فهو داخل ضمن شعار بال هو الملكية أكثر من الملك، فلا حاجة لتناوله.

وألاحظ أن الغاية من التصوف ليست الإطلاع على الغيب إنما هي معرفة الله. وأعظم الغيوب التي يجب الاشتغال بها هي التي بين جنبي الإنسان يقول صاحب (الحكم): تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب⁽¹⁾. ويقول الشعراني: لا يطلب من الأشياخ الكلام على الأسرار وإنما يطلب منهم معرفة الأمراض والأدواء⁽²⁾.

أحب قبل الانتقال إلى معنى الذكر أن أقف باختصار غير مخلّ مع مسألتين مرتبطين به، وهما صميم الأدوات في المنهج العرفاني الصوفي وأعني بهما: الشيخ والأدب. أما الشيخ فركيزة أساسية في المنهج الصوفي، وذلك أنه هو النسبة الأولى للمريد، وهو ضرورة بإجماع المرابين الصوفية. وهم يرون أن "من لا شيخ له فالشيطان شيخه"⁽³⁾ لقوله تعالى (وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا

(1) ابن عطاء الله، الحكم ص 52.

(2) الشعراني الأنوار القدسية، ج 2، ص 91.

(3) محمد بن أحمد ميارة، الدر الثمين والمورد المعين، دار الفكر بيروت نون تاريخ، ص 420.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مُرشِدًا⁽¹⁾ قال الغزالي ولا بد للسالك من شيخ يُؤدبه ويرشده إلى سبيل الله تعالى. وقد شدد الصوفية في تحديد مواصفات الشيخ المرشد باعتباره "نائباً لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه"⁽²⁾ "فليس كل عالم يصلح للخلافة"⁽³⁾ وقد ذكر له الغزالي جملة من الأخلاق العالية لا تطيل الوقوف عندها فهي تمسّ ظاهره وباطنه. وفي (الإبريز) أنّ شيخ التربية ما لم يكن بهذا الكمال جامعاً لوصف "العلم الظاهر والباطن جمعاً كاملاً فأقرب أحوال المرید معه على الهلاك"⁽⁴⁾. ونقل مِيارَة عن أبي مدين شيخ ابن عربي قوله إن الشيخ الحقيقي من هدّيك بأخلاقه وأدّبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه⁽⁵⁾. بل إنه لكثرة من انتصب للمشيخة زورا فإن السكندري في حكمه الأولى ينتبه إلى ذلك:

أ - لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله
مقاله⁽⁶⁾.

ب - ربما كنت مسينا فأراك الإحسان منك صحبتك من
هو أسوأ حالا منك⁽⁷⁾.

(1) سورة الكهف الآية 17.

(2) الغزالي، أيها الولد المحب، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، مطبعة الشحيمي تونس بدون تاريخ، ص 64، ابن عربي الفتوحات، ج 2، ص

364.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) ابن المبارك، الإبريز، ص 396.

(5) ميلره، الدر الثمين، ص 420.

(6) ابن عطاء الله، الحكم الحكمة 43، ص 54.

(7) نفس المصدر، الحكمة 44، ص 54.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد رأيت منذ صباي المبكر إلى يومنا هذا كثيرا من مشايخ الطرق وطال جلوسي معهم أحيانا فلم أجد إلا قلة من العارفين أما الباقون وهم الكثرة الغالبة فجعجعة من غير طحين.

وقد أطلال الشعراني في (الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية) في مسألة المشيخة لعظيم موقعها من المنهج التربوي الصوفي. فهو يرى أنّ على المرید أن يعتقد أن شيخه أعلم بأحواله منه لأنه حقيقة روحه ولأن معرفة المرید بنفسه على قدر معرفته بشيخه⁽¹⁾ وعليه أن لا يفارق شيخه حتى "يعاين الطريق ذوقا لا علما"⁽²⁾ وعليه دوام "ربط قلبه مع الشيخ"⁽³⁾ واعتقاد أنه "المظهر الذي عينه له الله تعالى للإفاضة عليه منه ولا يحصل له مدد وفيض إلا بواسطته"⁽⁴⁾. وأن لا يقيس حال شيخه على حاله "فيحرم فوائده"⁽⁵⁾ وأن يرى أن قلب شيخه "هو مظهر سر الربوبية"⁽⁶⁾. كما أنه لا يجب أن يتصدّر للدرس من غير إذن شيخه⁽⁷⁾. ويجب على المرید أن يعرض على شيخه "كلّ شيء يرقى إليه من الأذواق ليعلمه الأدب فيه"⁽⁸⁾ وعلى العموم فإن المرید مطالب بأن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، وأن يؤثره على نفسه فإنه إن

(1) الشعراني، الأنوار القدسية، ج 2، ص 11.

(2) الشعراني، المصدر نفسه، ج 1، ص 197.

(3) نفس المصدر، ج 2، ص 84.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس المصدر، ج 2، ص 20.

(6) نفس المصدر، ج 2، ص 8.

(7) نفس المصدر، ج 1، ص 77.

(8) نفس المصدر، ج 1، ص 37.

التصوف الإسلامي

عن الرمزي المرقوم

فعل ذلك "كشف الله له عن حضرة نفسه"⁽¹⁾ يقول الغزالي إن المرید مطالب باحترام الشيخ ظاهراً وباطناً "والصل بأوامره، على قدر وسعه وطاقته"⁽²⁾ وينبئ القشيري إلى أن من قواعد التصوف عدم اعتقاد العصمة في الشيوخ ولكن إحسان الظن بهم⁽³⁾. وخصص ابن عربي الباب الواحد والثمانين ومائة من (الفتوحات) لمعرفة "مقام احترام الشيوخ"⁽⁴⁾ ونبه إلى أصل من أصول التربية الصوفية وهو عدم اتخاذ شيخين⁽⁵⁾ قال "كما لم يكن العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين مختلفي الشرائع ولا امرأة بين زوجين كذلك لا يكون المرید بين شيخين"⁽⁶⁾. وعلل الشعراني الإقتصار على شيخ واحد بأنه لكي تبدد حال المرید وتطول عليه الطريق⁽⁷⁾ ومنهم من علل هذا الأمر بكونه يشبه الإقتصار على طبيب واحد في العلاج. من أسس المنهج الصوفي الأدب، وقد قالوا اجعل علمك طعاماً واجعل أدبك ملحاً، والأدب عندهم يعني "اجتماع خصال الخير في العبد".

وقد خصص له الإمام القشيري في (الرسالة) باباً سماه باب الأدب⁽⁸⁾ بينما بحثه ابن القيم في فصل بعنوان (ومن

(1) نفس المصدر، ج 2، ص 16.

(2) الغزالي، الولدية، ص 66.

(3) القشيري، الرسالة، ص 184.

(4) ابن عربي، الفتوحات، ج 2، ص 364.

(5) الشعراني، الأنوار القنسية، ج 1، ص 64 واعتبره بلاء

(6) ابن عربي، الفتوحات، ج 2، ص 366.

(7) الشعراني الأنوار القنسية، ج 1، ص 65.

(8) القشيري الرسالة، ص 128

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الأدب⁽¹⁾ والحق أن ما كتبه هذا الأخير يكاد يكون هو نفسه ما جاء في (الرسالة) مع زيادات طفيفة ولكنها ذات فائدة في الموضوع، يقول ابن عطاء الله:

1- من جهل المرید ان یسیء الأدب فتؤخر عنه العقوبة فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد⁽²⁾.

2- من رأيتہ مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله⁽³⁾.

ومرجع اعتناء الصوفية بالأدب كون دائرتهم هي دائرة التربية الروحية في الإسلام ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"⁽⁴⁾ ولوجود الحث على الأدب في كتاب الله فإبليس لم يكن جاهلا ولكنه ضييع الأدب فكان منه ما كان وكذلك شأن بلعم بن باعوراء الذي قال تعالى في حقه (أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا)⁽⁵⁾ قيل كان يحفظ الاسم الأعظم، ولكنه ضييع الأدب مع نبي الله موسى عليه السلام فصار شأنه (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تُتْرَكُهُ يَلْهَثُ)⁽⁶⁾ ويرى العارفون " أن التصوف كله أدب، لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال.

(1) ابن القيم، المدارج، ج 2، 375.

(2) ابن عطاء الله، الحكم، الحكمة 66، ص 57.

(3) ابن عطاء الله، الحكم، الحكمة 70، ص 58.

(4) برواه الترمذي

(5) سورة الأعراف الآية 175.

(6) سورة الأعراف الآية 176.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ومن ضيَع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردودٌ من حيث يظن القبول⁽¹⁾. وينقلون عن ابن المبارك قوله: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم⁽²⁾.

والحاجة إلى الأدب تختلف بتفاوت سجايا الناس وكريم الطباع عند كل واحد، ومن هذا الباب وجب عند الصوفية اتخاذ شيخ لأن من لا يتأدب بأداب الشيوخ المرابين "بقي بطالا"⁽³⁾، والحق أن أزمة الأخلاق في العالم المعاصر هي التي نكبت مجالس العلم ودروسه في كل المستويات وإن الاستفادة من بعض التوجيهات الصوفية مفيدة لإصلاح بعض بينات العلم⁽⁴⁾. ومن شدة الصوفية في هذا الباب قالوا من أساء الأدب على الباب ردّ إلى سياسة الدواب⁽⁵⁾.

أ - أدب مع الله .

ب - أدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

ج - أدب مع الخلق.

فالأدب مع الله صيانة المعاملة من الشوائب وصيانة القلب أن يلتفت لغيره وصيانة الإرادة أن يتعلّق بما يسخطه و"من لا أدب له لا شريعة له"⁽⁶⁾ والأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم كماله "التسليم والانقياد لأمره وتلقي خبره

(1) ابن عبد الرندي، شرح الحكم العطائية، ص 238.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة

(3) نفس المصدر، ص 239.

(4) سعيد حوى، مذكرات فصل (توجيهات للعرفين والرهبيين والشيوخ)

ص 410 وما بعده.

(5) القشيري، الرسالة، ص 129.

(6) نفس المصدر، ص 128.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بالقبول والتصديق " (١) وعدم رفع الصوت عند سماع حديثه وعدم ذكر اسمه مجردا بل بالسيادة أو الرسالة.

أما الأدب مع الخلق فيوجزه قول الغزالي: من استقام وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو صوفي" (٢) فالصوفي يعطي للخلق أدابهم على قدر مراتبهم ومنازلهم فلولو الدين أدب خاص وللعالم أدب آخر وللسلطان أدب ثالث وللأقران أدب رابع وللأجانب أدب خامس إلخ... (٣).

وجعل القشيري الأدب لأهل الدنيا ولأهل الدين ولأهل الخصوصية.

أ- أهل الدنيا أكثر أدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك والأشعار.

ب- أهل الدين أكثر أدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.

ج- أهل الخصوصية وأكثر أدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب (٤).

وللصوفية في الأدب وقائع تراجع في مظانها. وهي قصص ذات دلالات في الأخلاق العالية، وحين يسأل أكابرهم عن (قوت القلوب) لأبي طالب المكي يجيب بأنه يورث النور وعن (إحياء) الغزالي يجيب بأنه يورث الأدب. وهم يرون أن

(١) ابن القيم، المدارج، ج 2، ص 387.

(٢) الغزالي، الوليدية، ص 67.

(٣) ابن القيم، المدارج، ج 2، ص 390.

(٤) القشيري، الرسالة، ص 129.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

العبد إذا أدرك منازل القرب صار بين الأدب والعطب⁽¹⁾.
وعموماً فلا تصوف من غير أدب وهو " حفظ الحدّ بين الغلو
والجفاء " كما قال صاحب (منازل السائرين)⁽²⁾.

اتخذ الصوفية السبحة وهي نظام من مائة حبة في
الغالب. وصارت السبحة كاللازمة في سلوكهم، فارتبطت
صورة المتصوف بحملها وملازمتها وقد ألف السيوطي رسالة
عنوانها (المنحة من فضل السبحة)⁽³⁾ صدر بها الجزء الثاني
من (الحاوي للفتاوي). في رص الأدلة الشرعية الدالة على
استحباب اتخاذها، بل وكونها سنة. وليس المقام هنا لمناقشة
الجواز من عدمه وإنما للقول بأن السبحة هي عنوان الذكر
والذكر منشور الولاية.

أما كون الصوفية ملازمون للذكر معمرين لأوقاتهم
به حتى ناقشت بعض الطوائف إكثارهم منه فأمر لا يحتاج إلى
طويل نقاش. فهم أصحاب أوراد ووظائف وأحزاب وأسماء
والورد هو الذكر الذي يعاهد المريد شيخه في بيعة كاملة
التشريفات على ملازمته مدى الحياة. أما الوظيفة فهي لوازم
الورد ولا تعطى للمريد في البدايات بل حين يتبين ثباته على
الطريق. والأحزاب أذكار جماعية لأهل الطريقة، ومن أشهر
الأحزاب " حزب البحر "⁽⁴⁾ للشاذلي " حزب البر "⁽⁵⁾ له

(1) الفشيري، الرسالة، ص 129.

(2) ابن القيم، المدارج، ج 2، ص 392.

(3) السيوطي، الحاوي للفتاوى، ج 2، ص 2

(4) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، 193.

(5) عبد الرحمن بن محمد الفاسي، شرح حزب البر، المكتبة الأزهرية

للتراث، القاهرة 1998.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أيضا و " حزب النصر الأكبر" (1) للجيلاني و " حزب السريانية " (2) له أيضا، وحزب الإمام الغزالي (3) و " حزب السيفي " (4) للتجاني ونسبة بعضهم للإمام علي رضي الله عنه و " حزب الدور الأعلى" (5) لابن عربي والحزبان الصغير والكبير (6) لأحمد البدوي إلخ...

وتقرأ الأحزاب أيضا بصورة فردية إذا أصبحت لازمة كالورد والوظيفة.

أما الأسماء فهي أذكار تناسب المقام الروحي لذاكرها، وهي حكر على فئة قليلة من الذاكرين ظهرت عليها مخايل الفتح وولجوا طريق الذوق فعلا لا قولاً. وأغلب الأذكار السماوية - بل جميعها تقريبا - تشتترط فيها الخلوات بشروط معلومة.

" والخلوة اختلاء بالله حيث لا ملك ولا أحد " (7)

وهي تأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في ثننته الليلي نوات العدد بحراء (8). وصاحب الخلوة يجب أن يكون شجاعا مقداما غير مقهور تحت سلطان تخيله زهدا عاشقا لما

(1) اسماعيل بن السيد محمد القلاري، الفيوضات الربانية، دار الفكر للطباعة - دمشق 1992 - ص 189.

(2) نفس المصدر، ص 116.

(3) نفس المصدر، ص 200.

(4) ابن أنبوجة، ميزاب الرحمة الربانية، ص 22.

(5) اسماعيل بن السيد، الفيوضات الربانية، ص 89.

(6) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر ص 187.

(7) د/ عبد المنعم الخفني، الموسوعة الصوفية، ص 741 والتعريف المذكور لابن عربي.

(8) ثبت في السيرة وفي هذا المكان أنزل عليه القرآن أول مرة.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

توجّه إليه صاحب قوت طيّب⁽¹⁾. يضاف إلى هذه الصفات وجوب التأدب بأداب الخلوة التي يبينها له شيخه. والمختلي صاحب رياضة من صيام إلى إفطار على قليل طعام يكون قد أعدّه بنفسه " ولا سبيل إلى أكل حيوان البتة"⁽²⁾ وبيت الخلوة يكون قدر ارتفاع قامة المختلي أما طوله فقدّر سجوده وعرضه قدر جلوسه⁽³⁾.. والخلوات أنواع منها الصمدانية ومدتها ثلاثون يوماً وبدائيتها فاتح محرم. ومنها الأربعينية تأسيا بأربعين موسى عليه السلام. ومنها صمدانية الأرواح تماماً ستون يوماً. وأعلى منها صمدانية العقول وهي سبعون يوماً. وهي "انتهاء المتراضين ومنها ينشأ (أي المختلي) نشأت باطنة بأنوار اختصاصه لم يعهد لها من باب الأحوال ولا من مراتب الأعمال فتكشف له الأسرار ويرفع له عن أسراره الستار وهو الذي مات بالفناء ثم حيي بالبقاء"⁽⁴⁾.

ولسنا نرى حاجة لبسط أدلة وجوب الذكر فليس هذا موضوع بحثنا بل نكتفي بالقول إن الله أمر بالإكثار منه في آيات عديدة. منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انكُرُوا اللَّهَ نِكْرًا كَثِيرًا﴾⁽⁵⁾ وقوله ﴿وَاذكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾⁽⁶⁾ ومعلوم أن الكثير هو ما لا حدّ له كما أنه سبحانه جعل الذكر

(1) ابن عربي، الخلوة المطلقة، مجموعة رسائل ابن عربي، ج1، ص 432.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 447

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) أبو الحسن الشافلي، السر الجليل، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة 1953.

(5) سورة الأحزاب الآية 41.

(6) سورة الجمعة الآية 10.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

في كل الأوضاع والهيئات، قال تعالى { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ }⁽¹⁾.

وقد جعل الصوفية "أول مبادئ السالك أن يكثر الذكر بقلبه ولسانه بقوة حتى يسري الذكر في أعضائه وعروقه وينتقل إلى قلبه"⁽²⁾ فإن تعلق القلب بالله يجعله فارغا عن كل ما سواه، فالذكر إذن "وسيلة لانفصال الذات عن كل موضوع خارجي أو عن التعلق برغبة ما"⁽³⁾ وفائدته إزالة ظلمة القلب الحاصلة بالتقصير في الطاعات وإحلال النور مكانها.

فحكم الذاكر في نظر الشعراني كمن "يجلى النحاس الصدى بالحصى"⁽⁴⁾.

ومن ترك ذكره " فقد نكث عهد شيخه وانقطعت عنه الأمداد"⁽⁵⁾. ومن أحسن الكتب التي تبين حقيقة الذكر (مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الكريم الفلاح)⁽⁶⁾ لابن عطاء الله السكندري صاحب (الحكم) من القدماء وكتاب (تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر) لمحمد أديب كلكل من المعاصرين وهو "بحث علمي يكشف عن فضائل الذكر وحقيقته الشرعية"⁽⁷⁾ ولا يعرف حقيقة المقامات والحضرات إلا ذاكر مكاشف

(1) سورة آل عمران الآية 191.

(2) الغزالي، روضة الطالبين، ص 25.

(3) د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص 35.

(4) الشعراني، الأنوار القدسية، ج1، ص 70.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 104.

(6) ابن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1999.

(7) إثبات على غلاف الكتاب الذي سبق التعريف به في الباب الثاني

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

باعتبار الذكر هو "التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق"⁽¹⁾

والذاكر المكاشف يقطع مراحل الذكر الثلاث وهي:

أ- ذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان

ب- ذكر الحضور في القلب

ج - ذكر الغيبة عن الحضور في المذكور. وهو "ذكر السر أو الذكر الخفي"⁽²⁾، وقد جمع ابن عطاء الله هذه الأنواع الثلاثة في الحكمة السابعة والأربعين وهي قوله: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور⁽³⁾.

إن ثمرة الذكر هي الفتح، والفتح كما يدل اسمه هو زوال الحجب عن القلب فإذا زالت حصل الفيض وهو قذف العلوم والمواهب فيه من الحق تعالى. ذكر ابن عربي في (مواقع النجوم) أنه فتح عين البصيرة إلى مشاهدة ما أقرّ الله في القلب من الأسرار ورثب فيه من الحكم وأودعه من الفوائد⁽⁴⁾، وفي (اللمع) أن الله إذا كشف للقلوب عن أسرارها "فتح الأقفال عنها وأتت الزوائد والفوائد من الغيوب"⁽⁵⁾. ويذكر

(1) ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص 4.

(2) نفس المصدر، ص 8.

(3) ابن عطاء الله، الحكم الحكمة 47، ص 54.

(4) ابن عربي، مواقع النجوم، ص 62.

(5) السراج، اللمع، ص 148.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

براده في (جواهر المعاني) أن حقيقة الفتح "هو ما بزغ من الغيب عند زوال حجابيه فهو شامل لجميع الحقائق المذكورة من العلوم وغيرها من الأسرار والحقائق والمعارف والأنوار"⁽¹⁾ والصوفي عند حصول الفتح إما مفتوح عليه مع بقاء العقل فهو جامع لنور العقل ونور القلب، وإما نوراني محض لغيابه كلية في مشاهدة الحق.

وقد سئل الدباغ عن ذهب عقله بالفتح فأجاب بأن التحقيق أن عقله لم يذهب وإنما هو "غائب في مشاهد الحق سبحانه، فهو سارح في بحور الحقيقة إلا أن الله قطع عقله عن ذاته لحكمة أرادها"⁽²⁾ ولا تخلو مجالس كثير من الطرق الصوفية من القراءة الجماعية لسورة (الفتح)⁽³⁾ تفأؤلا به للمريدين بل إن هذه السورة هي لازمة الورد في الطريقة الهبرية الدراوية وهي فرع عن الشاذلية الأم، كما تسمى بعض أحزاب الصوفية بأحزاب الفتح⁽⁴⁾.

والشرط الوحيد بعد الإخلاص لحصول الفتح للمريد هو "ألا يستحضر في ذهنه شيئا من الكون إذ الفتح لا يكون إلا لمن شهد الحق تعالى بقلبه وغاب عن سواه"⁽⁵⁾.

إن المفتوح عليه صوفي حصل أمرين أساسيين هما:

أ- قطع المقامات

ب- حصول الكشف

(1) براده، جواهر المعاني، ج2، ص 111.

(2) ابن المبارك، الإبريز، ص 521.

(3) هي السورة 48 من القرآن الكريم.

(4) كحزب فواتح البصائر للجيلاني.

(5) (الشعراني، الأنوار القدسية، ج1، ص 87.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وأريد أن أتناول الأمرين بتركيز، أما قطع المقامات فمعناها التحقق الذوقي لجلها أو بعضها أو كلها، وأما حصول الكشف فعلى ضربين: كشف المنام وكشف اليقظة، وقد يكون معه الغالب الأعم نور الفراسة فينطق عن الله بالله. وسأحاول بسط الكلام على هذه المسائل الثلاث وهي المقام والكشف والفراسة لأختم بذلك حلقات المنهج الذاتي في المعرفة الصوفية كما رسمته انطلاقاً من روح التصوف.

مصطلح المقام مصطلح قرآني كما في قوله تعالى:
{ وَمَا مِثْلًا لَّهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ }⁽¹⁾ ومعناه لغة الإقامة أو موضع القيام⁽²⁾.

والمقام في التصوف هو "المحلة"⁽³⁾ أو "المنزل"⁽⁴⁾ أو "الدرجة"⁽⁵⁾ من سُلّم الذوق الروحي القلبي الإيماني قال القشيري والمقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه ينوع ويتحقق به بضرب تطلب وتطلب ومقاسة تكلف⁽⁶⁾. فالمقام منزل روحي يدركه العبد بالجهد. ويفهم معنى المقام من خلال مصطلح رديف هو الحال، فالمقام كسبي

(1) سورة الصافات الآية 164.

(2) ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1999 ج5، ص 355.

(3) د/ محمد جلال شريف، دراسات في التصوف الإسلامي، ص 279

(4) الهروي، منزل الساترين وابن القيممدارج السالكين شرح منزل السالكين.

(5) ابن القيم مدارج السالكين؟

(6) القشيري، الرسالة، ص 32.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والحال وهبي. "ولا يرتقي العبد من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف شروط ذلك المقام"⁽¹⁾.

أما عدد المقامات فالصوفية فيه على مذهبين:

أ- مذهب القائلين بعدد من المقامات لا ينقص عن السبعة ولا يزيد على العشرين كالخراز والمحاسبي والغزالي.

ب- مذهب القائلين بلا محدودية عدد المقامات كالجنيد والشعراني والنابلسي وابن عربي.

والسبب في هذا الاختلاف مرده إلى ذاتية المعرفة في هذا الباب فمن أحصى المنازل التي قطعها قال بالعدد ومن لم يحصها قال باللا عدد.

والذي اعتقده أنه لا حصر للمقامات وإنما هناك منازل كبرى هي محطات في الطريق العرفاني كانت دائما وأبدا محل اتفاق بين الصوفية أما تفرعاتها بغير حساب، ومنح لا يمكن أن نحصرها في عدد معلوم ولا وصف مكتوب.

يقول ابن عربي في (عناء مغرب) إن العبد إذا ارتقى عن درجة الأجسام وزال عن عالم الأوهام والتحق بمقام الإلقاء والإلهام أتعب في طلبه علماء الأحكام فصار شاهده يطلب غائبه ليعرف مقاصده ومذاهبه⁽²⁾ وهو أحسن تصوير لصعوبة الإحاطة بحقيقة المقامات. ويرى النايلسي- وهو عرفاني ذو مشرب أكبري- أن درجات القرب إلى الله لا نهاية لها في الدنيا ولا في الآخرة⁽³⁾. بل إن الجنيد أجاب صوفيا سألته

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) ابن عربي، عناء مغرب، ص 67.

(3) النايلسي، أسرار الشريعة، ص 124.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عن رجل كان الله حسبه قولاً وحقيقة فقال له بينك وبين هذه المنزلة عشرة آلاف مقام⁽¹⁾.

ولكل مقام عشر شروط إذا عاناها وأحكمها الصوفي انتقل إلى المقام الذي بعده⁽²⁾.

وأجمع الصوفية على أن مقام التوبة هو أول المقامات في السير إلى الله. وهذا الإجماع لا يحتاج إلى تعليل، وأحصى الكلاباذي في (التعرف لمذهب التصوف) خمسة عشر مقاماً أساسية هي: التوبة والزهد والصبر والفقر والتواضع والخوف والتقوى والإخلاص والشكر والتوكل والرضا واليقين والأنس والقرب والاتصال⁽³⁾.

ونهاية المقامات عند الصوفية الذين عدّوها هو مقام المعرفة. قال السهروردي "صاحب مقام المعرفة مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة. وهذا مقام حملة العرش، وليس بعده مقام"⁽⁴⁾ "والحق أنه" ليس لمعرفة الله نهاية"⁽⁵⁾.

وجعل الخراز في كتاب الصدق المقامات عشرة هي: التوبة والخوف والرجاء ومقام الصالحين ثم مقام المريدين ثم مقام المطيعين ثم مقام المحبين ثم مقام المشتاقين ثم مقام الأولياء ثم مقام المقربين⁽⁶⁾ ولكل مقام عشر شروط للانتقال

(1) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، ص 501.

(2) نفس المصدر، ص 279، و الخراز، كتاب الصدق، ص 16.

(3) الكلاباذي التعرف لمذهب أهل التصوف من ص 109 إلى ص 127.

(4) السهروردي، عوارف المعارف ص 69.

(5) د/ عبد الحليم محمود، تحقيق المنقذ للغزالي، ص 194.

(6) أبو سعيد الخراز، الطريق إلى الله أو كتاب الصدق، تحقيق الدكتور عبد

الحليم محمود، المكتبة المصرية، بيروت 1967، ص 16.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إلى الذي بعده⁽¹⁾. وذكر الحافظ التجاني تسعة مقامات هي التوبة والاستقامة والتقوى والإخلاص⁽²⁾ والصدق واليقين والمراقب والمشاهدة والمعرفة⁽³⁾ وهو نفس العدد في الميزاب مع اختلاف في تسمية المقامات وهي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والمحبة والرضا⁽⁴⁾. قال "ولا يصح واحدٌ منها بدون إسقاط التدبير مع الله تعالى"⁽⁵⁾. ورتب الرفاعي أصحاب المقامات العشر الأساسية كالآتي:

الدرجة	أساس المعاملة
المريد	الإرادة
العابد	القصد
المنيب	النية
المنيب	العزيمة
الزاهد	الاختيار
المتقي	الرضا
المخلص	الفكر
الأواب	الهم

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) يسميه مقام الفرقان

(3) محمد الحافظ التجاني، أهل الحق ص 157 إلى 197.

(4) ابن أنبوجة، ميزاب الرحمة الربانية، ص 130.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

المقرب	حديث النفس
الصدّيق	حفظ القلب عن الخطرات (1)

هذا ولا بد لسالك المقامات من قطع ست عقبات أساسية هي:

- أ- فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية
 - ب- فطم النفس عن المألوفات العادية
 - ج - فطم القلب عن الرعونات البشرية.
 - د- فطم النفس عن الكدورات الطبيعية.
 - هـ- فطم الروح عن البخارات الحسية.
 - و- فطم العقل عن الخيالات الوهمية (2).
- وعليه ألا يقنع بحكايات أهل الطريق "دون منازل مقاماتهم فإن ذلك من أكبر القواطع للمريد" (3).

وقد تفرد الشيخ عبد القادر الجيلاني بوضع جدول للمقامات مرتبة من الأول إلى السابع دون تسميتها ثم يقابل كل مقام من النفوس السبع ثم وسيلة سيرها أو الغاية منه ثم عالم النفس المقابلة للمقام ثم محلها من باطن الإنسان ثم الحال الذي للنفس بحسب المقام ثم نوع الوارد ثم لون النور المقابل لها. وهو تقسيم يدل على خبرة كبيرة بدروب النفس وبالتقاطع الحاصل بين الميل النفساني والميل الروحاني، زيادة الإفادة أثبت بعد

(1) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص 220.

(2) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ص 29.

(3) الشعراني، الأنوار القدسية، ج1، ص 76.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

هذا الجدول في المقامات جدول النفوس السبع ونوع الصفات التي كل واحدة منها حتى يتبين مدى العناية التي أولاها الصوفية العارفون⁽¹⁾ لنهج الذوق في درب المعرفة الإلهية.⁽²⁾

المقام الأول	المقام الثاني	المقام الثالث	المقام الرابع	المقام الخامس	المقام السادس	المقام السابع
النفوس الأمانة	النفوس اللوامة	النفوس الملهمة	النفوس المطمئنة	النفوس الراضية	النفوس المرضية	النفوس الكاملة
سيرها إلى الله	سيرها لله	سيرها على الله	سيرها مع الله	سيرها في الله	سيرها عن الله	سيرها بالله
عالمها الشهادة	عالمها البرزخ	عالمها اللاهلاج	عالمها الحقيقة المحمدية	عالمها اللاهوت	عالمها الشهادة	عالمها في وحدة ووحدية في كثرة
محلها الصدر	محلها القلب	محلها الروح	محلها السر	محلها السرائر	محلها الأخفى	محلها الخفاء
حالتها الميل	حالتها المحبة	حالتها العشق	حالتها الوصلة	حالتها الفناء	حالتها الحيرة	حالتها البقاء
واردها الشريعة	واردها الطريقة	واردها المعرفة	واردها الحقيقة	ليس لها وراة	واردها الشريعة	واردها جميع ما ذكر
نورها أزرق	نورها أصفر	نورها أحمر	نورها أبيض	نورها أخضر	نورها أسود	نورها ليس له لون

(1) تمييزا لهم عن المستصوفة وما أكثرهم.

(2) إسماعيل بن السيد محمد، الفيوضات الربانية، ص 37.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والأنفس السبع المقابلة لكل مقام ترتب كالتالي مع إثبات جملة الطباع الخاصة بكل واحدة منها. وهذا جدول بياني بأسمائها: (3)

الصفات	النفوس
البخل، الحرص، الأمل، الكبير، الشهوة، الحسد، الغفلة.	النفوس الأمارة
اللوم، الفكر، القبض، العجب، الاعتراض	النفوس اللوامة
المخاوة، القناعة، العلم، التواضع، التوبة، الصبر، تحمل الأذى	النفوس الملهمة
الجود، التوكل، الحكمة، العبادة، الشكر، الرضا	النفوس المطمئنة
الزهد، الإخلاص، الورع، ترك ما لا يعني، الوفاء	النفوس الراضية
حسن الخلق، ترك ما سوى الله، اللطف بالخلق، التقرب إلى الله، التفكير في عظمته والرضا بما قسم	النفوس المرضية
جميع ما نُكر من الصفات الحسنة	النفوس الكاملة

ومن المهم أن نقول إن جميع المقامات – الواقعة في درجة الإحسان، تدرج تحت حضرات ثلاث هي:
أ- الناسوتية

(3) المصدر السابق، ص 38.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ب- الملكوتية

ج- الجبروتية

وفوقها جميعا حضرة الهاهوت وهي "حضرة الطمس والعماء الذاتي"⁽¹⁾ لا سبيل لبشر إليها مهما علا مقامه.

أما الحضرة الناسوتية فهي حضرة الروح حين التجريد وهي طور التروحن الإنساني مع بقاء الرسم الأدمي.

أما حضرة الملكوت فهي عالم الروح حين التجريد فتأخذ الصفة الملكية ومجال هذه الحضرة السماوات السبع.

ثم أخيرا حضرة الجبروت (اللاهوت) ومجالها السماء السابعة إلى الكرسي وهي حضرة فيض الأسرار الإلهية

وظهور أسماء الله وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضها وتجلياتها، وسماها ابن عربي "حضرة الحضرات"⁽²⁾ وجعل

بعضهم اللاهوت حضرة مستقلة عن الجبروت وهو فصلٌ تأصيله الذوق لا المنهج الكلامي، فلا حاجة لبحثه من هذه

الزاوية الأخيرة.

وقد مثل ابن أنبوجة العوالم (الحضرات الثلاث) بعملية الكتابة فقال: "إن الكاغذ والمداد واليد من عالم الناسوت،

والقدرة والإرادة ونور العقل من عالم الملكوت، والعلم المرسوم في القلب من عالم الجبروت"⁽³⁾.

أما الهاهوت فحضرة العماء المحض لا تعرف لاختصاصها بالحق تعالى ولا سبيل للعقل والذوق إليها.

(1) ابن أنبوجة ، ميزاب الرحمة، ص 120.

(2) ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج4، ص 318.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد أطلق ابن عربي اسم الحضرة على تعريفات لهذه الحضرات الثلاث مستقاة من الأحوال بالنسبة للحضرة الأولى ثم اشتق من كل اسم إلهي اسما لحضرة تناسبه كحضرة الرحموت من الاسمين الرحمن الرحيم وحضرة النقديس من الاسمين القدوس وحضرة إسبال الستور من اسمه تعالى الغفار إلخ... فلا خلاف مع ثلاثية الحضرات التي ذكرنا سالفًا إذ أن محتوى الحضرتين الأخيرتين كما يراه يتفق مع التقسيم الذي ذكرناه.

ويرى الشعراني أن حضرة شهود الله تعالى هي حضرة "بهت وخرس"⁽¹⁾ وفيها يزول الذكر الذي هو بمنزلة الدليل "فإذا حصلت الجمعية بالمدلول استغنى العبد عن الدليل"⁽²⁾ والمقصود بالجمعية الغيبة بالله وهي المعروفة بالفناء، وليس معناها ترك الذكر مطلقًا بل عند الجمعية فقط. والملاحظة الواجب سؤقها في ختام الكلام عن الحضرة أن الصوفية استخدموا هذا المصطلح في مواضع ثلاثة مختلفة هي:

أ- الحضرة كإسم للتعظيم والأدب فيقال عندهم نحن في حضرة الحق أو في حضرة الله، أي نحن مع الله، أو الصلاة على حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بمعنى الصلاة عليه، أو حضرة الشيخ أي الشيخ.

ج - الحضرة بمعنى التحلق جماعة لذكر الاسم الجامع (الله) بتحريك الرؤوس والتمايل تواجدا - أي طلبا للوجد وهي

(1) الشعراني، الأنوار القدسية، ج1، ص 34.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

من أحوال النقص لا الكمال عند العارفين كما نص على ذلك الدباغ في (الإبريز)⁽¹⁾.

الكشف هو ارتفاع الحجاب. والمشاهدة والشهود والمكاشفة كلها تفيد حالة واحدة هي حالة الكشف⁽²⁾. وسببه أن روح الإنسان إذا رجعت عن حسن الظاهر إلى حسن الباطن ضعفت أحوال الحسن وقويت أحوال الروح وغلّب سلطانها وأعانتها الذكر فإنه كالغذاء الذي ينميها. فتصير الروح عندئذ في حالة شهود وينكشف لها حجاب الحسن⁽³⁾.

وقد جعل زرّوق في (القواعد) الكشف ثالث علوم الصوفية حين رتب هذه العلوم إلى:

1 - علم الوعظ والتذكير وأساسه (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)⁽⁴⁾

2 - علم المعاملة والعبودية وأساسه (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا)⁽⁵⁾

3 - علم المكاشفة وأساسه قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)⁽⁶⁾

وهذا الذي ذكره زرّوق⁽⁷⁾ اختصره الغزالي في علمين هما علم المعاملة وعلم المكاشفة⁽¹⁾. وجعل السراج علم

⁽¹⁾ ابن المبارك، الإبريز، ص 339/338.

⁽²⁾ أترجمها إلى: état de dévoilement.

⁽³⁾ ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 586.

⁽⁴⁾ سورة النحل الآية 125.

⁽⁵⁾ سورة الحشر الآية 7.

⁽⁶⁾ سورة البقرة الآية 282.

⁽⁷⁾ زرّوق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 76، ص 47.

التصوّف الإسلامي

من الرموز إلى العرفان

المكاشفة أشرف العلوم وجعله تحت دائرة علم الحقائق
والمنازلات⁽²⁾.

وحالة الكشف " حالة معرفة "⁽³⁾ فإن الله إذا نظر إلى
قلب عبد من عباده بالفضل " كشف عنه حجاب الغفلة وأظهر
له لطائف القنرة"⁽⁴⁾.

وقد عرف ابن القيم الكشف بأنه " علوم يحدثها الرب
سبحانه وتعالى في قلب العبد ويطلعها بها على أمور تخفى على
غيره"⁽⁵⁾. ودرجة المكاشفة عنده هي عند " غلبة نور الكشف
على القلب "⁽⁶⁾ وتكون ثمرة هذه الدرجة أن تُصبح العلوم
الحاصلة من هذا الطريق نازلة "بمنزلة العلم الضّروري الذي
لا يمكن جرده ولا تكذيبه لأنه صار للقلب بمنزلة المرني
للبصر"⁽⁷⁾. فإذا كانت المعارف الحاصلة بكشف العلم علم
حقيقة لمطابقتها للصورة الخارجية فإن هذه الدرجة وهي
الكشف القلبي هي " عين الحقيقة "⁽⁸⁾. والحكم في هذه الحال
لقلب العبد وحاله⁽⁹⁾. وهي الحال التي " لا يحتاج العبد فيها إلى
اتعاب الفكر في تحصيل شيء مما طريقه العقل "⁽¹⁰⁾.

(1) الغزالي . الكشف والتبيين، ص 204.

(2) السراج، اللمع ص 456

(3) عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، ص 49.

(4) الرفاعي، حالة أهل الحقيقة، ص 55.

(5) ابن القيم، مدارج السالكين، ج3، ص 222.

(6) المصدر السابق، ج3، ص 227.

(7) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(8) نفس المصدر، ص 228.

(9) نفس المصدر، ص 230.

(10) الشعراني، الأنوار القدسية، ج2، ص 106.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وينقسم الكشف إلى لونين كبيرين هما:

- 1 - الكشف الملكي (بضم الميم نسبة إلى ملك الله) وهو متوجه إلى باطن الوجود الحسي وظاهره. ويسمى بكشف السفليات.
- 2 - الكشف الملكوتي ويتوجه إلى عوالم النور كالملائكة واللوح المحفوظ والعرش والكرسيّ وعوالم أخرى "لا يمكن إحصاؤها ولا استقصاؤها"⁽¹⁾.

ويتفرع عن هذين النوعين كشوفٌ أخرى كالاغتصامي⁽²⁾ والقلمي والنوني والعلمي والذاتي والوهبي والحقيقي⁽³⁾ الخ... وقد جعل ابن عربي الكشف أربعة هي:

- 1 - الكشف العقلي وهو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر.
 - 2 - الكشف النفسي وهو ما يرسم في الخيال أثناء المجاهدة والرياضة.
 - 3 - الكشف الروحاني وهو الذي يكون بعد كشف الحجب العقلية والحجب النفسية، وكله مطالع روحانية.
 - 4 - الكشف الرباني وهو أعلاها، ويكون بالعروج والتنزل والتجلي⁽⁴⁾.
- وفرق بين الكشف الخيالي والكشف الحسي عند المرتاضين في الخلوات.

(1) الغزالي، المنتقد من الضلال، ص 378.

(2) ابن عربي، الفتوحات، ج 1، ص 41.

(3) ابن عربي، مواقع النجوم، ص 70.

(4) ابن عربي، رسالة إنشاء الدوائر من جملة رسائله، ص 35 وإيضاد/ عامر النجار، التصوف النفسي، ص 133، والكتورة سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 971.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وبيّن أنّ الانتقال من الخيالي إلى الحسي يكون بتنزل المعاني العقلية في الصّورة الحسيّة وهو "تنزل صعب"⁽¹⁾. وطريق الكشف وإن كانت طريق شهود " لا تحتمل المجادلة والردّ على قائلها"⁽²⁾ فإنها " أضعف درجات الولاية لوجود الكشف عند أهل الحق وأهل الباطل"⁽³⁾ فصاحب الكشف " لا يأمن على نفسه من القطيعة والحقق بأهل الظلام حتى يقطع مقامه ويتجاوزة"⁽⁴⁾ أي حتى يتحقّق بمعنى العبودية الصرف، وهذا يتجاوزة درجات الكشف جميعاً دون الالتفات إليها بل يجعل غايته هي الله المنزه عن كلّ شريك. فأحوال الكشف وإن كانت ثمرة إيمانية إلا أنها يمكن أن تتحول إلى صوارف عن وجهة الحق إذا اشتغل بها العبد. وهنا مكنم الخطر.

وقد جعل الصوفية ضوابط للكشف خوفاً من هذا المحذور الأكبر وغيره تأسياً بالصحابه الذين " كانوا على أوفر الحظوظ في هذا الشأن لكنهم لم تقع لهم به عناية"⁽⁵⁾. ويمكن اختصار توجيهات العارفين الصوفية بهذا الشأن فيما يلي:

1 - على المرید أن يسأل الله زوال الكشف لما قد يكون فيه من "الإطلاع على عورات الناس"⁽¹⁾ ولكونه " من أحوال المریدین لا العارفين"⁽²⁾.

(1) ابن عربي، رسالة الأتوار، ص 8.

(2) ابن عربي، كتاب الفناء، ص 8.

(3) ابن المبارك، الإبريز، ص 511.

(4) المصدر السابق، ص 511.

(5) عناية الله الأفغاني، جلال الدين الرومي، ص 167.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

2 – " كلّ ما يتجلى لك في خلوتك ويقول لك أنا الله فقل سبحان الله أنت بالله واحفظ صورة ما رأيت واله عنها واشتغل بالذكر"⁽³⁾

3 – " لا يجوز أن يكشف إنسان بالمحال في العقل ولا أن يكشف بأن الشريعة السماوية باطلة لأن ذلك محالٌ شرعاً. ومن صدق بذلك صار أخسّ من أن يخاطب"⁽⁴⁾.

4 – "كلّ علم من طريق الكشف والإلقاء أو اللقاء والكناية بحقيقة تخالف شريعة متواترة لا يعول عليه"⁽⁵⁾. " وكل كشف لا يكون صرفاً من المزاج لا يعول عليه"⁽⁶⁾ كالخيالات الحاصلة لمن تناول الحشيش أو الواقعة بسبب أنواع الطلاسم والسحر والمس والاستدراج.

5 – " إنّ الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الخلوة والجوع، وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين.. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرأة فيما ينطبع فيها من الأحوال"⁽⁷⁾.

وقد أنصف ابن خلدون الصوفية حين عرض لموقف الفقهاء من الكشف بين منكر عليهم ومسلم لهم فقال " إنّ الدليل

(1) الشعراني، الأتوار القدسية، ج2، ص 202.

(2) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(3) ابن عربي، رسالة الأتوار، ص 7.

(4) الغزالي، المقصد الأسنى ص100، وأيضا الدكتور عامر النجار، التصوف النفسي، ص 133.

(5) ابن عربي، رسالة لا يعول عليه، ص2.

(6) المصدر السابق، ص 18.

(7) ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 587.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والبرهان لا ينفعان في هذه الطريق ردا وقبولا إذ هي من قبيل الوجدانيات⁽¹⁾.

وسمى مذهب التصوف "مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات"⁽²⁾ وحقق أن أهل النظر – العقلي أو الفقهي أو هما معا – لا يستطيعون تحصيل مُقتضاه "لعمومه وانغلاقه وبعُد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل"⁽³⁾.

وإذا تعدّر وصف ما يكشف به العبد العراف في الغالب الأعم كما يتعدّر فهم اللغة العرفانية التي يتناول بها كشفه فإننا نستطيع تناول لونيّن من الكشف البسيط يقربان المعنى ولا يحيطان به هما الفراسة والكشف.

الفراسة (بكسر الفاء) وهي التوسم من تفرّس الشيء توسّمه⁽⁴⁾. قال ابن منظور في (لسان العرب) هي بمعنيين:

1 – أحدهما ما دلّ ظاهر الحديث عليه⁽⁵⁾ وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس.

2 – الآخر نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق (بفتح الفاء) والأخلاق فتعرف أحوال الناس. قال "وللناس فيه تصانيف كثيرة قديمة وحديثة"⁽⁶⁾.

(1) المصدر السابق، ص 588.

(2) نفس المصدر، ص 590.

(3) نفس المصدر، ص 590.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 221.

(5) روى الترمذي حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله واستشهد به ابن منظور (لسان العرب)، ج 10، ص 221، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 43.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 221.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وتستخدم صيغة أفرس للمفاضلة بين متفرس وآخر
فقيل أفرس الناس ثلاثة امرأة العزيز في يوسف - عليه السلام
- وابنة شعيب في موسى - عليه السلام - وأبو بكر في تولية
عمر - رضي الله عنه - (1). وفي الحديث الشريف قوله عليه
السلام أنا أفرس بالخيول منك فقال عيينة وأنا أفرس بالرجال
منك (2).

وقد تناول القرطبي قوله تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} (3)، فقال للمتوسمين للمتفرسين، وساق الحديث
اتقوا فراسة المؤمن ثم ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قال هذا الحديث قرأ هذه الآية. ثم نقل تفسير أبي عبيدة
للمتوسمين بأنهم المتبصرون وذكر رواية الترمذي الحكيم عن
أنس بن مالك إن الله عز وجل عبادة يعرفون الناس بالتوسم (4).
والتوسم من الوسم وهي العلامة التي يستدل بها على
مطلوب غيرها (5) وهو "لأهل الخير والصلاح" (6).

وقد جعل القرطبي للفراسة علامات ظاهرة وأخرى
خفية، فمن الظاهر قول ابن عباس - رضي الله عنهما - ما
سألني أحد عن شيء إلا عرفت أقيقه هو أو غير فقيقه (7). ومن
الخفية أن الشافعي ومحمد بن الحسن كانا بفناء الكعبة ورجل

(1) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(2) رواه مسلم.

(3) سورة الحجر الآية 75.

(4) القرطبي، الجامع، ج10، ص 43.

(5) المصدر السابق، ص 43.

(6) نفس المصدر، ص 43.

(7) نفس المصدر، ص 44.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

على باب المسجد فقال أحدهما أراه نجارا وقال الآخر أراه حدادا فبادر إليه بعض الناس فسأله فقال كنت نجارا وأنا اليوم حدادا⁽¹⁾. والفراسة من أخص صفات الصوفي المكاشف عند الجنيد فقد سئل: من العارف فقال: من نطق عن سرّك وأنت ساكت⁽²⁾. ولما سئل الشبلي: من أين تولدت فراسة المتفرسين؟ قال من قوله تعالى (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)⁽³⁾. وتتعلق فراسة المتفرس بثلاثة أشياء هي العين والأذن والقلب:

- 1 - العين للسمياء والعلامات الظاهرة
 - 2 - الأذن للكلام والتصريح والتعريض
 - 3 - القلب للعبور من المنظور والمسموع إلى الباطن الخفي." وعبور المتفرس من ظاهر الهيئة والبدال إلى باطن الروح والقلب"⁽⁴⁾ وتكون قوة الفراسة بحسب قوة نور الكشف⁽⁵⁾.
- ولا بد من الإشارة إلى أنّ الفراسة التي نصلها بالكشف هي الفراسة الإيمانية وفي هذا الصدد نتميز ثلاثة أنواع من الفراسة هي:

(1) نفس المصدر، ص 44.
(2) د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، ص 337، والسلمي في طبقات الصوفية، تحقيق شريفة، طبعة القاهرة 1953، ص 157.
(3) سورة الحجر الآية 29. المصدر السابق، ص 263
(4) ابن القيم، مدارج السالكين، ج 2، ص 488.
(5) المصدر السابق، ج 2، ص 494.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

1 - الفراسة الخلقية (بفتح الخاء) وهي التي يستدل صاحبها بالخلق (بفتح الخاء) على الخلق (بضم الخاء) "لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله"⁽¹⁾. وأصل هذه الفراسة أن "اعتدال الخلقة والصورة هو من اعتدال المزاج والروح"⁽²⁾.

2 - فراسة الجوع والسهر والرياضة والتخلي، فإن النفس إذا تجردت من العوائق " صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها"⁽³⁾. وهي فراسة مشتركة بين الكافر والمؤمن.

3 - فراسة إيمانية وأصلها نور يقفبه الله في القلب وتعرف بأنها "مكاشفة النفس ومعينة الغيب"⁽⁴⁾ وهي مقام من مقدمات المعرفة. وسمى زروق في (قواعد التصوف) هذا الفراسة "فراسة شرعية"⁽⁵⁾ وهي نور إيماني ينبسط على القلب حتى يتميز في نظر صاحبه حالة المنظور فيه وأحواله، وكل مؤمن منها نصيب⁽⁶⁾.

وقد نقل ابن القيم قولاً لبعض العارفين جمع فيه معاني الفراسة الإيمانية فقال: أرواح تنقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتتطرق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق

(1) نفس المصدر، ص 487.

(2) نفس المصدر، ص 487.

(3) نفس المصدر، ص 486.

(4) نفس المصدر، ص 484.

(5) زروق، قواعد التصوف، القاعدة 156، ص 99.

(6) المصدر السابق، القاعدة السابقة، ص 99.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ظنّ وحسبان⁽¹⁾. ولا بد من ملاحظتين في آخر هذا البسط عن الفراسة:

1 - إن مقام الإلهام - وهو مقام المُحَدَّثِ (بفتح الدال) فوق مقام الفراسة كما نصّ على ذلك العارفون الصوفية ومنهم الإمام الهروي صاحب (منازل السائرين)⁽²⁾.
فقد تنال الفراسة بالكسب أما الإلهام فلا ينال بذلك بل هو موهبة محض.

2 - جرى بعض قضاة الإسلام في العمل بالفراسة في الأحكام كإياس بن معاوية وقاضي المالكية ببغداد زمن القرطبي صاحب (الجامع لأحكام القرآن). ولم يعمل بها الغالب الأعمّ لأن " مدارك الأحكام معلومة شرعا مدركة قطعا وليست الفراسة منها"⁽³⁾ كما رجّح ذلك القرطبي.

ونفس الشيء يقال عن الرؤيا - لا لكذبها فقد تكون صادقة - ولكن لجواز النسيان أو الخلط على الرائي، فإنها لم تعتبر مسلّكا في حدود الدين ومدارك الأحكام.
جعل الإمام الغزالي " عجائب الرؤيا الصادقة"⁽⁴⁾ من أدلة صحة الكشف وإمكانه فإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل وقوعه في اليقظة لأن النوم مختلف عنها في ركود الحواس فقط.

وقد ورد النص القرآني بحديث الرؤيا وتعبيرها في مواضع عدّة كما في حق يوسف عليه السلام (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ

(1) ابن القيم، المدارج، ج2، ص 484.

(2) المصدر السابق، ج1، ص 44.

(3) القرطبي، الجامع، ج10، ص 45.

(4) الغزالي، الإحياء، ج3، ص 28.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عَشْرَ كَوَكْبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ⁽¹⁾، وإبراهيم عليه السلام (قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)⁽²⁾ ورسولنا صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ)⁽³⁾. كما ورد النص الحديثي الشريف بها أيضا في أكثر من موضع⁽⁴⁾. والرؤيا بتعبير ابن خلدون "مدرك من مدارك الغيب"⁽⁵⁾. وتحقيق الرؤيا عند الصوفية أن الإنسان يموت ثلاث مرات:

1 - الموت الأصغر بالعطاس، وذلك بتعطل حسه كلية للحظات معلومة، ومن هذا الباب كان تسميته الوارد في الحديث النبوي هو يرحمك الله⁽⁶⁾.

2- الموت الصغير وذلك بالنوم، قال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّافِسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا)⁽⁷⁾ وفي الحديث أن المستيقظ من نومه يقول الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وبإليه النشور⁽⁸⁾.

3 - الموت الكبير ويكون بمفارقة الروح للجسد وانتقالها إلى عالم البرزخ قال تعالى (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى

⁽¹⁾ سورة يوسف الآية 4.

⁽²⁾ سورة الصافات الآية 102.

⁽³⁾ سورة الفتح الآية 27.

⁽⁴⁾ ونسبك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ج2، ص 206/205.

⁽⁵⁾ ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 597.

⁽⁶⁾ صحيح البخاري

⁽⁷⁾ سورة الزمر الآية 42.

⁽⁸⁾ رواه البخاري ومسلم.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يَوْمَ يُبْعَثُونَ (1) فعند النوع الثاني من الموت تفتقر الأعضاء والأعصاب وتتجمع قوى الإدراك والمشاهدة في القلب "فتتكشف لها جميع المعلومات المرسومة في اللوح المحفوظ"(2)، فيدركها على قدر التعلق الروحي لصاحبه.

وقد مرّ معنا في حديثنا عن القلب الأسباب الخمسة التي تجعله قاصراً عن إدراك الحقائق، قال الغزالي إن هذه الأسباب إذا زالت واستنار القلب تجلت حقائق العلوم من مرآة اللوح المحفوظ في مرآة القلب فانطبعت فيها، وبذلك " تنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ"(3).

وللغزالي تائفة مشهورة ضمن كتابه (معارج القدس في مدارج معرفة النفس) يقول فيها عن حقيقة انتقاش المعلومات من اللوح المحفوظ في القلب عند النوم:

يدلّ على ما قلته حالة الكرى *** إذا ركذ الإحساس منك برقودة
وقابل لوح الغيب للنفس مثلما *** تقابل مرآة بأخرى صقيلة
فيطبع ما في اللوح في النفس فهي *** من هناك بعلم الغيب نسخة
ولو أمكن التجريد في كل يقظة *** لشاهدت لا في النوم كلّ عجيبة(4).

(1) سورة المؤمنون الآية 110.

(2) النابلسي، أسرار الشريعة، ص 207

(3) الغزالي، الإحياء، ج3، ص 21.

(4) الغزالي معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الشهاب، الجزائر

1989، ص 190/191.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والنوم عند الغزالي "طور وراء العقل تفتّح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب"⁽¹⁾، وعند ابن عربي هو "حضرة الخيال"⁽²⁾.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا أنواعا ثلاثة هي التي من الله ومن الشيطان والتي من حديث النفس⁽³⁾ قال ابن القيم والنوع الذي هو من أسباب الهداية هو "الرؤيا التي من الله خاصة"⁽⁴⁾. ونص الحديث الشريف على أنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة⁽⁵⁾.

وهذه الأجزاء نقل تفصيلها ابن المبارك في (الإبريز) عن الحليمي أنها تكليم الله بغير واسطة الوحي على لسان الملك - نفث الملك - كمال العقل - كمال الحفظ - العصمة في الاجتهاد - ذكاء الفهم - كمال البصر - كمال السمع - كمال الشم - قوة الجسد - العروج - صلصلة الوحي - تكليم الشاة - إنطاق النبات - إنطاق الجذع - إنطاق الحجر - إلخ...⁽⁶⁾ ورد ابن المبارك رأي الحليمي لاختصاص أكثر هذه الوجوه بالرسول صلى الله عليه وسلم والحال أن الحديث تكلم على النبوة مطلقا⁽⁷⁾. وأذهب أنا - صاحب هذا الكتاب - إلى الرأي نفسه. وأصل الفرق بين الرؤيا التي من الله والرؤيا التي من الشيطان

(1) الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق د/ عبد الحلیم محمود، ص 382.

(2) ابن عربي، فصوص الحكم، ج 1، ص 85.

(3) رواه مسلم

(4) ابن القيم، المدارج، ج 1، ص 51.

(5) رواه البخاري ومسلم.

(6) ابن المبارك، الإبريز، ص 139.

(7) المصدر السابق ص 141.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أن ذوات أقيمت في الحق وعلقت به وذوات أقيمت في الباطل وعلقت به" فأمّدت كل واحد بما يليق بها"⁽¹⁾. وقد يرى بعض أهل الظلام كفرعون يوسف رؤيا صادقة فتكون لغيره لا لخاصة نفسه " وقد تكون من جملة الابتلاء والغرور والمكر"⁽²⁾.

أما سرّ النفث ثلاثا – كما جاء في الحديث الصحيح – عند الرؤيا المحزنة فالنفث الأول من الذات والثاني من الروح والثالث استعانة بالحق⁽³⁾.

والظلام الداخل على الرؤيا بحسب ضعفه وقوته عشرة درجات:

1 – الظلام الداخل على الذات من سهو المكروه كمن يأكل بشماله سهوا.

2 – الظلام الداخل على الذات من سهو الحرام كمن أكل في الصيام سهوا.

3 – الظلام الداخل على الذات من عمد المكروه.

4 – الظلام الداخل على الذات من عمد الحرام.

5 – الظلام الداخل على الذات من الجهل البسيط في المسائل العقديّة البسيطة.

6 – الظلام الداخل على الذات من الجهل الكبير في المسائل الكبرى في العقيدة.

7 – الظلام الداخل على الذات من الجهل البسيط في المسائل الكبرى في العقيدة.

(1) نفس المصدر، ص 144.

(2) نفس المصدر، ص 146.

(3) نفس المصدر، ص 148.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

8 - الظلام الداخل على الذات من الجهل الكبير في المسائل الكبرى في العقيدة.

9 - الظلام الداخل على الذات من الجهل البسيط في جناب الرسول صلى الله عليه وسلم كاعتقاد صفة ليس هو عليها.

10 - الظلام الداخل على الذات من الجهل المركب في الجناب النبوي⁽¹⁾.

وكل إعدام لظلام من هذه الظلمات تقابله درجة طهارة للروح تعينها على التحقق بالرؤيا الصالحة فإن الروح " إذا نظرت الرؤيا ببصيرتها ونظرها الصافي فإنها لا تراها إلا على ما هي عليه"⁽²⁾. ولهذا كان مبدأ أمر الرسول (ص) الرؤيا الصادقة كفلق الصبح⁽³⁾. وجاءت مراني الأنبياء معاينة ووحيا⁽⁴⁾، وكذلك تنوعت منامات الخلق واختلفت خواطرهم لأن مرجعها إلى " إرادة الحق سبحانه في القلب"⁽⁵⁾ لا إلى الأخلط الأربعة السوداء والصفراء والدم والبلغم⁽⁶⁾.

وأسوق ملاحظة أخيرة تتعلق بالرؤيا وهي علم التعبير " الحادث في الملة " على حد تعبير ابن خلدون⁽⁷⁾. وهو علم

(1) نفس المصدر، ص 165، ملخصا باختصار شديد

(2) نفس المصدر، ص 165.

(3) رواه البخاري من طريق عائشة رضي الله عنها.

(4) ابن المبارك، الإبريز، ص 169

(5) المصدر السابق، ص 171.

(6) النابلسي، تطهير الأنام في تعبير المنام، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون تاريخ، ص 2، وأيضا الإبريز ص 157.

(7) ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 597.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

موجود في الملل السابقة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم (يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْئُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)⁽¹⁾ وموضوعه " العبور من ظاهر الصورة التي يراها الرائي إلى باطن تلك الصورة"⁽²⁾ يقول الشيخ محمد الحافظ التجاني إن المعاني تتمثل في عالم الرؤيا للروح بصورة المباني " وتحتاج لعلم خاص لا يعرفه إلا من عرف الله "⁽³⁾ يعني علم التعبير.

وهذا العبور العرفاني لا يكون لأي واحد من الذائقين لكونه مشربا عرفانيا خاصا، وأساس التعبير قوة الحس الروحاني فإنه دال على ما هو كائن بخلاف الحس الجسماني الدال على ما هو موجود⁽⁴⁾. ورموز الرؤيا وإن اتحدت عند عدّة أشخاص فإنها لا تعبّر بكيفية واحدة "لاختلاف البلاد والماء والهواء"⁽⁵⁾ والأسماء والهيآت الروحية.

ولذلك فإن خطأ من يعمد إلى كتاب (تفسير الأحلام) لابن سيرين مثلا فيعبر من خلاله خطأ جسيم، " فإن سنين الخصب لا صور لها في الحسن وقد أبصرها النائم في صور البقر"⁽⁶⁾، فلو كان ببلد لا بقر فيه فإن الملك الموكل بالرمز المنامي ربما جاءه بمعنى آخر، فمن أين للمعبر الوصول إلى

(1) سورة يوسف الآية 43.

(2) النابلسي، أسرار الشريعة، ص 207.

(3) الحافظ التجاني، أهل الحق، ص 204.

(4) النابلسي، تطهير الأنام، ص 5.

(5) المصدر السابق، ص 5.

(6) النابلسي، أسرار الشريعة، ص 280.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

المبنى؟ خذ مثلاً الطين والوحل فإنه في تعبير الهنود مالاً
ولغيرهم محنة وبلاء⁽¹⁾ وكذلك الشأن في رموز كثيرة
ولهذا فإن كتب التعبير ترشد إلى المعنى العام للرمز
ولكنها ليست كافية للولوج إلى علم التعبير الذي يحتاج منا إلى
وقفة خاصة لا يتسع هذا الطرح العلمي للإفاضة بشأنها وهي
وقفة نتقلنا من وجه سيميولوجي إلى آخر معرفي.

إن الذي يجمع أدوات المعرفة الصوفية وثمارها هو ما
اصطلح على تسميته العلم اللدني (بتشديد اللام) أو اللدني
(بتشديد النون) نسبة إلى لدن الله المذكور في قوله
تعالى (وَعَلَّمَآهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)⁽²⁾. قال ابن القيم في (المدارج) إن
هذا العلم سمي كذلك لأنه " تعريف من تعريفات الحق واردة
على قلب العبد يقطع الوسوس ويزيل الشكوك ويحل محل
العيان"⁽³⁾ وصاحب هذا العلم " قد ارتقى عن الشواهد إلى العلم
المدرك بالذوق والحس الباطن"⁽⁴⁾. أي انه قد تجاوز " النظر
والبحث والتفتيش"⁽⁵⁾ بلغة ابن عربي إلى " الفتح الموهوب
اللدني"⁽⁶⁾ باللغة نفسها. قال ابن عربي في (الفصوص) "ولست
بنبي ولكني وارث ولآخرتي حارث"⁽⁷⁾. وجزم برآده في
(جواهر المعاني) أن " من علمه الله العلم اللدني يعلم بعض

(1) النابلسي، تطهير الأنام، ص 5.

(2) سورة الكهف الآية 65.

(3) ابن القيم، مدارج السالكين، ج4، ص 416.

(4) المصدر السابق، ص 416.

(5) ابن عربي، رسالة الانتصار، ص 3.

(6) المصدر السابق، ص 3.

(7) ابن عربي، فصوص الحكم، ص 10.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الغيبوب التي أخفاها الله على كثير من خلقه"⁽¹⁾ ولا اختلاف في نظره بين الكشف الصحيح والنس الصريح إذ هما فائضان من نفس الحضرة بواسطة " فيض الحقيقة المحمدية"⁽²⁾ وتدق مدارك العلم اللدني حتى أن مرتبة الإفهام وحدها" تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس"⁽³⁾.

إنّ هذا الطور من المعرفة الإنسانية هو في أغلب سماته غير الطور العقلي إذ هو محض الذوق فلا مقدمة فيه ولا قياس و لا تحليل ولا برهان بل فتح و عيان و تحقيق. ولذلك كان من الحيف تسليط أدوات العقل على منهج مغاير للمنهج العقلي وإن كنت أقرّ بوجوب وضع ضوابط لهذا اللون من المعرفة حتى لا ينحرف بها أصحابها إلى ما يشينها ولتقريب عوالمها الذاتية إلى المهمتين بهذا الشأن أي عالم المعرفة الصوفية.

(1) برآده، جواهر المعاني ، ج1، ص 195.

(2) المصدر السابق ، ج2، ص 106.

(3) ابن القيم المدارج، ج1، ص 41.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الخاتمة

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

إنّ بحث التقلّة من السيمولوجي إلى الإيستيمولوجي الذي كان مدار بحثي في هذا الكتاب هو جواباً على الأسئلة الأربعة التي يرى الدكتور أحمد شلبي أنها فاصلة في اختيار البحث والشروع في التعامل مع محتوياته وهي:

أ - هل يستحق هذا الموضوع ما سيبدل فيه من جهد؟

ب - هل يمكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟

ج - هل في قدرتي القيام ببحث هذا الموضوع؟

د - هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟⁽¹⁾

وقد عمدت في جمع مادّته إلى طريقة المطف المقسّم (Loose leaf book) فتراكمت عندي القصاصات بشكل لم أكن أتوقّعه.

وبقدر المعاناة كانت المتعة. ولم يكن يشدّ إزري غير ثلاثة أمور وهي ثقّتي بالله سبحانه وتعالى وصالح دعوات السيدة الوالدة ويقيني أنه لا بدّ دون الشهد من إبر النحل. ولما عاينت محصّلة البحث علمت أنّ جهدي لم يكن قد ذهب هباء في نواح ثلاثة على الأقل:

1 - الناحية اللغوية :

لقد اكتشفت من خلال الرّمز الصّوفي لغة متينة تجمع بين الحقائق العلوية والحقيقة الإنسانية في تناغم يفدر العثور على نظير له. ومن الحيف الإفراط في محاولة تعقل الطبيعة الأصلية لهذا الرّمز.

(1) د/ أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة (دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه) الطبعة التاسعة، مكتبة النهضة العربية - القاهرة 1976 ص، 32.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ويمكن أن يعتني الباحثون في فلسفة اللغة بإشكالية التقابل بين الرّمز والفهم كما نبّه إلى ذلك ولتر ستيس⁽¹⁾ وإن كان التصوّف الذي بحثته هو صورة لمستيك المسيحيين وبعض متديني الهند فإنّه يمكن تخصيص هذا التقابل بدائرة التصوّف الإسلامي وبحثه بعد ذلك.

2 - الناحية المنهجية :

إن خصوصية المنهج الصّوفي في الإسلام ليست بالأمر الذي ينبو عن أذهان الباحثين ولكنّ ما يكتب في الغالب الأعمّ عن هذا المنهج هو اشتغال غير علمي يشبه المحاكمة أكثر ممّا يشبه السداد العلمي إذ هو صادر عن مواقف مسبقة تزعم امتلاك العقيدة الدّينية في الإسلام والحال أنّها أبعد ما تكون عن روحها ومسلكها.

والحاجة اليوم مآسة إلى من يهتم بذاتية المنهج الصّوفي ومدى تطابق هذه الذاتية مع منهج الإسلام العامّ بل وحتى مقارنتها بمثيلاتها في التجارب الإنسانية الأخرى.

3 - الناحية العلمية المجردة: فقد أفضى بي البحث في

الرّمز الصّوفي إلى القيمة العددية للحرف وإلى الارتباط بين الحرف والفلك بصيغة مباينة لفهم الكندي والفارابي. وكان لي بعض اشتغال بالرياضيات مثلاً. وهذا الفضاء يمكن أن يتوسّع إلى بحث العلاقة بين المجرّد الموضوعي ممثلاً في الرياضيات والباطني الذاتي ممثلاً في الحقيقة الصّوفية من خلال التلازم بين الحرفي العددي والذّوقي الصّوفي في بعض جوانب

(1) ولتر ستيس ، التصوّف والفلسفة، ترجمة وتقديم د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي القاهرة 1999، ص 345.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

العرفان عند المسلمين. وهو تلازم قد تكون الفواتح الحرفية لبعض سور القرآن الكريم منطلقاً له.

وما تجدر ملاحظته أنّ هذا الاشتغال الرياضي – الفلكي – الحرفي لا يفصله عن السّحر غير خيط رقيق كما نبّه ابن خلدون في (المقدمة) وكما تنبّهت إليه شخصياً خلال مطالعات عديدة.

وبلغة العقيدة الدّينية فإن هذا الخيط فاصل بين دائرتين متصادمتين هما دائرة الكفر ودائرة الإيمان.

وللأمانة العلميّة فإنّ أول محاولة علميّة تقترب من هذا السياق كانت للباحث توفيق فضّ بكلية الآداب بجامعة سترازبورغ بفرنسا سنة 1966، حيث قدّم دكتوراه دولة بعنوان (الكهانة عند العرب) وهو عمل ضخم يقع في خمسمائة وثلاث وستين صفحة⁽¹⁾ ويستحق صاحبه كلّ التقدير. ولكن عمله بقي دون متابعة فيما أعلم.

كما اطلعت على كتاب (السّحر) لصاحبه ش.ج.س.طومسون الذي ترجمه إلى العربية سمير شيخاني. وقد سمّي هذه الممارسة بالفلسفة المحجوبة⁽²⁾. وشدّ انتباهي حديثه عن العدد والجدول الخاصّ بالحرف وحديثه عن الطلاسم. وقد تخلل كتابه كثير من الرموز الفلكيّة وإن كان محتواه بعيداً عن روح العلم بخلاف الرّمز الصّوفي عند المسلمين.

Toufik Fadh, la divination arabe, SINDBAD, Paris

(¹) 1966

(²) ش.طومسون، السّحر، ترجمة سمير شيخاني، المكتبة الشعبيّة، بيروت 2002، ص212.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وأعتقد أنّ هذا المبحث بحاجة إلى من يعتني به سواء في الجانب الأصولي الديني أو في الجانب الفلسفي التقدي. وهو ما قد أفعله مستقبلاً إن يسّر الله ذلك.

وأخيراً فإنني بعد كتابة هذا العمل المتواضع أجدني أقول لو زنتُ هذا لكان أكمل ولو حذفت هذا لكان أجمل وهذا من جملة العبر إذ هو دليل استيلاء النقص على جملة البشر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ويجعلها بفضله في الصّالحات الباقيات، وسبحان من هو كلّ يوم في شأن وله اختصاص العظمة والسّلطان وصلاته وسلامه وتحيّته وإكرامه على رسوله المصطفى وآله وصحبه أولي الصدق والوفاء وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

ملحق عرفاني
ثلاث رسائل للشيخ الأكبر
ابن عربي

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الرسالة الأولى

نفائس العرفان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

هَذَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ مِنْ قَبْلِ أَنْ فَتَقَ وَرَتَقَ
ضَمَّنَهُ عَهْدًا عَلَى مَنْ صَدَقَهُ وَصَدَّقَ وَمِيثَاقًا عَلَى مَنْ حَقَّقَ
وَتَحَقَّقَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴿١﴾ وَوَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿٢﴾ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ﴿٣﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ وَلِكُلِّ
سؤال جواب، و لكل عمل حساب.

و بعد: فيا جامع الأحباب و يا خلاصة جوهر الخطاب المفيد
من فوائده لب الفؤاد في عين الصواب من فضل فيض حضرة
العزیز الوهاب، و يا مخبر خبر كل خبر عين خبره في عين
خبره بالعجب العجاب، هذه حضرة حضيرة حضائر قدسك
الجامع و نور أنوار آلانك الجائل اللامع، و مطلع مطالع طلعة
أطلاع بيانك الطالع و عبد عبودية عبودة موضوعك التواضع،
و بصر تبصرات بصيرة بصرك الخاشع، و سمع مسموعات
استماع سمعك السامع الذي اخترناه لك قبل سبق السوابق،
و الحقناه بك قبل لحق اللواحق، قد أتيناك بك و محققنا عنك آثار
البقية، و نزعنا من صدرك عن الغلول، و بشرنا به بمباشر
أرواح الجبروت و محونا عنه أحكام البشرية، و رفعناه إذ رفعا
عنه بتخليق أخلاق الحق حجاب الأخلاق الخليفة، و جعلناه

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

موضوعا لمحمولك، ولوحا حافظا لأقلام مقولك، وكرسيا
واسعا إلى مفترقات مجموعك.

و قد جربنا قدرتك في أملاك أفلاكه الدائرة، واطلعنا في أفاق
سمواته مصابيح كواكب أنوار الظاهرة، و بسطنا بساط بسيطة
قرة لأعينك الناظرة، فهو أحن إليك من بنانك، ففي حلالة
مראה قلبه انجلي تجلي جمالك و جلالك و على أعلا معالي
همم اهتمامه بإلهامك هذا بصرك الناظر، وإنسان عين وجودك
الحار، وقال العالم يستدل على إثبات وجود غيره، و العارف
يكشف عن شهود شاهد عينه.

و قال: الحائر من تعلق علمه بما يغير موصوفه، و العالم من
تعرف إليه بمعروفه و المتحقق من كان معروفة عين عارفه،
وقال: أكرم الكرماء من أثابك على تقربه بما لا يقدر عليه غيره
فيقترب اليك بنفسه، سبيل السلامة و صراط الاستقامة القيام في
كل حال بالله و السماع في كل نطق من الله، و الأخذ في كل
نطق من الله، و الأخذ في كل عطاء بيد الله، وقال من تحقق
بوحداية الله تعالى حفظ أوساد باسمه الذي لا يضر مع اسمه
شيء في الأرض و لا في السماء و هو السميع العليم، و من
استعاذ بالله حق استعاذته قلب له عين الشيطان الرجيم
باكسيرته بسم الله الرحمن الرحيم. قال: و إذا بدأ كل الموجود
بأسره قدس الكليم و حضره، وقال: المتكلم العارف من استبدل
بمعرفة نفسه على معرفة الله تعالى، ثم استدل بالله سبحانه
و تعالى على معرفة نفسه، و بمعرفة نفسه على معرفة كل
شيء: ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أنه الحق؛ وقال: العالم يتحقق بالحق من وجه الخلق والعارف يتحقق بالخلق من وجه الحق وقال من ليس له استناد ليس له مولى، ومن ليس له مولى فالشيطان أولى به، وقال أسهل الطرق إلى الله تعالى أن ترد العلم في كل شيء إلى الله وتسمع في كل خير من الله، ومن رضي بالله تعالى رضي الله تعالى، وقال: صاحبك من استصحبك أحواله وشيخك من نفعك أحواله وأفعاله، وخليك من خاللتك خلاله، وحبيبك من استهلكت ذاته وقال ربك من سرت فيك حقيقته وتجلت بك صورته وانجلت لك صنعته، وقال إذا صحت العبودية بصدق المحبة أفادت العبد صورة معبوده، وقال : خالقك من خلقك بأخلاقه، وربك من استوى عليك بصفات أفعاله، والهك من بطن فيك بصفات ذاته، ورحماتك من وسمك بسمات أسمائه، وأحدك هو الذي لا يفارقك مع عدم المغايرة وقال: العبد مرآة معبوده، والشاهد حضرة مشهوده، والواحد من قام وجود موجوده بعين وجوده.

وقال: الجاهل من جهل نفسه، والفاقد من غاب عن مشاهده شيء من معلوماته، وقال: كل مشتاق مؤمن وكل مشاهد محسن الأول علم علم اليقين، والثاني عين اليقين، وحق اليقين ليس معه شوق ولا شهود وإنما هو تحقيق الوجود بالوجود، وقال من سمع شاهد غائب عن غائب فهو متوهم، ومن أبصر عينا استدل بها على غيب فهو محجوب، ومن سمع ورد فهو عارف متمكن، وقال دليلك من ذلك بك عليك والمريد من تحقق بمراده في عين أستاذه.

وقال: السالك من الله بالله، وقال من تصور مطلوبه في الخارج توهم حصوله عنده، ومن تحقق من داخل استراح من

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عناء السفر فإنّ الحاصل لا ينبغي ، وقال: الوهم هو معرفة الشيء على غير ما هو عليه، وقال: المعبود من توهم أن أستاذه مخبر عن غيره متكلما بسواه.

وقال : من لم يجد شيخه لم يجد قلبه، ومن لم يجد قلبه فقد ربه. وقال: المتكلم من تكلم بلسان قلبه، والناطق من نطق بلسان مريده بعد تجريده.

وقال: المرید الصادق بسرّه ناطق بربه الأستاذ عن عالم الجسم فيخبره الصادق عما شاهد من الحقائق، وقال : المرید الصادق عرش الاستواء الرّحمانى أستاذه.

وقال: شيخك من فرغك منك وملاك منه، وقال أستاذك من أفرغ من كسيرته على نحاس عوالمك: **صِبْغَةَ اللَّهِ** ومن أحسن من الله صبغةً **﴿﴾** وقال: قلب العبد المرید بيت أستاذه وجسمه قبره الذي يدفن فيه، وقال: لولا حجاب الجسم لظهر مكنون الغيب، وقال: الجسم حجاب من لا بصيرة له لأن الأجسام تحجب بالأجسام والبصيرة روحانية لا تحجب بكثافة الجسم، وقال لم يبق بين بقاء بشرية العارف وبين تروحن الأرواح الإلهية وبين فنائها بالكلية في الله تعالى إلا حجاب الوقت، وقال: العالم يحجبه كل شيء عن الله والعارف من عرف الله سبحانه وتعالى في كل شيء وبكل شيء فلا يحجبه شيء.

وقال سيدي من بعض مناجاته: إلهي أنت القائم بذاتك المتجلي بصفاتك الظاهر بأفعالك، الباطن بما لا يعلمه إلا أنت إلى آخر الورد وهو ورد الشيخ قدس الله سره العزيز.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقال أيضاً: الأعراف سور بين الجنة والنار، لا من هذه لأنها مؤوين الخل والأعراف مظاهر تجليات الملك الحق، وقال: البقاء المطلق نتيجة الفناء المحقق، وحقيقة الفناء عدم الوجود، ورفع حكم الغير وسلب قوة التمييز، وقال الوحدة لا تقبل الكثرة والكثرة وجوه تجليات الواحد الذي لا يحكم عليه العدد، ولا يفتقر في قبول تجلياته إلى الغير، وقال: الصلاة من العبد شرط الحضور، والمراقبة تفيد صورة روحانية نورانية لرقية البشرية عن عالم الفرق إلى عالم حضرة الجمع فإذا حضرت ذلك الحضور وتلاشت في ذلك النور خلع عليه خلعة ربانية رحمانية فردانية ذاتية، وهي صلاة الله على عبده المخصوص فإذا أنذر بجمالها و تقلد بجلالها و توجه بتاج كمالها وبرز في ملكوت الذكر الحكيم بالكلام القديم، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعدوا له ساجدين.

فإذا كان يوم انكشاف الساق وظهور يوم التلاق واندرجت الصلاة في الصلاة واضمحت الصفات في الصفات وتجلت حقائق أم القرآن تلى لسان الأحذية: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقال: أيام الله مظاهر شمس تجليات الربانية ومشارك أنوار معارفه الإلهية، فإن اليوم عبارة عن طلوع الشمس إلى غروبها والمراد به النور بدلا من ظلمة الليل، فيه تبصر الأبصار إلى غروبها وتهدى إلى المنافع وما يكون من المصالح و بنو آدم هم مظاهر العقول النورانية والإدراكات العرفانية بها يهتدي الأفكار إلى حضرة الوقائير الإلهي وتبصر البصائر تجلى جمال البهاء الرباني.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ولما كانت الأيام سبع، ضرب مثلا من السبع المثاني هم مظاهر تجليات صفات الذات وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، ثم القرآن العظيم وهو تجلي اسم الذات مسمى له الأسماء، وموصوف الصفات، ثم نزلت الثمانية الحملة العرشية وأبديت فتنزلت إلى السبع الأمرية السموية وأوحى في كل سماء أمرها، ثم انبثت فتنزلت في آدم: ﴿المك يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ هو إليه تنتهي الزيادة في حضائر القدس الناطق القدسية وهو المرني بالأنظار في المشاهد المرضية والحجب الأقدسية وإنما يتجلى لكل أمة في أمامها، ولكل فرقة في غلامها، وهم السبعون الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب الذين وجوههم كالبدور والأقمار، وكشموس النهار وكما قال لهم حين سألوه هل تضامون في رية القمر ليلة التم أتضامون في رؤية وقت الظهيرة قالوا لا يا رسول الله قال هكذا ترونه: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ وهم السبعون ألف لوجه انتظام في السبع نهاية الإقدام الإيماني.

ومع كل واحد من السبعين عشرة آلاف ، وهي نهاية العدد وهم من انتظم معهم في القرآن الكريم، وهذا اليوم هو اليوم المقدر بخمسين ألف سنة، والمنجلي فيه برويته العظيمة، ويقام الحكم بتخصيص للكلمة ذو المعارج في بسم الله الرحمن الرحيم قد جللنا بجلال جمال كمال الجلالة وأقمناه في مقام القيومية، فاستقام على صراط الاستقامة استوى على سواء سبيل التعديل والعدالة كتب في توقيع ولايته بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فمنه القطب والإمام والغوث والفرد والخليفة والمحقق، ومن دونهم يعدون جملة أعدادهم ويمدون بسرائر إمدادهم فيأدجج الهو والجلالة وبالألا الأملاك الإله: **أخذها بقوة و أمر قومك يأخذوا بأحسنها** والله ولي التوفيق. وقال وقد شكى إليه الخوف الوهمي فقال: أتخاف والله تعالى معك قلت: مالي عادة بالنوم على قارعة الطريق فقال لي نعم ثم واحمد الله الذي حملك على ظهر اللطف وأدخلك على سعة الرحمة، وأجسك على بساط الأنس وقال: لم تزل هي تظهر دورا بعد دور، وكورا بعد كور فيمن يعلم ولا يعلم، وفيمن ينطق ومن لا يتكلم كما جرت السنة من تقاسيم النور من إبراهيم الخليل إلى إسحاق وإسماعيل، ثم تفرغت في الإسرانيلية إلى النبوية والولاية الخضرية وبقية السريرة الإسماعيلية تظهر في البهم وتندرج في الأعماق الحمق العمى حتى أطلع الله تعالى بشمسها من مطلعها وجلى طلعتها عن خمارها وبرقعها والله ولي التوفيق والتحقيق. وقال كل من يصدق عليه الوجود يصدق عليه العدم وليس النظام القديم بمنخرم، ومن علم ما جهل ما علم ومدد الواحد من جميع جهاته ولا ينحصر ولا ينحسم لسانه القادر ناطق بجوامع الكلم الأول بسوابقه الآخر بلواحقه، الظاهر بجلاله الباطن بجماله. وقال: الكلام بوحده لا يقال عنها بلسان الكثرة الموصوفة وذاته لا يشار إليها بعبارة العلوم المحيطة فهي لا مجهولة ولا معروفة ومراتب تجليات لا تنكر، مع أنها في كثرة لا تنهى وقيومية حياته لا تجهل مع أنه لا يعرفها سواء حطت مستقيم لا يميل ولا ينحرف ومدة مداد نقطتها لا تتغير ولا تختلف ودورات أدواره تسير ولا تقف، وتستمر ولا تتعرف، فسبحان من لا تدرکه الأبصار مع أنه

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مرئي بها في الدار الآخرة كرويته ضياء الشمس النهار وكل شيء عنده بمقدار.

وقال: إذا رأيت الواحد من جميع جهاته جاءك بصورة غيرك فاستر أهديتك بمرتبة من مراتب الفرق وإياك أن يراك بعين من عيون سواه، واحذر فإن فيه عيون محرقة فإن ذلك لواقع ما له من دافع، وقال إذا رأيت اله سبحانه وتعالى ورأيت معه غيره فاستره عنه بحجاب الغيرة وإياك ورؤية البريا، فإنه الناظر إليك في كل صورة وعين والمطلع عليك من كل وجه، وإنما الخوف من الحق إذا أتى بالفرق في الخلق.

وقال الكائن في العما ما خرج عنه إلا في حق البصير، والكائن في عما الخلق هو الحق والبصير بنور الله تعالى هو الذي عرف الله بالله، فهو في حقه بالصمدانية التي لا ظهر لها ولا باطن ولا قرب ولا بعد، فأعوذ بالله من ظلمات وعماوة الأعمار، وقال خف الله تعالى إذا أبصرته فوق حجاب العز في بساط الحكم وجرّد سيوف الإبعاد من قراب الحق وبرز عرش العظمة فإن شئت السلامة متدرع بدروع الطاعة والموافقة، وانظر إلى الواحد بعين المعرفة، لا يحل في شيء سواه فإن الأشياء موجودة معه في المجاز معدومة بالحقيقة، وقال كتب الله على نفسه أن لا يدخل قلبا فيه سواه ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآة، وقال من نسي الله ونسيان الله لعبده هو أن يتجلى لعبده أبدا من وجه الغير في حجاب الغابر ونسيان العبد لربه هو عما بصيرته عن رؤية عين من عيون الله.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقال: معصية القلب رؤية الغير مطلقا لأنه هو الكنز الخفي ومعصيته العقل معارضة الحق بالحجج الداحضة، ومعصيته النفس خرق حجاب الحكمة.

وقال: إذا جاءك الواحد في صورة المنعم وقال لك عرفني من أنت. فدلّه عليه من الوجد الذي جاءك به وعنه فإن أفرّك على ذلك وقرّ لك به فدلّه عليك من الوجه الذي أنت به عنده به، فإن ثبت بذلك فاستعن به علمه وقل أنت المعروف الذي لا يجله سواء فتكون أنت المتعرف لك بك حتى يكون ذلك سببا لسلب عارضه البقية عن حضرة بقاء وحدانيتك.

وقال الأحد الفرد أنا الأول بالرحمن والآخر بالإنسان الظاهر بالخلق الباطن بالحق، فمن عرفني كذلك حشرت أخباره في أولى وأعدت ظاهره في باطني حتى يصير أزليا لا آخر لأوله وصمدانيا لا ظاهرا لباطنه، وقال: النفوس محجوبة بعالم الأجسام وتدبير المخيلات والأوهام والعقول هي الأرواح المتوجة إلى المعارف الإلهية المصطلمة بأنوار التجليات الربانية، وهي القلوب الرحمانية المؤثرة بالتخصيص لا بالتخصيص بناء مثنات من فوق ونون وص مهملة وياء مثنأ تحت لأنها لا يخلصها الكتب، ولا يعدها النظر الصحيح.

وقال: لا يرى وجه الحق من قيده الجهة ولا يفارق الجهة إلا من تغذ من أقطار السموات والأرض، ولا ينفذ من حكمت عليه بقية جثمانية لأن جسم الإنسان هو سجنه وسنته فإذا فارقه فارق السجن والسنة، قال: جسم و جثماني في حصر

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والمسافة وكل روح وروحاني في إطلاق الجهة والتجريد والمفارقة، وكل إلهي ورباني في وسع عظمته⁽¹⁾ ووحدانيته، ليس كمثله شيء.

وقال الأجسام جواهر مؤتلفة متغايرة لا شيء أجل منها تتركب في الكل بالكل والتحليل بعقدها والمتعلق من الجواهر المفارقة قاصر على أحكامها مقيد من وجه تدبيرها وإن انحصرت أنواعه في أشخاصه فإن فارقها بالعرفان الإلهي والتخلق الربّاني فارق الكون والامكان ووجبت له شروط المملكة وقدّر على إخراج ما في قوته الفعل والله بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير.

وقال: المرتبة⁽²⁾ برينة من الأجسام وأحكام الأجسام ونتائج الأجسام لأنها متغيرة لا تقتضي الدوام، وكل متغير حادث فمن فارق الأجسام فارق الحدوث ومن فارق الحدوث استحق نقيضه، ومن استولت على فطرته النفوس المحجوبة بالأجسام أوهنت قوى استعدادها عن قبول مفهوم هذا الكلام، فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

وقال: ليس على الله حكم ولا خروج شيء عن حكمه، فمن فنى في الله استحال وقوع الحكم، ومن كان بنفسه وجب وقوع الحكم عليه، فالأحرار في الله تعالى متفاوتون كل حرية بحسب ما فنى فيه وبقي من نفسه وقال الولاية لها ظاهر

(1) وتنزيهه
(2) الإلهية

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وباطن، ظاهرها توفيق العبد لأن يتولى الله تعالى بامتلاك أمره ونهيه وإتباع مرضاته والنبوة فوق ذلك بما خصص الله تعالى به الأنبياء والرسالة أعلى من ذلك كله وقال الإنسان هو بيت الله تعالى المعمور بذكر وبارواح حضائر قدسه وضع أساسه على سوابق أزليته ورفع قواعده على دعائم لواحق أبديته وشيد بنيانه في حضائر جبروتيته، ووضع فيه من الألاهوتيته وأودع فيه من خصائص ملكوته، وجمع فيه مفترقات المخترعات الموضوعات وحقائق الأسماء والصفات جعله نسخة أحاطته تأثير قدرته، ولذلك خلق آدم على صورته فإن غمره بأنوار تجلياته وأسرار أسمانه وصفاته سجد له الساجدون وسبح له المسبحون، والسر في السكان لا في المنزل وإن خلا من أنوار تجليات الحق تحكمت فيه أنواع أجناس الخلق وكل يطلبه أن يكون فيه ديار أو يكون دار قرار وتمكن استقر، ومن عز حكم ومن غلب ألقى إليه السلم: ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ ﴾ فمتى استدرجه الرحمن عن الإنسان صار عبد الأكوان: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾.

وقال: أوجد الله تعالى قلب الإنسان بالتوحيد والجمع وأوجد الإدراك البشري للفرق والتمييز، فإذا استولى الإدراك البشري على القلب فرقه عن مقام جمعه ونقله الله تعالى إلى مقام الحس بعد الموت وغمره في بحر الفرق ووحشته، وإن غلب حكم القلب على الإدراك البشري رقيه الله تعالى إليه بعد الموت وجمعه في حضرة: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ومن جعل الهموم هما واحداً جمع الله تعالى

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

همه وجعل غناه في قلبه، ومن تفرقت عليه الهموم لا يبالي الله تعالى بأبي واد من أودية جهنم يلقيه ليهلك.

وقال اجلس مع الله تعالى على بساط التوحيد، وتأدب بأداب العبيد، وانظر إليه بعين التفريد، وخاطبه بلسانه فإن أمرك بالرجوع لعالم الفرق وكلفك هداية الخلق فقل: رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا.

وقال القطب معلوم بالغيب مجهول بالعين، معروف عند الحق بالحق، مجهول ومنكر عند الخلق بالخلق يؤتي بكل صورة بحقها في صورة جمعها وفرقها، حتى إذا جاءهم في غير الصورة التي يعرفونه فيها آمنوا به وأقروا له.

وقال القطب اسم بدل من اسم الله وهو المهيمن على جميع الأسماء كذلك القطب اسم مهيمن على أسماء النزول كما أن الله تعالى تسعة وتسعين إسماً كذلك القطب له تسعة وتسعين إسماً كل اسم يحتوي على اسم من أسماء الله تعالى فهو عين عينه وظاهر باطنه، ووجه ذاته ومجلى تجلى أسمائه وصفاته، فمن عرفه عرف حضرة الله تعالى، فمن ينكر عليه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال: الإحاطات تنقسم إلى أربعة أقسام حقيقة وحق ووهم وخيال فالعقول الإلهية في نظام سلك الحقيقة والأنفس

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الجبروتية منظمة في سلك الحق والعقول والملكويتية الخفية منتظمة في سلك الخيال.

وقال ينقسم العالم إلى قسمين: عالم الأرواح، وعالم الأجسام، ثم تنقسم إلى أربعة فروع: إلى أرواح نبوية، وأرواح ملكية، وأرواح جانية، وأرواح آدمية. فالعقل الأول أبو الأرواح النبوية كما أن آدم أبو الأرواح البشرية كذلك جبريل أبو الأرواح الملكية، كما أن إبليس أبو الأرواح الجانية وقال: الخواطر هي الأرواح المجردة عن الأجسام، وكل خاطر له حكم وعلم ونعت ومقصد ومنها الإلهيات، ومنها الربانيات، ومنها النبويات ومنها الملكيات ومنها الجانيات ومنها الشيطانيات ولكل منها ورود مختلف قد ترد نفسانية وقد ترد جنية، ومن هذا يطلع على الدراز الكونية والملكويتية والجبروتية: **﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾**.

وقال الحضرات الإلهية ثلاثة: حضرة الأفعال وهي شهود الأرواح الروحانية النورانية بالحروف الظلمانية، وحضرة الذات وهي شهود جمع الجمع ورفع حكم الغي في العطا والمنع، وحضرة الصفات، وهي مجلى تجلى الهويته بالتأثيرات الأسمانية.

وقال: الاحدية نعت للذات الإلهية المطلعة وهي التي لا تقبل التنويه مطلقا بشيء من الوجود كان الله ولا شيء معه وهو الآن كما كان عليه كان، والوحدانية أصل الكثرة والتجلي ومنشأ الوجود مطلقا والفردانية هي تميز الواحد الأول الصمد

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

هو الذي لا من شيء ولا في شيء ولا عن شيء ولا إلى شيء ولا على شيء : ﴿ قل هو الله احد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ﴾ وقال : لكل من تحقق بدائرة من دوائر أسماء الله الحسنى كان قطبا في دوائر العلى، وما تحقق بدائرة الاسم الجامع المحيط كان هو القطب الفرد الجامع للخصوص بالميزان الإلهي والوارث المحمدي، والتجلي الرحماني، والاستواء الرباني .

وقال : القطب هو المعجوز عنه بالإدراك البشري، والفرد بالاطلاع في مراتب القطب على شهود من لا تدركه الأبصار، الغوث هو قابل تنزلات الافاضلة القبطانية، والغوث الجامع بالإمداد الخلق والأمر من حضرة الحق والسر والخليفة بذل الغوث من مقام الفرق الإمام بدل الفرد من مقام الجمع، والمحقق هو رابط الجميع في غير جمع الجمع : ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد، سيد الكائنات، علوها وسفلها، وعلى اله وصحبه ولكل المسلمين، والحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا مدرارا .

غ. عمر النور

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الرسالة الثانية

كتاب الكنه

فيما لابد للمريد منه

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأكبر، والنور الأبهى، والكبريت الأحمر،
محي الدين أبو عبد الله محمد بن العربي الحاتمي الطائي
الأندلسي رضي الله عنه آمين.

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه أجمعين سألت أيها المرید عن كنهه (1) ما لا بد للمرید
منه، فأجبتك في هذه الأوراق والله الموفق لا رب غيره.
أعلم أيها المرید وفقك الله وإيانا لطاعته، واستعملنا وإياك
بما يرضيه، إن القرب من الله لا يُعْلَمُ إلا بتعريفه إيانا بذلك،
وقد فعل ذلك والله الحمد والشكر، فأرسل الرسل وأنزل الكتب،
وأوضح السبل الموصلة إلى السعادة الأبدية، فأما وصدقنا،
وما بقي إلا استعمال فيما وقع به الإيمان من الأعمال، وتقرر
في نفوس المؤمنين من وضع الشرع في محله، ثم يجب عليك
أيها المرید توحيد خالقك، وتنزيهه وما يجوز عليه سبحانه
وتعالى، فأما توحيدة فلو ثم إله ثاني مع الله لامتنع وقوع الفعل
من الإلهيين، لاختلاف الإرادات وجودا وتقديرا وفسد النظام
وذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ولا تسل
يا أخي بمن أشرك، وتحتاج إلى إقامة دليل على الوجدانية
والأحدية، فإن المشرك قد أثبت وجود الحق تعالى معك وزاد

(1) كنه: كنه الشيء أي نهايته (يقال عرفه منه المعرفة و قولهم لا بكنته الوصف أي لا يبلغ كنهه كلام مولد) مختار الصحاح .

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والأحدية، فإن المشرك قد أثبت وجود الحق تعالى معك وزاد عليك بالشرىك فعليه الدليل على مازاد، ويكفيك هذا في التوحيد، فإن الوقت عزيز والعقدُ سالم، والمخالف لا عين له موجودة والحمد لله.

وأما تنزيهه فهو أكد عليك من أجل المشبهة والمجسمة الظاهرين في هذا الزمان فاعقد على قوله: ﴿ليس كمثل شيء﴾ وحسبك هذا، فكل وصف يناقض هذه الآية مردود، ولا تزد ولا تبرح من هذا الموطن ولذلك جاء في السنة كان الله ولا شيء معه: "تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً" وكل آية وحديث يوهم التشبيه مما يعطيه كلام العرب، أو كلام من أنزل عليه بشيء من الوحي والتبليغ، فيجب عليك الإيمان به على حد ما يعلمه الله تعالى وما أنزله لا على ما يتوهمه، واصرف علة ذلك إلى الله، وما ليس بعد كمثل شيء، وما ينزّه منزّه إذا وقد نزّه نفسه بنفسه وهو أنزّه ما ينبغي له.

ثم بعد ذلك أيها المرید يجب عليك الإيمان بالرسول صلوات الله عليهم، وبما جاءوا به، وما خبروا عنه أنه عز وجل أعظم وأجل مما علمت وجهلت، ثم حبُّ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ولا سبيل بتجريحهم البتة، ولا الطعن فيهم، ولا تفضيل أحدٍ منهم على الآخر، إلا بما فضله ربه في كتابه العزيز، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ويجب عليك تعظيم من عظم الله تعالى ورسوله ثم التسليم لأهل هذه الطريق فيما يحكى

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عنهم من حكايات، وكلما ترى منهم مما لا يسع العقل ولا العلم وحسن الظن بالناس أجمعين، وسلامة الصدر والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب وخدمة الفقراء بروية الفضل لهم في ذلك حيث ارتضوك خديما لهم وحمل كلفهم وأذاهم وجفاهم والصبر على أذاهم، ومما لا بد منه الصمت إلا عن ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن الكريم، وإرشاد الضال والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح بين المتهاجرين، والتحريض على الصدقة بل على كل خير.

ومما لا بد منه طلب شخص موافق يعينك على ما أنت بصدده وسبيله فإن المؤمن كثير بأخيه، وإياك وصحبة الضد.

ومما لا بد منه شيخ مرشد، والصدق شعار المرید لأنه إذا صدق مع الله تعالى جعل كل شيطان في حقه ملكا يرشده إلى الخير، ويلهمه للخير، فإن الصدق هو الأكسير الأعظم ما وضع على شيء إلا قلب عينه، ومما لا بد منه البحث عن هذه اللقمة، فأساس هذا الطريق اللقمة الحلال، عليها قام عماد هذا الطريق ولا تقل (1) على أحد ولا تقبل من أحد، واحترف وتورع في كسبك ونطقك ونظرك وسمعك وفي جميع حركاتك، ولا توسع في ثوب ولا في مسكن، ولا في مأكّل، فإن الحلال لا يحتمل السرف، واعلم أن النفوس إذا زرع الإنسان الشهوة بها عسير قلعها بعد ذلك، ليس سعة هذا كله لا بد منه وما لا بد منه قلة الطعام، فإن الجوع يورث النشاط في الطاعة ويذهب الكسل و عليك بتعمير الأوقات في الليل والنهار.

(1) تنقل

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فأما الساعات التي دعاك الشرع إليها إلى الوقوف بين يدي ربك وهي الخمسة أوقات الواجبة عليك، وباقى ما بينهما من الأوقات، فإن كنت صاحب حرفة فاجتهد أن تعمل فيها أياما مثل البنى بن هارون الرشيد رحمة الله تعالى عليه، ولا تفارق مصلاك بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ومن بعد صلاة العصر إلى غروبها بذكر وخشوع وخضوع، ولا يفوتك الوقوف مصليا من الظهر إلى العصر، ومن المغرب إلى العشاء الأخيرة بعشرين ركعة، وحافظ على أربع ركعات أول النهار وقبل الظهر وقبل العصر، واجعل وترك ثلاثة عشر ركعة ولا تتم إلا عن غلبة، ولا تأكل إلا عن قافة، ولا تلبس إلا عن وقاية من حر أو برد بغية ستر العورة ودفع الأذى القاطع عن عبادة ربك وإن كنت ممن يعرف يكتب فاجعل على نفسك وردا من القرآن في المصحف تمسكه في حجرك⁽¹⁾ وتلقى يدك اليسرى تحت المصحف وتمشى بيدك اليمنى على حروفه وأنت تنظر وترفع صوتك بحيث تسمع نفسك وترتل القرآن، وتسال في السورة التي توجب السؤال فيها، وتعتبر في الآية الاعتبار، وتعامل في كل آية بما يليق بها وما تدل عليه من تلك الصفات، فانظر ما عندك منها، وما فقدت من ذلك فاشكره على ما عندك وما فاتك حصله، وإذا قرأت وصف المنافقين والكافرين فانظر هل فيك من تلك الصفات شيء أم لا .

ومما لا بد منه محاسبتك نفسك، ومراعاة خواطرك في الأوقات، ثم اشعر الحياء من قلبك من الله تعالى، فإنك إذا

⁽¹⁾ إذا كان المراد (الأوده) فتكون حجرتك

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

استحييت من الله منعت قلبك أن يخطر فيه خاطر يذمه الشرع أو تتحرك بحركة لا يرتضيها الحق، ولقد كان لنا شيخ يقيد حركاته في صحيفة ثم إذا جنه الليل وضعها بين يديه، ثم حاسب نفسه على ما فيها وزدت على شيخي بتقييدي خواطري. ومما لا بد منه مراعاة الخواطر والأوقات بأن تنظر في الوقت الذي أنت فيه وتنظر فيما قال لك الشرع أن تعمل فتعمل، فإن كنت في وقت فرض فأده أو ندب فبادر إليه، وإن كنت في وقت مباح فاشغل نفسك بما ندبك الحق إليه من الخير على أنواعه، وإذا شرعت في مشروع يعطي قرابة لا تحدث نفسك أن تعيش بعده إلى عمر آخر، فاجعل ذلك آخر عمل من الدنيا الذي تلقى به ربك، فإذا فعلت هذا خلصت ومع الخلاص يكون القبول.

ومما لا بد منه الجلوس على طهارة دائما، ومتى أحدثت توضأت، ومتى توضأت صلي ركعتين، إلا أن يكون وقت كراهة نهيت عن إيقاع الصلاة فيه، وهي ثلاثة أوقات عند طلوع الشمس إلى وقت استوائها إلا يوم الجمعة وبعد العصر إلى غروبها.

ومما لا بد منه البحث عن مكارم الأخلاق وإتيانها تعين منها خلقا كذلك سوء الأخلاق اجتنبها كلها، واعلم أن من ترك خلقا كريما فإنه ذوا خلق ذميم يعني تركه، واعلم أن الأخلاق على أصنافها كما هم الخلق على أقسام فينبغي أن تعرف أي خلق تستعمله و الذي يعم أكثر الأصناف إيصال الراحة إليهم ودفع الأذى عنهم، لكن في رضاء الله تعالى.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

واعلم أن الخلق عبيد مسخرون مجبرون في حركاتهم ونواصيهم بيد محرّكهم، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أراحنا في هذا المقام قال: " بُعثت لأتم مكارم الأخلاق"، فكل موضع قال لك الشرع فيه إن شئت أن تتصرف، وإن شئت تركت، اختر التّرك أو قال لك إن شئت جازيت، وإن شئت عفوت، فاجنح إلى العفو والصفح وأجرِك على الله تعالى، وإياك أن تقتص لنفسك ممن أساء إليك فإن الله عز وجل سماها سيئة بالجملة، وإن كانت مما يسوء المقتص منه وكل موضع قال لك الشرع اغضب فإن لم تغضب فما هو خلق حميد لأن الغضب لله تعالى من مكارم الأخلاق مع الله تعالى، وطوبى لمن عامله وصحبه فسمع الله تعالى يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾.

ومما لا بد منه مجانية الأضداد ومن ليس من جنسك من غير أن تعتقد فيهم السوء أو يخطر ذلك في خاطر ولكن نية صحبة الحق تعالى وأهله، وإيثاره عليهم كذلك فعامل هذه الحيوانات بالشفقة عليهم والرحمة بهم لأنهم ممن سخرهم الله سبحانه لك فلا تحملهم فوق طاقتهم ولا تركب ما تركب منه بطراً وباشر كذلك ملك اليمن من الرقيق لأنهم إخوانك قد ملكك الله نواصيهم ليرى كيف تتصرف فيهم، فأنت عبداً له سبحانه وتعالى فما تحب أن يفعله معك كذلك بعينه افعل مع غلمانك وجواريك فإن الله تعالى يجازيك، وما تحب أن يصرفه عنك من القبيح والسوء ذلك بعينه افعله معهم فالكل عيال الله تعالى وأنت من جملة العيال فإن كان لك ولد فعلمه القرآن، لا لغرض من أغراض الدنيا وألزمه محافظة آداب الشريعة والأخلاق الدينية واحمله على الرفق والزهد من صغره كي

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يعتادها ولا تزرع الشهوات في قلبه وبغض إليه زينة الحياة الدنيا، وما يؤل إليها صاحبها من نقص الحظ في الآخرة وما يؤل إليه تاركها من جزيل العطا في الآخرة ، ولا تعمل ذلك شحا على درهمك ومالك.

ومما لا بد منه أن لا تقترب من أبواب السلطان، ولا تصاحب المتنافسين في الدنيا فإنهم يأخذون بقلبك عن الله تعالى فإن اضطرك أمر إلى صحبتهم فعاملهم بالنصيحة ولا تغشم فإنك تعامل الحق سبحانه وتعالى، ومهما فعلت سُخروا لك في عموم أحوالك فوجه إلى الله تعالى في تخليصك مما أنت فيه بما هو أحسن لك في دينك ومما لا بد منه الحضور مع الله تعالى في جميع حركاتك وسكناتك، وأوصيك بالإنفاق في السراء والضراء والشدة والرخاء، فإن ذلك دليل على ثقة القلب بما عند الله تعالى فإن البخيل جبان يأتيه الشيطان فيمد أمله، ويطيل عمره ويقول له: إن أنفقت مالك هلكت وبقيت مثلة بين أقرانك وأصحابك بلا شيء فأمسك عليك، واستعد إلى نوائب الزمان ولا تغتر بهذا الرخاء الذي أنت فيه فما تدري ما يحدث الله في العام القابل، وإن كانت أوقات شدة وعسراء فيقول لك أمسك عليك أحدا شيء، فإنك لا تدري متى تنقضي هذه الشدة ولعل هذا الأمر لا يزداد إلا صعوبة وأحفظ على نفسك فما أحد ينفعك إذا لم يبق معك شيء، وتتأخر وتثقل على الخلق وتذهب ماء وجهك فإذا استمرت هذه الوسوسة على قلب هذا المسكين أدته إلى الشح والبخل وحالت بينه وبين قوله تعالى: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه﴾.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وعندنا في هذا الطريق إذا التحق رجل بأهل الله تعالى ثم بخل فإنه يستبدل مكانه وينزل عن ذلك المقام من قوله تعالى: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) وحال بينه وبين قوله تعالى:

(ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) فضيعوا فقراءهم فماتوا جوعاً، وحالت بينه وبين حال النبي صلى الله عليه وسلم: " أنفق يا بلال و لا تخشى من ذي العرش إقلالا" وبينه وبين قوله: " إن لله ملكين في كل يوم ينادي عند الصباح: اللهم إعط كل منفق خلفاً، واعط كل ممسك تلقاً " وحالت بينه وبين حال النبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الكنزتين فاخترت تركهما على إحداهما وبين حال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بجميع ماله، فقال له النبي (ص) ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر، قال الله ورسوله". وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله فقال: " ما أبقيت لأهلك، قال النصف وتصدقّت بالنصف، قال ما بينكما كما بين كلمتكما" فالإنفاق سبب لاستجلاب الرزق من البرازق في الدنيا والآخرة.

فكل من أمسك فهو الله تعالى متهم وعلى درهمه معتمد وكانت ثقته بدرهمه أعظم من ثقته بربه، وهذا طعن بإيمانه، ونسأل الله تعالى العافية عليك بالإنفاق في الشدة، ولا تخف الفقر فليس الرجل غلاماً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بماله هكذا وهكذا يمينا وشمالا والله تعالى موف لك ما وعدك شئت أم أبيت أشاء العالم أم أبي، فما هلك سخي قط، ولولا قصدي الاختصار لسقنا من الأخبار ما يتند به ما ذكرنا.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

(فصل) وعليك بكظم الغيظ فإنه دليل على سعة الصدر، فإنك إذا كظمت غيظك أريت الرحمن وأسخطت، الشيطان وقمعت نفسك وردعتها حيث لم تنتصر لها، وأدخلت السرور على قلب من كظمت غيظك عنه ولم تجاز به فعله، وكان ذلك سببا في رجوعه إلى الحق و إنصافه وإقراره بالجفا عليك والتعدي، وربما كان ندم على ما وقع منه.

فعليك بمواقع القبول فتخلق بذلك، ثم الفائدة الكبرى والفضيلة العظمى أنك كظمت عن من فعل ذلك الغضب جازاك الله تعالى على فعلك فأى فائدة أتم من عفوك عن أخيك وتحمل أذاه، وكظم غيظك، وما أراد الحق أن تفعله مع عد فقد أراد أن يفعله معك بعينه، فاجتهد في هذه الصفات فإنها تورث المودة في قلب الناس فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالتودد والتحابب، وهذا من أعلى أسباب تؤدي إلى المحبة.

(فصل) وعليك بالإحسان فهو دليل على الحياء له تعالى وعلى تعظيم الله تعالى في قلب المحسن.

قال جبريل ما الإحسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال عليه السلام: " إن الحياء من الإيمان، والحياء خير كله، فمن المحال أن يكون عند المؤمن شر انتهى.

(فصل) وعليك بلزوم الذكر و الاستغفار إن كان عقيب ذنب محاه وأزاله، وإن كان عقيب طاعة وإحسان فنور على نور،

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وسرور على سرور، فإن الذكر أجمع اللهم وأصفي للخاطر، فإن سئمت فانتقل إلى تلاوة كتاب الله مرتلا بتدبير وتفكر وتعظيم وتنزيه وسؤال عند آية السؤال وخوف وتضرع عند آية خوف ووعيد واعتبار. فإن القرآن لا يسأم قارنه لاختلاف المعاني فيه.

(فصل) وعليك بحل عقد الإصرار من قلبك، ولا تطيق ذلك إلا أن تقول لنفسك في النفس الخارج، هل تدريين يا نفس أن النفس الآخر يأتيك أم لا فلعل والله تعالى أعلم، ربما تموتين في هذا النفس فإنه آخر أنفاسك في الدنيا، وأنت مصرة على السوء عند الله تعالى للمصرين على الذنوب من العذاب ما لا تطيقه الجبال الشوامخ كيف بضعيفة مثلك، فتوبي إلى الله تعالى فإنك لا تدريين متى يفاجئك الموت فإن الله تعالى يقول: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات، حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾.

وقال سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"، وكم من شخص فجأه الموت وهو يأكل ويشرب وينكح وهو نائم، تخرج روحه فلا يستيقظ، وعظ نفسك بمثل هذا، فإنه متى كان منك مثل هذا وكثرت انحلت عقد الإصرار.

(فصل) وعليك بتقوى الله في السر و العلانية، ومعنى التقوى وهو الحذر من عقابه فإنه من خاف من عقابه بادر إلى الفعل الذي يرضى الله تعالى والله تعالى يقول: ﴿ويحذرکم الله

التصوّف الإسلامي

من التمرين الرابع

نفسه هو قال: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾
فللتقوى مشتق من الوقاية، فلتق الله من الطريق الموصلة إليه
فإن المعصية طريق موصلة إلى الشقوة، والطاعة طريق
موصلة إلى السعادة.

(فصل) وإياك والاعتذار فهو أن تخذعك نفسك لكرم الله تعالى
وحلمه مع استمرارك على معصيته، ويخدعك إبليس لعنة الله
عليه بأن يقول لك لولا ذنبك ومخالفتك من أين يظهر كرمه
ورحمته وعفوه و مغفرته، وهذا غاية الجهل من قائله فإن
كرمه ورحمته استعين على طاعته، وحال بيني وبين معصيته
ومخالفته، ويقول لك: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ فإن
الرحمة سبقت لهم من الله تعالى في الدنيا والآخرة، فلا يفرك
هذا الكرم، فقل له أما كرمه ورحمته وما ذكرت منه كان
صحيح أنه لولا المخالفة والذنوب لما ظهرت آثار هذه الصفات
على زعمك، والآثار والأخبار فيها صحيحة، لكن يا ملعون
تريد أن تغرني بكرم الله تعالى ومن أين أعلم أنني ممن عفى
عنه أو يغفر له نعم يلحق كرمه ورحمته ومغفرته وعفوه بمن
شاء من عبادته، كما يلحق عقوبته ونقمته بمن شاء من عصاته،
وأنا لا أدري من أي الفريقين أنا عند فعلي هذا، ولعل الله
تعالى كما حرمني التوبة من المعصية هنا يحرمني عفوه قبل
دخولي النار، فينتقم مني، إلا وإن الذنب يزيد الكفر فلو علمت
قطعا أنني ممن يعفى عنه قطعا، ولا يؤخذ بذنب ربما اغتررت
بكلامك، وذلك حُقم مني وجهل، بل كان الواجب أن أبذل
جهدي في طاعة الله شكرا لله تعالى وحياء منه، فإنه أول من
أن أستحي منه كيف وما بشرني على التعيين، ولا أمني بل

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تركتني مهملا في معصيتي بين عفوه وعذابه كيف أغتر بزورك وبزور نفسي الأمانة بالسوء.

(فصل) وعليك بالورع وهو اجتناب جاءك في صدرك قال النبي صلى الله عليه وسلم: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " ولو لم تجد غيره وأنت محتاج إليه واتركه الله يعوضك الله خيرا منه، ولا تستعجل فالورع أساس الدين، فإذا استعملته زكت أفعالك، ونجحت أحوالك، و كملت أقوالك، وسارعت إليك الكرامات، وكنت محفوظا في جميع أمورك حفظا إلهيا لا شك فيه الله الله يا أخي الورع الورع.

(فصل) وعليك بالزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها، بل إعدامها من قلبك جملة واحدة، وإن كنت لا بد لها طالبا فاقصر على طلب القوت منها من وجهه فلا تنافس أبناءها فإنها عرض لا يبقى ولا ينال الراغب منها مراده أبدا والله تعالى لا يعطيه إلا ما قسم له، والراغب فيها لا يزال كثير الحزن عليها ممقوتا عند الله تعالى فإن مثل الطالب لها كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وحسبك من تشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالجيفة المذبلة، وهل يجتمع على الجيفة والمذبلة إلا الكلاب.

قال تعالى في حديث قدسي: "يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك، وجاءك رزقك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك، أتعبت قلبك وبدنك حتى تركض وراءها ركض الوحش في البرية ثم وعزتي وجلالي لا ينالك منها إلا

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ما قدرت لك وأنت مذموم". وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وهي رجوعهم إلى أموالهم بالنظر فيها ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

تمت بحمد الله وحسن عونه.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الرسالة الثالثة
عنقاء مُغرب
في
ختم الأولياء وشمس المغرب

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
قال سيدنا وإمامنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العارف الكامل
المحقق المدقق، محي الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي
بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي (رضي الله عنه
وأرضاه) وحقق تابعيه بسلوك منهجه القويم انه جواد كريم.

الدعاء المختوم على السر المكتوم

فأبدي سرورا و الفؤاد كظـم	حمدت إلهي و المقام عظمـم
بتبريح قلب حل فيه عظيم	وما عجبي من فرحتي كيف قورنت
عجبت لقلبي و الحقائق هيم	ولكنني من كشف بحر و جوده
على سدف الأجسام ليس يقيم	لذالك الذي أبدا من النور ظاهرا
عجبت لنور القلب كيف يريم	وما عجبي من نور جسمي وإنما
فتور تجليه عليه مقيم	فإن كان عن كشف وشهد رؤية
فهل روي خلق بالـظيم عليم	تفطنت فاستر علة الأمر يا فتى
به عند فصل و الفصل قديم	تعالى و جود الذات عن نيل علمه

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فراق ربي قد أتاني مخبرا
بتعين ختم الأولياء كريم
فقلت و سر البيت صف لي مقامه
فقال حكيمًا بصطفية حكيم
فقلت يراه الختم فاشتد قتالا
إذا ما رآه الختم ليس يروم
فقلت و هل يبقى له الوقت عندما
يراه نعم و الأمر فيه جسيم
وللختم سر لم يزل كل عارف
إليه إذا يسري عليه يحوم
أشار إليه السترمذي بخته
ولم يبده والقلب منه سليم
وما ناله الصديق في وقت كونه
و شمس سما المغرب منه عديم
مذاقا و لكن العقول مشاهد
على كل ما يبديه وهو كتوم
يغار على الأسرار أن تلحق الثرى
وأن تمتطيها الزهر وهي نجوم
فإذا أبدروا وأشمسوا فوق حرشه
وكان لهم عند المقام لزوم
فريما يبذوا عليهم شهودها
فمنهم نجوم للمدى وزحوم
فسبحان من أخفى عن العين ذاته
ونور تجليها عليه عميم
ولكن المنموم لا يدرك السنن
وكيف يرى طيب الحياة سقيم
فأشخاصنا خمس و خمس وخمسة
عليهم ترى أمر الوجود يقوم
و من قال إن الأربعين نهاية
لهم فهو قول يرتضيه كلهم

التصوف الإسلامي

من الرمزيين المعروفين

طريقاً فرد إليه قويم	وإن شئت أخير عن ثمن ولا ترد
وثامنهم عند التجوء نزيه	فبعضهم في الأرض لا يجلونها
على فاء مدلول للكروم يقوم	فحفر فنلخا الزمان وجيهما
عليهم بتدبير الأمور حلیم	مع الصبغة الأعلام والنلس غفل
وصاحبها بالمؤمنين رحيم	وفي الروضة الخضرا اسم عداته
إذا فاح زهرا ويهب نميم	ويختص بالتدبير من دون غيره
كثير الدعوي ويكيد زنيه	تراه إذا نساواه في الأمر جاهل
غيور على الأمر العزيز زعيم	فظاهره الأعراض عنه وقلبه
إلى ساعة الأخرى وحل صريم	إذا ما بقي من يومه نصف ساعة
ويحي نبات الأرض وهو هشيم	فبهتز غصن العدل بعد سكونه
وشخص إما المؤمنين رميم	ويظهر عدل الله شرقاً ومغرباً
به لم أزل في حالتني أهيم	وتم صلاة الحق تتراءى على الذي

أما بعد:

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

حمدا لله الذي تقدّم	والصلاة التي ختم بها الحمد وتمم
تدبر أيها الحبر اللبيب	أمورا قالها الفطن المصيب
وحقق ما رمي لك من معان	حواها لفظه العذب العجيب
ولا تنظره في الأكوان تشقى	ويتعب جسمك القد الغريب
إذا ما كنت نسختها فمالي	أروم البعد و المغني قريب

تبيين الغرض من هذا الكتاب: كنا ألفنا كتابا

روحانيا، وإنشاء ربانيا، سميانه بالتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تكلمنا فيه على أن الإنسان عالم صغير، مسلوخ من العالم الكبير، فكل ما ظهر في الكون الأكبر، فهو في هذا العين الأصغر ولم أتكلم في تلك الأوراق على مضاهاة الإنسان بالعالم على الإطلاق، ولكن على ما يقابله به من جهة الخلاق والتدبير، وبينت منه ما هو الكاتب والوزير، والقاضي العادل والأمناء والعاملون على الصدقات والسفر والسبب الذي جعل الحرب بين العقل والهوى، ورتبت فيه مقابلة الأعداء، ومتى يكون اللقا ونصرته نصرا موزرا، وكونته أميرا مدبرا، وأنشأت الملك وأقمت ببعض عالمة الحياة، وبيعضهم الملك، وكهل الغرض، وأمن من كان في قلبه مرض، وكنت نويت أن أجعل فيه ما أوضحه تارة وأخفيه ، أين يكون من هذه النسخة الإنسانية والنشأة الروحانية مقام الإمام المهدي المنسوب إلى بيت النبي الماء والطين وأين يكون أيضا منها ختم الأولياء وطابع الأصفياء، وإذا الحاجة إلى معرفة هذين المقامين في

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الإنسان، أكد من كل مضاهات أكوان الحدثنان، لكني خفت من نزعة العدو والشيطان أن يصرح بي في حضرة السلطان فيقول علي ما لا أنويه وأحصل من أجله في بيت التشويه فسترت الشة بالعززان، صيانة لهذا الجسمان ثم رأيت ما أودع الحق من هذه الأسرار لديه، وتوكلت في إبرازه عليه، فجعلت هذا الكتاب لمعرفة هذين المقامين ومتى تكلمت على هذا، فإنما أذكر العالمين لتتبين الأمر للسامع في الكبير الذي يعرفه ويعقله، ثم أضاهيه بسره المودع في الإنسان الذي ينكره ويجعله فليس غرضي في كل ما أصنف في هذا الفن معرفة ما ظهر في الكون وإنما الغرض تنبيه الغافل على ما وجد في هذا العين الإنساني، والشخص الأدمي فحقق نظرك أيها العاقل وتنبيه أيها الغافل هل ينفعني في الآخرة كون السلطان عادلا أو جائرا أو عالما أو حائرا، لا والله يا أخي حتى أنظر ذلك السلطان مني وإلي، واجعل عقلي إماما علي واطلب منه الآداب الشرعية في باطني وظاهري وأبابعه علي إصلاح أولى وأخرى، فمني لم أجعل هذا نظري هلكت، ومتى أعرضت عن الاشتغال بالناس تمكنت من نجاتي وتمكنت إذ وقد قال صلى الله عليه وسلم يخاطب جميع أمته " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" فقد أثبت صلى الله عليه وسلم الإمامة لكل إنسان في نفسه وجعله مطلوبا بالحق في عالم غيبه و حسه فإذا كان الأمر على هذا الحد، ولزمتنا الوفاء بالعهد فما لنا نفرط في سبيل النجاة، ونقتع بأحط الدرجات ما هذا فعل من قال أني عاقل، ويتجنب هذه المعائل فمتى ذكرت في كتابي هذا أو في غيره حادثا من حوادث الأكوان فإنما غرضي أن أثبته في سمع السامع وأقبله بمثله في الإنسان فتصدق النظر فيه إلى

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ذاتنا، الذي هو سبيل نجاتنا، فأمشيه بكليته في هذه النشأة الإنسانية على حسب ما يعطيه المقام إما جثمانية وإما روحانية، فإياك أن تتوهم أيها الأخ الشقيق أن غرضي من كتبي كلها الكلام فيما خرج عن ذاتي من غير أن تلحظ فيه سبيل نجاتي، فما أبالي إذا نفسي تساعدني على النجاة بمن قد فاز أو هلكا فانظر إلى ملكك الأدنى، وإليك تجد في كل شخص على أجزائه ملكا، وزنه بالعدل شرعا كل أونة وأسلك به خافه من كل ما سلكا ولا تكن مماردا تسعى لمفسدة في ملك ذاتك لكن فيه تكن ملكا فليتأمل ولي هذا الكتاب فإني أذكر فيه الأمرين العالم الأكبر واجعله كالقشر واجعل ما يقابله من الإنسان كاللباب للسبب الذي ذكته أن يعين للسام ما يجهله في الشيء الذي يعرفه ويعقله، ولو وصل فهمه إليه دون ذكرى إياه، ما لحظت ساعة الحياة، ولا عرجت لمحة بارق على معناه، وإنما أسوقه مثلا لا للتقريب ومجالا للتهذيب وسأورد ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب من لآلى الأصداف ونواشيء الأعراف التي هي أمثال نصبها الحق للمؤمنين والعارفين حباله صائد، و تحفة قاصد، وعبرة لبيب، وملاطفة حبيب.

محرطامس ومحرغامس

فيه لآلى إشارات في صدادف عبارات فمن ذلك مفتاح حجة وإيضاح لحجة ولما لم يتمكن القاصد إلى البيت العتيق أن يصل إليه حتى يقطع كل فج عميق ويترك الألف والوطن ويهجر الخلة والقطن ويفارق الأهل والولد، ويستوحش في سيره من كل أحد، حتى إذا وصل الميقات خرج من رق الأوقات وتجدد من مخيطه وخرج من تركيبه إلى بسيطه وأخذ يلبي من دعاه، فنسي ما كان من قبل ذلك وعاه، وصعد كذا لاح له علم هدى ودخل الحرم وحرم ولثم الحجر وقبل، تذكر ميثاق الأزل وطاف بكعبته وأحاط بنشأته، هكذا في جميع مناسكه يمشي على مسالكه فإن تجاوز المغني ووقفه على حجة معنى ينشئء فذلك هو الحاج الذي يتنهأ ولولا السامة من قاربه لعرفتكم به منسكا إلى آخره، وابتدأت في هذا الكتاب بنكته الحج إذ مناه تكرر القصد إلى الواحد الفرد والقصد أول مقام لكل طالب سرا ومحاول أمرا وأنا أريد أن أوضح لك في هذا الكتاب أسراراً وأرسل سماها عليك مدراراً، فأوضحت لك أولاً قصدي، وجعلته قصدا شرعيا ومقاما جمعيا، فإنه إذا كان القصد بهذه المثابة وهو البداية، فما ظنك بالنهاية وأين من يقدر قدر الغاية، وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وأما خمد نور شمس، وما يمد ذاته نوره فالق السمع وأشهد أجمع.

أقول وروح القدس تنفث في النفس بان وجود الحق في العبد الخمس

أيها كعبة الأَشْهاد يا حرم الأَنس ويا زمزم الأمل زم على النفس

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

سري البيت نحو البيت ببغي وصاله
فيا حسرتي يوما ببطن محسر
وما خفت بالخيف ارتجالي وإنما
لمزدلفي الحجاج أعلت ناقتي
جمعت بجمع بين نحبي وشاهدي
خللت الأماتي عند ما كنت في منى
ففي الجمرات العزفي رونق الضحي
صغيت على حكم الصفا عن حقيقتي
ركنت إلى الركن اليماني لأن في
أقمت أناجي بالمقام مهيمنا
فمشاهدته في بيعة الحجر الذي
وبالحجر حجرات الوجود ركونه
وفي عرفات قال لي تعرف الذي
فلما قضيت الحج اعلمتن منشداً
سفينة إحسامي ركب فلم تزل
فلما غدت بحر الوجود وعابنت

و طهر بالتحقيق من دنس اللبس
وقد دلني الوادي على سفسر الرجس
أخاف على ذا النفس من ظلمة الرمس
لأنعم بالزلفي و الحق بالجنس
بوترين لم أشهد به رتبة النفس
وطوقتها فأنظر بالطرود والعكس
حصبت عدو الجهل فارتد في نكس
فما أنا من عرب فصاح و لا فرس
استلام اليماني اليمن في جنّة القدس
تعالى عن التحديد بالسفل و الجنس
تسود من نكت العهود لدى اللمس
علي فلا يغدوا الزمان و لا يمس
تشاهده بين المهابة و الأتس
بميري بين الجهل للذات و الهمس
تسيرها أرواح أفكاره الخرس
بسيف النهي من جل عن رتبة الأتس

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

دعائي به عبدي فلبيت طالعا
فعاتيت موجودا بلا عين مبصر
فكنت كموسى حين قال لربه
فدك الجبال الراسيات جلاله
و كنت كخلفاش أراد تمتعا
فلا ذاته أبى ولا أدرك المعنى
و لكني ادعي على القرب و النوى
فمن لم يكن قصده على هذه المحبة و لم تصح له هذه
الحجة، و يطلب العين فهو في حضرة الغين فاسلك يا أخي على
هذه الطريق، و قبل الرفيق الرفيق حتى تتصل به من غير
انفصال، و تفصل عنه من غير اتصال، و تكون ظللك تسجد له
بالغدو و الأصال. و من ذلك تنزل روح أمين بإشراق صبح
مبين، و لما هزم الصبح جيوش الليل، و أوجف عليه بسوابق
الخيال و حصل الجسم و الدسم في قبضة العين و الاسم، و اعتقه
من رق كونه، و ألبسه رداً صونه، و منحه مساعدة عينه، في أي
جهة كان من ابنه، عند ذلك سألني رجل من أهل تبريز و ممن
يقول بدولة العزيز، و ينكر سقوط التمييز، عن أسرار أشرطة
الساعة، و إماراتها و حقائقها و إشاراتنا من طلوع شمس من
مغربها، و رحمانية مقصدها و مذهبها و إغلاق باب توبة، و إبقاء
زلة و حوبة، و نفخ دابة و نزول مسيح و خف جيش تهامة فيح

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وملحمة عظمى وفتح مدينة كبرى بتكبير وتهليل على مقتضى السنة لا بالمراهفات البيض ولا بزرق الأسنة وختم ولاية وروضة خضراء، وسر نبوة ومحجبة بيضاء ومن خرج من مقام إلى مقام الزل، فصح له به المشرق الأكمل، وخروج رجال لا يعيى، وقتيل له يموت ويحيا، وقال لي أريد منكم أن تبينوا لي إلى أين أسرار هذه الأكوان في نشأة الإنسان، فإني أريد أن أجعلك لشيطناني شهابا رسدا، واتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا، فقلت له وأين فتاك و قوتك، وهل اتخذ إلى البحر سرباً حوتك فقال لولا ما اتخذت حوتي سربا ما وجدت لك سببا، ولولا قتاني ما حملت غذائي فقلت له ستلحق بمقامك وتتأخر وإذا وقع ذلك حينئذ تعثر، ثم قلت له وهل نسيت الحوت فأردت قصصا على أترك لتعرف حقيقة خبرك فقال كل ذلك قد كان فلقد تعب من أخذ علمه من الأكوان قلت له وبشرك الحق بأنني صاحب الرحمة والعلم فابشر بأنك صاحب الغلظة والدم، لأنني في العين وأنت في الكم، فأنت في ملكك رئيس، وفي سجن عالم شهادتك حبيس، وأنا في ملكوت علق نفيس و صاحب صنعة لبوس، فقال له أني أتيتك قاصدا فعلمني ما علمت رشدا فقلت إنك لن تستطيع معي صبيرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقلت فإن اتبعنتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.

وصف حال بعد حل وترحال ثم قلت له يا سيدي صان الله أنوار شيبتك وحفظ متاع غيبتك أريد أن أعرف قصتي تكون لك سلما إلى منصتي عسى يقل إنكارك ويحسن إن وقع منك

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

اعتذارك فإن الذي سألت عنه من هذه الأسرار المصونة من ملاحظة الأنوار فكيف بعالم الأفكار لا يصلح في كل وقت إفشاؤها، ولا يصلح بأي نفخ كان بعثها وإحيائها فإن نباؤها عظيم، وشيطان منكرها اليم وإن كان بعض ما سألتني عنه لم أعرج عليه ولا طلبته منه، فإن الطريق الذي سلكت عليه والمقام الذي طلبت وانفردت إليه الذي هو مقام فردانية الأحد ونفي الكثرة والعدد لا يصلح مع التعرّيج على كون ولا يقبل منه إلا تحقّقه عين ولما لم تتعلق بحوادث الكون همّتي ولا تسوّقت أيها كلمتي كان الحق سبحانه وتعالى وجهتي ونزّهتي عن ملاحظة جهتي فكنت أينا فكيف أبصر كوناً. حكمة تعليم من عالم حكيم، ثم لما رأيت السائل عن تلك الأسرار، تحركته دواعي الأفكار أعرضت عنه إعرض متعلم ناصح، وصرفت وجهي وجهة الحق الذي بيده المفاتيح من جهة المقام الذي يعقله وسدّدت الباب الذي ينكره ويجهله حتى يتمكّن في مقام السمع ويتحقّق بحقيقة من حقائق الجمع، وقمت إلى الحق مليباً وله مناجياً أعد على سوابغ نعمه واسمع السائل سرانر حكمه و كأنني لا أقصده بذلك تعظيماً وهكذا يفعل من صيره الحق حكيماً فإن البيوت لا تؤتي من أبوابها والملك على أرجائها ولا يدخل عليها إلا بإذن حجابها وذلك إني إن بديت له الأسرار كفاحاً وجعل قلبه لذلك سراحاً، فسرح في عالم التجسيم سر فكره، واستوى على قلبه سلطان فكره فصير نوره ناراً وقراره بواراً فالحكيم المطلق إذا أخذ من هذه صفته في مناشدة الحق، وأعرض عن جميع الخلق بهره المقام، فقطع الأوهام، وغاب عن الأجسام، واستلم أي لاستلام، ووقعت النكته في قلبه، فقادته إلى معرفة ذاته وربّه، فأعرضت عنه

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لهذه الحكمة وأنشدت وبحث ببعض ما وجدت تعلمه فيه، إن السلوك يجذب الحق ودواعيه، ويرد سبحانه بالعبد ويخفيه، فاعله يتنبه ويعيه.

قلبي بنكرك مسرور و محزون	لما تملكه لمح و تلوين
فلورقت إلى سما الكشف همته	لما تملكه وجد و كوين
لكنه حاد عن قصد السبيل فلم	يظفر به فهو بن الخلق مسكين
حتى دعه من الأشواق داعية	أضحى بها وهو مغبوط و مفتون
وأبرقت في نواحي الجو بارقة	همت لها نحو قلبي سحبها الجون
فالمحب سارية و الريح دارية	والبرق مختطف و الماء مسنون
و أخرجت كل ما تحويه من حسن	أرض الجسوم وفاح الهند و الصين

فلما سمع السائل وصف حالته و سجت بدر سره في إدارة هالته و تنبه لما أخفي فيه، وأبرزت له نبذة من معانيه، ورأيته قد أصغى إلي بكليته وخرج عن ملاحظة نفيسته صرفت وجهي إليه وهو فإن فيما أوردته متعطش للزيادة مما أنشدته وطلب مني الزيادة بحاله فزدته.

فما ترى فوق الأرض الجسم مرقبة	وفيها من السنوار تزيين
فكلما لاح في الأجسام من بدع	و في السرائر مطوم وموزون
و الجسم يلتذ في تقليب مشهده	بكل وجه من التزيين ضنين
و الجسم فلك ببحر الجود تزعجه	ريح من الغرب بالأسرار مشحون

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وراكب الفلك ما دامت تسره
ألقى الرئيس إلى التوحيد مقدمه
فلو تراه وريح الشوق تزعجه
إن الأوائل في الإنسان مودعة
و أودع الوصل ما بيني على كتب
فالسر بالله من خلفي ومن خلفي
يقول إن في قلب الحق فاعتبروا
من بعد ما قد أتى من قبل نفخته
لا يعرف الملك المعصوم ما سبي
لما تسترت عن صلصال مملكتي
فكان يحجبه عني و عن صفتي
فعد ما قمت فيه صار مفتخرا
لما سرى القلب للأعلى و جاز علي
غصن الجفون ولم يثني العنان لها
فعد ما قام فوق العرش بايعه
ريح الشريعة محفوظ و ميمون
وفيه للملأ العليا تأمين
تجري وما فيه تحريك و تمكين
نور و نار و طين فيه مسمنون
و بين زلي مفروض و مسمنون
إذا تحققت موصولة و مسمون
فإن قلب كتاب الله ياسين
على متن دهره في نشأتي حين
و لا العيون الذي تبكيه تبين
أخفاتي عن علمه في عينه الطين
غيم العمى وأنا في الغيب مخزون
يمشي الهوينا وفي أعطافه ليس
عدن و غزاله حوراتها العين
لما مضى عن هواه الغرض والدين
اللوح و القلم العلام و النون

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فلو تراه وقد أخفى حقيقته له فويق استوا الكون تمكين
فإن تجلى إلى كون بحكمته له على- ظهر ذات الكون تعيين
فلا يزال لمزج الملقيات به يقول للكاننات في الوري كونوا
فكل قلب سهمي عن سر حكمته في كل كون فذاك القلب مغبون
فاعلم بأنك لا تدري الإله إذا ما لم يكن قبل يرموك وصفين
فاعرف إلهك من قبل الممات فإن تمت فانت على التقليد مسجون
وإن تجليت في شرقي مشهد علماء تنزل فيك العال و الدون
ولاح في كل ما يخفي ويظهره من التكليف تقييح و تحسين
فالفهم فديتك سر الله فيك و لا تظهره فهو عن الأغبار مكنون
و غر عليه وصنه ما حبيت به فالسر ميت بقلب الحر مدفون
فلما سمع منتهي القلوب، ووقف على شرف الغيوب
ورأى ما حوته هذه المملكة الإنسانية من الصفات الربانية
والأسرار الروحانية، جثى على ركبتيه وانسلخ عن ظلمته،
وقال إني أكنم للسر فأوضح الأمر فقد زال النكرات، وطرده
الشيطان بعناية إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وصف الخير
فإني أسلم و علمني فإني أتعلم، قلت فلم أزل بهذا المشهد السني
والمقام الغلي، أغدوا وأروح، في غيوق وصبوح إلى أن أتمكن
الأمر لدي، وحصلت المفاتيح التوني بين يدي، فلما أن أتصف

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرلان

بهذا التحصيل، وهياني الحق للتقديم، ورشحنى للتفصيل، علمت أنه تعالى يريد رجوع إلى عالم الشهادة، فقبلته على شرط الأبقا لحالي وزيادة، إذ لا دليل قاطع بوجود نهاية، ولا تحقق حد بغاية، إذ هو القائل سبحانه قول تنزيه وتمجيد، لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد فحصل للمتصف بهذا المقام نفوذ إرادته في ملكه، وزيادة ما لم تتصف المهمة بدركه فتعود إرادته في قوله عسى الله أن يأتي بالفتح لكان شرط الوفاء بعهده والزيادة في تتميم الآية بقوله سبحانه أو أمر من عنده فعند انصرافه من غير مفارقة الرفيق إلى عالم الترفيع والتلغيف، تلقنتني حوادث الأكوان في الطريق فعند ذلك عرفت من الحادثات الآتية ما شهدته وعلمت من الكائنات العلوية والسفلية ما وجدته وأنا الآن من ذلك الوقت إلى حين هلكتي وافترق ملكتي في تلك الرجعة المشهدية بتلك الصفة الأحدية، ومن ذلك هدهد أمين جاء نبأ يقين، وقد تجسد بثلاثة أنوار واغطيته أسرار، وممن سلم علي ممن أفاقه، وأظهر لي بعض خلقه كوكب الأفوال في ردالفة وقمر بازغا في حلة الهداية المشرقة، فاعطي كل نور حقيقته، وأوضح لنا طريقته، تلاهما الشمس الأكبر والنور الأزهر، الذي يجلوا السدف وينير الغرف ويزيل الكلف وهو التجلي المثالي، والنور الإرسالي، فسلم إلي في مغرب الغرف الغمي حتى يصل الأجل المسمى، فإذا دنا الأجل واقترب، طلع هاديا من حيث غرب، وهذا هو شمس التوجيه، ومقام التنزيه، بقوله يزول الإشراك، وتنحل عقد الإشراك، فيفلت صيدها ويرتفع كيدها، وهذا الأقول كله على قسمين لذي عينين فإن جعل أفلوها في قلبه، فهو نور على نور من ربه في عام غيبه، فبقي له نور قربه، ويكون له نور

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

على نور وسرور وورد على سرور، وإن أظلم المحل الأضواء عند أفوالها، فهو معري من صفات مقيلها، قد غرق في بحر الذات الأقدسية متجردا عن أثواب صفاتها المعنوية، فانظر إلى هذا السر السني ما أعجبه، وإلى هذا الذوق الشهوي ما أعجبه وأعذبه وبقيت مع هذا النور الشمسي في مقامه الأقدسي أناجيه أعواما وليالي قمرية، وأياما، وقد أوضح الله لنا العلامة، بأن خاتم الإمامة اعني الإمامة المحمدية الجزئية، لا الإمامة المطلقة الكلية، فمن فهم فليعلم، ومن جهل فليقرع الباب وليلزم، ما دام هذا النور ثابتا في افقه قبل أفوله في حقه، فحققت ما لديه، وعلمت ما جعل الحق من الأسرار في يديه ومن ذلك رحيق مختوم مزاجه تسنيم، إلى أن دخل عام خمسة وتسعين نصف يوم، وانجلى عن الشمس ظلام الغيم وأنا على حالتي في رجوعي المذكور بعلمي المشهور وعلمي المستور، في غلائل النور وإنما كان هذا الرحيق بالمسك مختوما، وكان مزاجه تسنيمًا لأنه تابع متبوع وسامع مسموع، وستأتي الإشارة إليه من بعد و يكون له الوعد والوعيد فلما دخل العام المذكور، ومضت منه ثلاثة شهور تلقاني عند فراقي لهذه الشمس المغربية، وتركي لها في العصابة اليبيرية، الختم برحيقه، وأوضح لي التسنيم مزاج طريقه، فرايت ختم أولياء الحق، في مقعد الإمامة الإحاطة والصدق، فكشف لي عن سر محتده وأمرات بتقبيل يده ورأيته متدليا على الصديق والفاروق متدانيا من الصادق والمصدق، محاذيا له من جهة الأذن قد ألقى السمع لتلقي الأذن ولو تقدمه منشور، وخاتمته نور على نور، فكان له في ذلك الجمع الطهور ومن عداه فيه كلابس ثوبي زور، والشمس اليقينية قد قبلت يده مثلي

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ولحظتها، فقال الختم هي من أهلي، ثم نازعني الحديث، وتفتيا بالقديم و الحديث والساقى يحب المدامة، ويبدأ بساق عرش الإمامة وهو ينعطف على عطفه نشوان، ويغازلني مغازلة هيمان ويقول ردني براءة الكتم، فإني أنا الختم الأولي بعدي ولا حامل لعهدي، بفقدي تذهب الدول، وتلتحق الأخريات بالأول:

وكان ما كان مما لست أذكره* * فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر
ولما تناجت القلوب بأسرارها وطلعت الشمس الغيوب من
سماء أنوارها، وأخذ المجلس حده ودخل أبد العباس و صاحبه
عنده انصرفت متحققا بما عرفت ولم تبق نكتة نادرا إلا على
باب حضرتي واردة و صادرة ، ولولا عهد الغيرة ما أخذ،
ودخيل إلا فشا الذي نبذ لأبرزناه لكم في حلته وبيته ولكن
سأجعله لكم وراء كنيته، فمن اجترى ورفع سترة، رأى سيره،
وهكذا فعله في شمس غربنا، أظهرها لكم من وراء قلبنا في
حجاب غيبنا، فمن كان ذا كشف علوي، وحزم قوي شق عن
قلبي حتى يرى فيه شمس زلي، فمن امتطا عتيق الافشا صلب
ولحق، ومن نزل عن متنه إلى ذلول الكتم نجا والتحق إلا أن
كان كما أفعله وفعله من قبلي من خفي رمز، ودرج معنى في
معني ولغز، ومن ذلك البحر المتقدم المذكور ارخا الستور
على البدور، ولما دخل شهر ميلاد النبي محمد صلى الله عليه
وسلم بعث إلي سبحانه رسول الإلهام وهو الوحي الذي أبقاه
علينا، والخطاب الذي جعل منه إلينا ثم أردفه بمسيرة ساطعة
في روض يانعة، يأمرني فيها بوضع هذا الكتاب المكنون،

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والسر المصون المخزون وسلماه لي بكتاب الكشف والكتم، في معرفة الخليفة والختم، فراجعت الملك في هذه العلامة، فقال أيها الفتى مه، ثم عاد إلي وما رحل وفرش المحل الأقدس ونزل، وقال الحضرة قد وسميته بكتاب سدره المنتهى وسر الأنبياء في معرفة الخليفة وختم الأولياء، فقلت إنني لا أجد في نفسي لهذه السمة نكتة فلا تعجل علي ولا تأخذني بغتة فقال إنني أستحي، فقلت ربي الذي يميت و يحيي فلما كان يوم الجمعة والخطيب على أعواده يدعو قلوب أولياء الله و عباده إذا وجدت برد كف الجذب من حضرة القرب فتلقيت في الغفلة الكلمات، وتوفرت دواعي القلب لما يرج عليه من النسمات، فإذا الخطاب الأنفس من المقام الأقدس هل تقتنع أيها الخديب المعرب والمنتقد المعجب بعنقا مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سر الشفاء في القرن اللاحق بقرن المصطفى وصل وهذه الإشارات كلها راجعة إلى النسخة الصغرى لا إلى النسخة الكبرى فقد بينت لك أنفا أنه لا فائدة في معرفة ما خرج عن ذاتك، إلا أن يتعلق به سبيل نجاعتك، فشمس المغرب ما طلع في عالم غيبك من أقوال العلوم. وتجلي إلى قلبك من أسرار الخصوص و العموم. كما أن الختم ما ختم به على مقامك. عند منتهى مقامك و كذلك إذا كنت في زمانك، الخاص بك بين إخوانك على ما كان عليه من تقدم من صحابة النبي. من العمل السنني والتجلي العلي فقد لحق زمانك بزمانهم و صرت من جملة أقرانهم، ومن ذلك رفع ستر، لما نص ما ذكرته، وورد عليّ بما سطرته قال هل رأيت يا محمد هذه الإشارة، في تأخر الوزارة عن الأمير في وقت الإمارة، لولا خلافة الصديق، لرجع الناس عن الطريق، لعدم الكشف

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ومعرفة الصرف، وهل الخليفة إلا بعد ثبوت المستخلف، ولهذا توقف المجادل المتعسف، قل له يا محمد هيات يا إنسان لا بد من كونه فكأنه قد كان ولكنه غير موجود في عالم التغيير، والحدثان وإنما الحكمة أخرته لسر أمرته، سيظهر ذلك السر في أوانه حلول زمانه، فشمس المغرب دون رتبة للصديق فعليك بالكتم كما أن الصديق ومن دونه تحت لواء الختم، وذلك أن أنوار الغيوب الساطعة في القلوب التي كنيها عنها قد ينالها من ليس بصديق أكبر، ولا له ذلك المقام الأخطر الأزهر بل قد ينالها الممكور به المستدرج المغبون وسر هذا في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون والصدقية لا ينالها إلا أهل الولاية، ومن كان له عند الله أزالا سابق عناية، وهي السبيل في نجات من أتصف بها.

و تذهبها فلهذا جعلنا الشمس دونها وإليها ركونها كما أن الختم فوق رتبة الصديق إذا كان الممهّد للطريق، الذي مشى عليه عتيق، فالختم نبوي المحتد علوي المشهد فلهذا جعلنا فوق الصديق كما جعله الحق فالأخذ نوره من مشكاة النبوية أكبر ممن أخذه من مشكاة الصدقية فبين التاسع و السابع ما بين الشاهد والغائب ولما صح أن الختم متقدم الجماعة يوم قيام الساعة ثبت أن له حشرين وأنه صاحب الختمين و يشركه ذوا الأجنحة في حشرية، وينفرد الختم بخاتميه، و ذوا الأجنحة في الإنسان من غلبت على الروحانية، والتحق بتطهير نفسه بالرتبة الملكية و لا دفاع عندنا في هذا المقام و لا نزاع، و على قدر ارتقائه فيها يكون مع صاحب مثني أو ثلاث أو رباع. فإن كان أمين الأرواح فيكون له ستمائة جناح، و لا حرج عليه في

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ذلك ولا جناح، و إنما سميناه خاتماً، وجعلناه على الأولياء حاكماً لأنه يأتي يوم القيامة وفي يده اليسرى محل الإمام الأسرى بخاتم نزالي روحاني، وقد أنتشر باليسار باليمين في زمرة أهل التعيين وقد أنتشر باليسار مع أهل التمكين، خصص بعلمين، وخوطب باسمين، ففتطن أيها اللبيب لهذه الأسرار واسعة لضياء هذه الأنوار، ومن ذلك رهن أغلاق وأخذ ميثاق، و لما سمعت ما ذكره وأظهر لعيني ما أجردها من غلائلها السندسية حتى لا تتبسم عن أغريض، ولا يظهر لبرقها وميض وقال أهو رهن بيدك وقد علق فلا تبتئس فامسك عليه ولا تخرجه فتعتلس فتوجه الأمر عليّ عند ذلك في إفشاء هذا السر المكتوم والكتاب المختوم، إفشاء تعريض لا تصريح وعلام تنبيه وتلويح، وأعلام تنبيه وتلويح، ولما تلقيت منه الأمر على هذا الحد ودخلت تحت هذا العق لزمني الوفاء بالعهد فأنا الآن أبدي وأعوض تارة وإياك أعني فاسمعي يا جارة وكيف أبوح بسر. وأبدي مكنون أمر وأنا الموصى به غير في غير ما صنع من نظمي و نثري نبه على السر ولا تفشه فالبوح بالسر له مقت على الذي بيديه، فاصبر له وأكتمه حتى يصل الوقت، فمن كان ذا قلب وفطنة، شغله صلب الحكمة عن البطنة فوقف على ما رمزناه وفك المعنى الذي لغزناه ولولا الأمر الإلهي لشافهنا به الوارد والصادر، وجعلنا قوة المقيم وزاد المسافر ولكن قد جف القلم بما سبق في القدم فما أشرف الإنسان حيث جعله الله محل روحانية هذه الأكوان، فلقد أبدع الله سلخه حين أوجده وأكمل نسخته، والله الكفيل، وعلى الله قصد السبيل ولولاشاء لهداكم أجمعين ومن ذلك موقف اختصاص ونتيجة إخلاص ولما كان هذا الأمر يدخله الصدق و المين، ولو كان

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عند قائله عن مشاهدة عين، لما كان يقطع بصدق السامع إلا أن تأيد ذلك الخير بإعجاز قاطع أو نور حسن ظن بقلبه ساطع ولهذا قال الإمام أبو يزيد لموسى له يتلى أن المؤمن بكلام أهل هذه الطريقة مجاب الدعوة عند العلي فقد حصل للمؤمن الصديق الاشتراك مع الصادق بطريق حسن الظن لا بالدلائل الخوارق ولما كان الأمر عند الخلق بهذه النسبة، وحجبوا عن ماله عند الله من عظيم النصبة، أخفيناه عنهم رحمة بهم، وجرينا من نفورهم عنه وذهولهم فيقعوا في تكذيب المخبر الصادق التحل بهم لذلك مثلث العوانق ثم جرى على هذا المهيع السلف الصالح من الصحابة ونزلوا من مقام الهيبة إلى مقام المزاح والدعاية اقتداء بمن مازح الشيخة وذاته التغير بما ظاهره موهم وباطنه خير وتسترُوا بالمعاملات في الظواهر وتكتموا بما حصل لهم من العلم المصون والسرائر وغن كان قد نبهوا (رضوان الله عليهم) على أمور ليست عند الجمهور وخطبوا بها من وراء الستور فقال أبو هريرة لو تشته لقطع مني هذا البلعوم وقال ابن عباس لو فسرتَه لكنت فيكم الكافر المرجوم، إنما رأوا أن حقائق الغيوب، فوق مراتب بعض القلوب فأخذوا الأمر من فوق معرفة مشاهدة وذوق ورثاه نبويا محفوظا ومقاما علويا ملحوظا إذا سار في أبنائه، لما لقيه في ليلة إسرائه من تحصيل علم أخذ عليه، كتبه لما عسر فهمه، ولما كانت هذه العلوم التي أنا واضعها في هذا المجموع وأشاهد من هذا القبيل، ومثلقاه من مشكاة هذا الجيل ومما لا يصح إلا بعد مفارقة جبريل، وكل صنف من الملأ الأعلى وقبيل لم يصح عندنا إذاعها، ولا نرفع حجابها فتكشف سريرتها فكلما أبرزناه لعين الناقد البصير إنما هو من تلقيات الروح

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الأميين ومن سطرة المنتهى السالكين، وبعض تلقيات التعيين
والتمكن من حضرة المناجاة بلغة الإنس سطوة الهيبة ونزول
رحمة الإنس، فإظهر منها على قدر أبصار الناظرين، فمنهم
من فهم وسلم ومنهم من جال بها في ميدان المناظرين، ومن
ذلك موج مجرد مجنون تجرد عنه لؤلؤ مكنون، ولما توالى
عليّ الأسرار وسطعت من جميع مسام نشأتني أشعة الأنوار
اغتسلت بالماء القراح لسد المسام، فانعكست الأنوار إلى محل
الإلهام فتفجرت جداولها وأنهارها، وأشدت الريح الغرب
فتموجت بحارها فدخل الموج بعضه على بعض وأسرع إلى ما
أبرمه المبرم بالحل والنقض فلا تبصر إلا سحابا مركوما،
وموجا مجنونا في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج و من
فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض حتى ما بقي على ظهر
هذا البحر فلك يجري ولا ظهر في جو فلك يسري إلى أن
لطف المغيث سبحانه فسكن من الريح ما أشدت وكثر الموج
بالساحل وامتد فرمي بزبده على سفينة زبد مخض لوضيع
الوقت وشريفة قد علم كل أناس مشربهم و حققوا طريقهم
ومذهبيهم ، فذاك الزبد قدر ما خرج من بحر قلوب العارفين
على ظواهرهم إلى الخلق و لا يعرف قدره إلا صاحب ذوق،
وهذا الكتاب المحفوظ من طوارق العلل والمسمى وفي غيايات
الأزل، عنقا مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب،
ونكتة سر الشفاء في القرن اللاحق بقرن المصطفى من ذلك
الزبد الذي رماه الموج يلوح للمنفرد به الفرد و للجامع عليه
الزوج فمن شاء فليوتر، ومن شاء فليشفع ومن شاء فليكنتم،
ومن شاء فليشفع، وهذا القرن قد أن زمانه وقرب أوانه،
فليأهب المتأهب لحلوله، وليستغنم السعي لهذا النور الإلهي

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

قبل أقوله، لا تحجب يا أخي فإن القرن اللاحق بقرن المصطفى لم يزل موجدا ما دام الإنسان مع ربه سبحانه شاهدا له والحق له مشهودا، وإن كان الذي أشار إليه الشرع، وجاء به السمع في عبارة الهرج والقتل فذلك أو أن التقدم في الفضل فإن للعمل منهم ممن تقدم وإن كان الإمام المقدم فإنهم لا يجدون على الخير أعوانا كما وجدوا، ولا يشهدون لإمامهم عينا كما شهدوا، فلا شيء أقوى من إيمان غيب إذا لم يلحق ريب، وذلك زمان الفتن، و حلول البلايا و المحن، فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى، فتأمل هذه الإشارات في نفسك واجتمع عليها بقلبك وحسك فإن الزمان شديد جبار عنيد، وشيطان مرید، فانسلخ منهم إنسلاخ النهار من الليل وإلا فقد لحقت بأصحاب الثبور، و الويل، و قد نصحتك فاعلم، وأوضحت لك فالزم السبيل ومن ذلك نكاح عقد، و عريس شهد و لما كان ما صدق من الرؤيا جزاء كبيراً نبويا، قطعنا بتصديق ما تهديه، و تنعم به من أيادي الحق وتبديه، فدخلت بيت الأنوار وانسدلت الحجب والأستار، غيرة على الحرم والأبكار، فبينما أنا أناجيه بين يديه، إذ جذبني جذبة عزيزة إليه، فأقامني الحق في مقام البحر الذي على موجه وطمني ودخل بعضه في بعض و نما و أنار في حالة لا يعرفها إلا من كابدها، و لا يصفها إلا من شاهدها كما قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده** و لا الصبابة إلا من يعاتبها

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فأقمت متكننا على اليمين، و تركت قلبي في مقابلة عليين، إذ هو محل الصدق الحق و مقعد الصدق وقد غمره الماء، وأحاطت به الأنواء، فلم تنزل أمواجه تصطفق، ورياحه تنزعج و تستيق، إلى أن فتك في الورك الأيسر، الأعلى قدر حرم الإبرة فرش من رأس الشعرة رأيت فيها عبرة فكونها الحق سبحانه شخصا ملكيا، وأنشأها إنشاء فلكيا فرأيته مسجحا، ومهلا، ومكبرا، و مليا، فعرفت أن ذلك الشخص جسمانية هذا الكتاب الذي أنزله الحق عليّ وأبرزه للعبادة على يدي، و إنه قطرة من ذلك البحر المتموج، و رشحه من ذلك الموج الأهوج فالحمد لله الذي صيرني له فلكا محيطا، وجعلني له روحا بسيطا، فانظر و تأمل أيها الولي الأكمل، إلى نبي قد فقدت جنته، و بقيت عند الأحاد سنته فبعث ليلة من قبره، وسير به إلى حشره، والتحق الحي بالميت فحشر و حصل رب البيت في البيت فخطب حميرة من عتيقة وانتزعها من يدي صديقه، فاصدقها عدد أغاب عني، و طلب الشهادة على ذلك مني، فكتبت في خرقة حرير أحمر، كتاب زهر يزهر وكننت أول الشهود في مهره عن أذنه صلى الله عليه و سلم و أمره، و ذلك بمنزله الأعلى و مقامه الأجل، فلما صح أمره ترك بيدي مهره و دخل منزله بعمرسه و خلي بها و بنفسه، و بقي المهر بيدي إلى انقضاء أمدي، فلما لاح الصبح لذي عينين لي بين النورين لم أجد عرسا و لا بعلا غير ذاتي و لا صداقا غير خلقي و صفاتي، فكننت البعل والعرس، و زوجة العقل بالنفس، فتطرت الحميرة ببعلها، و تأيدت بعزيمة عقلها، فعجبت من الري لما لم يكون غير و هكذا وقفت عند رفع لستور على مخبات الأمور، فمن ساحل ماله بحر يحتمي به زوجته، و من بحرك ساحل له

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يكس عليه موجه، و من ناطق بحقائق بغير لسان و لا مخارق
ومن صامت لا يرح داعيا، و إلى الله هاديا، ومن كرة لا مكان
لها ما عرفها أحدا، و لا جهلها، و من قبة مالها عمد و من عمد
مالها في الأرض مستند إلى أسرار تتدنس بالذكر و لا تخلص
بالفكر إذ هي من حضرة ما خطر على قلب بشر و لا وعتها
أذن و اعية بخبر، و لا أدركتها حقيقة بشر.

عجبت من بحر بلا ساحل	و ساحل ليس له بحر
و صحوة ليس لها ظلمة	وليلة ليس لها فجر
كرة ليس لها موضع	يعرفها الجاهل و الحبير
و قبة خضراً منصوبة	جارية مركزها القهر
و عمد ليس لها قبة	و لا مكان خفي السر
حبطت سرا لم يعبره كمن	فقل هل هيكم الفكر
فقلت مالي قدرة فارفقو	عليه في الكون و لا صبر
فإن بالفكر إذا ما استوى	في أجلي بتقد الجمر
فيصبح الكل حريقا فلا	شفع يرى فيهو لا وتر
فقول لي ما نجتني زهرة	من قال رفقا إنني حر
من خاطب الحسنأ في خدرها	متيما لم يضلّه المهر

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أعينها المهر ونكتتها	في ليلة حتى بدأ الفجر
فلم أجد غيري فمن ذا الذي	نكحته فلينظر الأمر
فالشمس قد أدرج في ضونها	القمر الساطع والزهر
كالدهر مذموم وقد قال من	صلى عليه ربك الدهر

وإني أريد أن أظهر لك من هذه العجائب ما تيسر وأمهد لك منها ما توعد فو الله لو رأيت يا أخي حال العارفين إذا خرجوا من نفوسهم و درجوا عن محسوسهم تطهّرت قلوب، وأظهرت غيوب، ورفعت أستار فطلعت أنوار، وكان التجليات على مقدار، فمن شاهد قدسا، ومن شاهد أنسا، ومن شاهد عظمة وجمالا، ومن شاهد ملطفة و جلالا ، ومن بهت في أينيّه، ومن خطف في هويه فلو أطلعت عليهم غيبا لوليت منهم فرارا ولملنت منهم رعبا، لانعدامك عند تلك المشاهد و تعذيبك وسقوط قولك و حل تركيبك فإن سلكت باب المناصحة، شهدت الحق منك مكافحة، فتنشد عند ذلك ما يسوق السالك:

ولما أتاني الحق ليلامك***كفاحا وأبداه لعيني التواضع
و أرضعني ثدي الوجود تحفقا***لما أنا مفلوم وما أنا راضع
و لم أقتل القبطي لكن زجرته***بطم ظلم تصر على المراضع
وما نبج الأبناء من أجل سطوتي***و لا جاء شررا ببطش رافع
فكنت كموسى غير أني رحمة***بلمومي و لم تحرم علي المراضع

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لغزت أموراً إن تحققت سرها... يبدأ لك علم عند ربك نافع

فإن كان هذا الأمر العظيم في الملك فعند المواجهة والتوجيه الومسي، فما ظنك بالصراط السوي، و المسلك المحمدي إشارة تعبر العبارة وانظرها آية وإمارة، واجعلها زفراً تقتبس ناره، فأن المزمح و العقار بالإمتزاج والحلك ربك النار، وهو أنا إن شاء الله أبدالك من سرائر الكون و المكنون، ما شاهده المقام والعين، وما سبب لبدء و من كان أول النشأ، وكيف كان ذلك الأول مشرق الأنوار، وينبوع الأنهار و عنه كان العرش والعالم الأوسط و الفرش و الجماد و الحيوان و هو أصل الأكوان و رأيك ذك كله قد أودعه الرحمن في ذاتك، وجعله من جملة صفاتك، فأنت ذلك المثلى المشبه وذلك المثل المنزه، فإن قلت وأين حظي من التنزيه، و أين حظه من التشبيه، فعند المواجهة و التوجيه يتردد كل واحد منكما بين التنزيه و التشبيه فأياك أن تغفل عن فتح هذا الباب المقفل و الله يحسن عونك وإذا فتح لك أن يديم صوتك و بدايتنا إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب بمعرفة المعبود، وإنه لا يعرف من ذاته سوى الوجود، ثم بعد ذلك أتكلم فيما ذكرته، و أسوق على ما شرطته، و منه أمل و به أستعين و عليه أتوكل و عنه أبين، فأنا منه إليكم منكم من غير إلي و من، وأنا الأمين الحافظ المؤتمن و حسبنا الله ونعم الوكيل و الحمد لله رب العالمين و الصلاة على خاتم النبيين وسلم تسليماً كثيراً.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

منه إليكم منكم من غير إلي و من، وأنا الأمين الحافظ المؤتمن
وحسبنا الله ونعم الوكيل و الحمد لله رب العالمين و الصلاة
على خاتم النبيين وسلم تسليما كثيرا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه
وسلم تسليما البحر المحيط الذي لا يسمع لموجه عطيط في
معرفة الذات والصفات والأفعال بكر صهباء في لجة عمياء،
وهي معرفة ذاته جلّت عن الإدراك الكوني: و العلم الإحاطي
غطس الغاطس، ليخرج ياقوتها الأحمر، في صدفة الأزهر ،
فخرج إلينا من قعر ذلك البحر صفر اليبدين، مكسور الجناحين
مكفوف العين، أخرس لا ينطق مبهورا لا يعقل فسئل بعد ما
رجع إليه النفس، و خرج من سدفة الغلس، فقيل له ما رأيك،
وما هذا الأمر الذي أصابك، فقال هيهات لما يظنون، و بعد
الماء يرومون و الله لا أنا له أحد، و تضمن معرفته و لا
جسد، هو العزيز الذي لا يدرك ، و الموجود الذي يملك و لا
يملك إذا حارت العقول، و طاشت الأبواب، في تلقي صفاته،
فكيف لها بدرك ذاته ألا ترى حكم تجليه، في ربوية الأزل،
كيف خر الكليم صعقا، و تدكدك الجبل، فكيف لو تجلى في هذه
الربوبية من غير واسطة الجبل لنبيه موسى لكان صاحب
موسى زمانه لا يوسى، بعد اندكاك و هلاك، و بعث في نشأة
مثله و أملاك وإذا كان تجلى الربوبية على هذا الحد، فأين أنت
من تجلي الإلهية من بعد، وإذا كان هذا خط المتبوع الكليم،
فكيف بخط التابع الحكيم، فقد رمزنا في الصفات أمرا يعجز
عنه، و لا يصل أحد إلا إلى ما قدر له منه.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وأما معرفة الذات فمتفقة بالنور الأضواء في عمي محتجبة بحجاب العزة الأحمى، مصون بالصفات والأسماء، فغاية من غاب في الغيب، الوصول إلى أقرب، ونهاية الطلاب، الوقوف خلف ذلك لا حجاب، هنا و في الآخرة و في نشأة الدنيا والحافرة ، فمن رام رفعه، أو تولى صدعه في أي مقام كان عدم من جنبه، وطويت سماؤه و أرضه بيمينه، ورجع خاسرا، وبقي حائرا وكان قاسطا جائرا، ورد إلى أسفل سافلين و الحق بالطين فمن كان من أهل البصائر و الألباب، و تأدب بما يجب عليه من الآداب، وصل إلى ذلك الحجاب، الذي لا يرفعه سبحانه عن وجهه وكان يوقف على كنه و الوقوف على كنه محال، فلا سبيل إلى رفع ذلك الحجاب بحال، فإذا وصل إليه العاقل اللبيب، و الفطن المصيب وافرغ عليه رد الغيرة قال أغار عليه أن يعلمه غيره، فوقف خلف الحجاب وناداه باسم الوهاب، البعيد الأقرب إلينا من حبل الوريد فيحبيه الحق بالمزيد وحقائق الوجود وتقدس و تنزهه، و تملك وتشبهه، و دخل حيث شاء من جنة الصفات وارتاح في رياض الكمال و جال وصال بالمتجلي المتعال لا يرد له أمر و لا يحجب عنه سر، ونادى الحق من عرش التنزيه. خلف حجاب عزة التشويه، هذا عبدي حقا وكلمتي صدقا، عرف فأصاب و تأدب فطاب، فليقبل، جميع ما تضمنه هذه الحضرة إليه، ولينصب ذلك كله بين يديه، ليأخذ ما شاء مختارا و يترك ما شاء ادخارا. فتوتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴿٤﴾.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهو الحكيم الخبير. وهذا مقام الأبناء ومنزل الأمناء، وحضرة اللقاء، وكل واحد من الواصلين إليه على قدر علمه، وقوة عزمه، وإن شملهم المقام وعم فمنهم التام والأتم، ومن هذا المقام يرجع صاحب الجماعة، وفيه يبقى من قامت في حقه الساعة، فهو المنتهي والختام، ومقام الجلال والإكرام وفي هذا المقام قلت:

مواقف الحق أدبتني وإنما يوقف الأديب

أشهدتني ذاته كفاحا فلم أجد شمسها تغيب

واتحدت ذات فلما كنت أنا العاشق الحبيب

أرسلني بالصفات كيما يعرفني العاقل المصيب

فياخذ السر من فؤادي فتهتدي باسمه القلوب
فإن قلت فأين معرفة لياقوت الأحمر المصون في
الصدق الأزهر فأقول إن معرفة لياقوت الأحمر أن لا يعرف
ولا يجدر ولا يوصف، فإذا علمت أن ثم موجودا لا يعرف فقد
عرفت وإذا أقرت بالعجز عن الوصول إلى كنهه فقد وصلت
فقد صحت الحقيقة لديك واتضحت الطريقة بين يديك، فإنه من
لم يقف على هذا العلم ولا قام به هذا الحكم يدوم ما لم يحصل
له، وذلك ما زهل عنه وجهله، فكفاك أن تعلم أن لا يعلم وهذا
الحق قد انبلج صبح فالزم، واقتد بالنبي والصديق إذ قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا أحصي قنا عليك أنت كما اثنت على
نفسك، وهذا غاية الفخر، أو معرفة من وقف عند حجاب العز

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

و قال الصديق الأكبر، العجز عن درك الإدراك فلا سبيل إلى الاشتراك، وليس بعد حجاب العزة الإلهية إلا الكيفية والماهية، فسبحان ن بعد وقرب و تعالى و نزل، و عرفه العارفون على قدر ما وهب، و حسب كل عارف به ما كسب فكسب و ذلك من صفات السلب فغاية معرفتنا أنه موجود وأنه الخالق والمعبود، وأنه السيد الصمد المنزه عن الصحابة والولد، و هذا كله راجع إلى التنزيه، وسلب التشبيه، فتعالى أن تعرف منه صفات الإثبات، و جل إن تدرك كنهه جلاله لمحدثات وإذا كانت صفات الجلال لا يحاط بها، فكيف من قامت به واتصف بها فجل الكبير المتعال، العزيز الذي لا ينال، فبحر الياقوت الأحمر هو المسمى بليس كمثلته شيء، و سبحان ربك رب العزة عما يصفون، فقد أشار إلى حجاب العزة الذي ذكرناه، والسر الذي وصفناه الصفات لمحة بارق، و خيال طارق قل للباحث عما لا يصل إليه، و الطالب فوق ما يكفيه هل عرف من الحق غير ما أوجده فيه وإلا فهل أثبت له ما لم يتصف به، وهل زلت في معرفته عن الأمر المشتبه إلا من طريق السلب و التنزيه والتقديس ونفي التشبه وإن قلت هو الحي المتكلم القدير المرید العليم السميع البصير، فأنت كذلك وإن قلت الرحيم القاهر حتى تستوفي أسماؤه فأنت هنالك، فما وصفته سبحانه بوصف إلا اتصفت به ذاتك، و لا تسميه باسم وقد حصلت منه تخلفا و تحققا مقاماتك و صفاتك فأين ما أثبت له دونك من جهة العميم وغاية معرفتك به أن تسلب عنه نقائص الكون وسلب العبد من ربه تعالى ما لا يجوز عليه زاجع إليه وفي هذا المقام قال من قال سبحانه ما أعظم شأنني دون شؤوني هيهات وهل يعزى من شيء إلا من لبسه أو يؤخذ شيء إلا

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ممن حبسه ومتى لبسي الحق صفات النقص حتى تسلبه عنها
أو تعريه، و والله ما هذه حالة التنزيه، وإنما الملحد الجاحد، حكم
على الغائب بالشاهد، و ظن أن ذلك نص فنسب إليه النقص،
فإذا إثره نفسي أن ألبس ما لبه هذا الملحد، وأعربها منه حتى
أكون المحقق الموحد فنفسي إذا نزهت وذاتي قدست، و الباربي
سبحانه منزّه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه، فالتنزيه راجع
إلى تطهير محلك لا إلى ذاته. و هو من جملة منحه لك وهباته،
فالحمد لله الذي قدسك، و على ثوب التنزيه الذي ألبسك،
ولولانا ما لاح لعينيك من ذلك لمحة بارق، وطرقك عند
هجعتك منه خيال طارق، ما صحت لك هذه العناية ولا ألبسك
ثوب الخلافة و الولاية و خرجت بها في وجودك كما كنت
عليها في الصفة العملية و المشيئة الاختيارية سابقة قدم قبل
خط القلم فاعلم أنك متصل به في الصفات المعنوية من جهة
الظلال من غير اتصال منفصل عنه بالصفات النفيسة المجهولة
في كل حال من غير انفصال فلو ما وصفك بأوصافه، واعتنى
بك في سورة إعرافه، وأنزلك فيها منزلته في وقت القبضتين
والتعالى و قوله هؤلاء إلى الجنة و لا أبالي و هؤلاء إلى النار
و لا أبالي، لما ارتفع عنه النفع والضرر و تنزه عن صفات
البشر فقال تعالى: ﴿و على الأعراف رجال يعرفون كلا
بسيماهم﴾. و ما كانوا له وفيه ومالهم وذلك لما خلق سبحانه
و تعالى هذا الشخص الإنساني على صورته وخصه بسريرته
فصفاته الحق صفات العبد، فلا تعكس فتتكس، فانظر إلى ما
أشرنا إليه في هذه الشذور و تأمل ما وراء هذه الستور، و تحقّق
ما حصل عندك من معرفة الصفات و إياك والالتفات، فما
عرفت قط صفة على الحقيقة من معبودك وإنما عرفت ما

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تحصل من أوصاف في أركان وجودك فما زلت عنك وما خرجت منك والتحقت صفتك بذاتك فتنزهت عن تعلق علمك بماهيتها، واتصلت في ذلك معرفتك بذاتها، فأنت العاجز عنها، الواقف دونها، فعلى طريق التحقيق، ما عرفت ربك من كل طريق، وما عرفت أيضا سواه، و ما نزهت إلا إياه فإن قلت عرفته قلت الحق و أنت تلاحق، و إن قلت لك أنك لم تعرفه قلت الصدق و أنت السابق، فاختر النفي لنفسك أو الثبات فقد تنزهت الصفات، من تعلق العلم الحادث بها كما تنزهت الذات. الأفعال موج ضرب في الساحل وانصرف و ترك به اللؤلؤ والصدف فمنهم من زهد و منهم من اغترف، و لما كانت نجوم السماء السيارة، تضاهي بعض الأسماء من باب الإشارة، وهي باب في الأحكام على صورة وأقسام فمنها ما هو لسلب النقائص والتشبيه ونفي المماثلة للتنزيه، وهو حظنا في هذا التركيب من علم الذات ومنها ما هو شرط الإلوهية، ومنها ما لا ينقص بعدهم لو جاز على الماهية، وهو علم الصفات ومنا ما هو لتعلق إيجاد العين، والتأثير في عالم الكون العزيز الغني صفات جلال و نقول في اسمه تعالى العليم السميع البصير صفات كمال و نقول في اسمه تعالى الخالق الباري المصور صفات أفعال و ما فيها و الحمد لله صفة إلا لنا فيها قدم ولنا إليها طريق أم فهذا الباب لصفات الفعل و هو باب الطول والفضل والأنعام والبذل، أمتن سبحانه وتعالى أو لا بالإيجاد من غير أن يجب ذلك عليه، أو يظطره أمر إليه، بل كان مختارا بين العدم و الوجود، فاختر أحد الجائزين ترجيحا و سعادة للعبيد، فعلق بنا القدرة بين العدم والوجود و لا بعينيه، فبرز للعين عن تعلقها دون كلفيته إذ كانت غير متعلقة بوجوده، و لا

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أيضا متعلقة بمفقود، وهذا بحر ليس له قعر فرددناه للفضل المتقدم، ولم أكن فيه بالجائز استحكماً، وذلك لو علمنا حقيقة القدرة الأزلية وماهيتها في العالمية، لعرفنا كيف تحققت ومتى تعلقت ولم نقدر في هذا الكتاب على قياس الغائب على الشاهد لأننا ما اجتمعنا على معنا واحد، إذ ليس للقدرة الحادثة تعلق بإيجاد كون وإنما هو سبب عادي لإبراز العين وحجاب نصبه الحق في أول الإنشاء ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء والفعل قد يكون نفس المفعول بالتشبيه والاشتباه كقوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ أي مخلوق الله، وقد يكون عبارة عن حالة عند تعلق الفاعل بالمفعول وكيفية تعلق القدرة الأزلية بالإيجاد الذي حارت فيه المشاهد والعقول وكل من رام الوقوف على نكص على عقبه ورجع عن مذهبه وهو قوله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وقال في حق أنفسهم وأقدمهم حين ﴿ قَالَ رَبِّي أُرْنِي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى ﴾ فأراه آثار القدرة لا تعلقها فعرف كيفية الإنشاء والتحام الأجزاء حتى قام شخصاً سوياً، وما رأى تعلق قدرة ولا تحققها، فقال له الخبير العليم. اعلم أن الله عزيز حكيم لما تقدمه من صورة الأطيوار وتفريقه الأطوار، وكما نفخ المسيح في صورة الطين الروح، وانتفض طيراً وأظهر في الوجود خيراً، فكان النفخ له حجاباً، وما فتح له من باب تعلق القدرة باباً، وكذلك يقول من سأل الله تعالى أن يقول للشيء كن فيكون، ذلك عنده أمراً وينفرد الحق بسر نشينه ونشره، فالنفاصيل بين الخلق إنما هو في الأمر الحق، فشخص يكون أمراً ربانياً لتحقيقه فيكون عنه ما يشاء، وآخر غير متحقق،

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ليس له ذلك، وأن كان قد ساوه في الإنشاء فسبحان من انفرد بالاختراع والخلق و تسمى بالواحد الحق لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

محاضرة أزلية على نشأة أبدية، اجتمعت الأسماء بحضرة المسمى اجتماعا وتريا منزها عن العدد في غير مادة و لا أمد، فلما أخذ كل اسم فيها مرتبته ولم يتعد منزلته، فتنازعا الحديث دون محاورة و أشار كل اسم إلى الذي بجانبه دون ملاصقة و لا مجاورة، وقالت يا ليت شعرنا هل يتمن الوجود غيرنا، فاعرف واحد منهم ما يكون، إلا اسمان، أحدهما العلم المكنون فرجع الأسماء و أشار إلى الاسم العظيم الفاضل، وقالوا أنت لنا الحكم العادل فقال نعم بسم الله و أشار إلى الاسم الجامع الرحمن، وأشار إلى الاسم التابع الرحيم، و أشار إلى الاسم الأعظم العظيم و صلى الله ورجع الجامع من جهة الرحمة على النبي و أشار إلى الاسم الخبير، والعلي محمد الكريم، وأشار إلى الاسم الحميد، خاتم الأنبياء، و أول الأمة و صاحب لواء الحمد و النعمة، فنظر من الأسماء من لم يكن له فيما ذكره العظيم حظ، و لا جري عليه من أسماء الكريم لفظ، وقل العظيم من ذا الذي صليت عليه، و أشرت في كلامك إليه، و قرنته بحضرة معنا، و قرعت به سمعنا، ثم خصصت بعضنا بالإشارة و التقييد إلى اسمه الرحيم و الحميد فقال لهم عجا وهذا هو الذي سألتموني عنه أن أبينه لكم تحقيقا، وأوضح لكم إلى معرفته طريقا، هو موجود يضا هيكم في حضرتكم، و ظهر عليه آثار نفحتكم، فلا يكون في هذه الحضرة شيء إلا و يكون فيه و يحصله و يستوفيهن و يشاركم في أسمائكم، و يعلم بي

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

حقائق أنبائكم، وعن هذا الموجود المذكور، الصادر من حضرتكم، وأشار إلى بعض الأسماء، منها الموجود والنور، يكون الكنه والكيف وابن وفيه يظهر بالاسم الظاهر حقائقتكم، وباليه و كان هذا الاسم المنان وأصحابه يمتد رفانقتكم، فقالت نهتنا عن أمر لم نكن به عليما و كان هذا الاسم إشارته إلى المفضل علينا عظيما، فمتى يكون هذا الأمر، ويلوح هذا السر، فقال سألتكم الخبير واهتديتم بالصير، ولسنا في زمان فيكون بيننا وبين وجود هذا الكون مدة و أوان، فغاية الزمان في حقنا ملاحظة المشيئة القديمة و النسبة، فتعالوا نسال هذا الاسم الاحاطي في جنسه، المتنزه في نفسه، وأشار إلى المرید فقيل له متى يكون عالم التقيد في الوجود الذي يكون لنا فيه الحكم والصولة و تجول بظهور آثارنا عليه الكون على ما ذكره الاسم العليم حوله، فقال المرید، وكان به قد كان، و يوجد في الأعيال، و قال الاسم العليم، و يسمى بالإنسان، و يصطفيه الاسم الرحمن و يقبض عليه الاسم المحسن وأصحابه سوايغ الإحسان فأطلق اسم الرحمن محيا و حيا المحسن و بياه، و قل نعم الأخ و نعم الصاحب، وكذا الاسم الواهب فقال اسم الواهب فقال أنا المعطي بحساب و غير حساب فقال الاسم الحبيب أريد عليكم ما تهبون و أحسب عليكم ما تعطونه بشهادة الاسم الشهي فإني صاحب الضبط و التقيد غير أن الاسم العليم قد يعرف المعطي له ما يحصل له فيوقت، و يبهم عليه الاسم المزيد، فيوقت أبهى ما يعمل و لا يمضيه ويريد لكم لزيمة و نعم الجار و الحميم فوزعت الأسماء كلها مملكة العب الإنساني على هذا الحد الرباني و تفاخرت في الحضرة الإلهية الذاتية بحقائقتها و بينت حكم مسالكها و طرائقها و تعجلوا في وجود هذا الكون

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

رغبة في أن يظهر لهم عين، فلجاوا على الاسم المرید الموقوف عليه تخصص الوجود و قالوا سالنالك بهذه الحضرة التي جمعتنا و الدار التي تسلمتنا إلا ما علقت نفسك بهذا الوجود المنتظر فاردته، فأنت يا قادر سالتك بذلك إلا ما أوجدته وأنت يا حكيم سالتك بذلك إلا ما أحكمته و أنت يا رحمن سالنالك إلا ما رحمته ولم تزل كلها واحدا قائما قاعدا، فقال لها القادر على المرید بالتعلق وعلي بالإيجاد و قال الحكيم على القادر بالوجود و علي بالأحكام فقام الرحمن و قال علي بصلّة الأرحام فإنه سجنه مني فلا صر له عني فقال له القادر كل ذلك تحت حكمي و قهري فقال القاهر لا تفعل إن ذك لي و أنت خديمي و إن كنت صاحبي و حميمي فقال العليم أما الذي قال تحت حكمي فليقدم علمي فتوقف الأمر على جميع الأسماء وأن بجملتها و جود عالم الأرض و السماء و ما بينهما إلى مقام الاستواء، ولو فتحنا عليك باب توقفها والتجأ بعضها إلى بعضها لرأيت أمرا يهولك منظره و يطلب لك خبره و لكن فيما ذكرناه تنبيه على ما سكتنا عنه وترناه، فلنرجع و نقول، و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل فعندها وقع هذا الكرم الأنفس في هذا الجمع الكريم الأقدس تعطشت الأسماء إلى ظهور آثاره في الوجود ولا سيما الاسم المعبود و لذلك خلقهم سبحانه وتعالى ليعرفوه بما عرفهم و يصفوه لما وصفهم فقال ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعموه فلجأت الأسماء كلها إلى اسم الله الأعم و الركن القوي الأعظم، فقال ما هذا اللجأ ولأي شيء هذا الالتجاء، فقالت أيها الإمام الجامع لما نحن عليه من الحقائق والمنافع ألتست العالم أن كل واحد منا في نفسه على حقيقته و على سنة و طريقة

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وقد علمت يقيناً، إن المانع من إدراك الشيء مع وجود النظر كونك فيه لا أكثر، فلو تجرد عنك بمعزل لرأيتَه وتنزهت بظهوره، وعرفته ونحن بحقائقنا متحدون لا نسمع لها خراً، ولا نرى لها أثراً، فلو برز هذا الوجود الكوني وظهر هذا العالم الذي يقال له العلوي والسفلي، لامتدت إليه رفاقنا وظهرت فيه حقائقنا، فكنا نراه مشاهد عين، لما كان منا في عين، وفي حال فصل بين ونحن ياقنون على تقديسنا من الأينية وتنزيهها عن إحاطتهم بنا من جهة الماهية الكيفية فغايتهم أن يستدلوا برفاقنا على حقائقنا استدلال مثال وطرق ميال، وقد لجأنا إليك مضطرين، ووصنا إليك قاصدين فلجأ الاسم الأعظم لي الذات كما لجأت الأسماء والصفات، وذكر الأم وأخير السر فأجاب نفسه المتكلم بنفسه العليم، إن ذلك قد كان بالرحمن فقل للاسم المرید يقول للقائل يأمر بكن، والقادر يتعلق بإيجاد الأعيان، فظهر ما تمنيتم ويبرز لعيانكم ما أشتهيتم فتعلقت بالإرادة والعلم والقبول، والقدرة، فظهر أصل العدد والكثرة وذلك منحصرة الرحمة وفيض النعمة، أصل التبا وأول النشء نشأ سيدنا محمد (ص) على أكمل وجه وأبدع نظام بحر اللؤلؤ والمرجان الودع في العالم الأكبر والإنسان ولما تعلقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، في الحضرة الأحدية وذلك عندما تجلى لنفس بنفسه من سماء الأوصاف وسأل ذاته موارد الإلصاق في إيجاد الجهات والأكناف فتلقى ذلك السؤال منه إليه بالقبول والإسعاف فكان المسؤول والسائل والداعي والمجيب والمنيل والنانل فكمّن فيه كمون تنزيه ودخل جوده في حضرة علمه نهاراً وفجرنا عيوننا وأنهار، ثم سلخ العالم منا فكانت

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

سماء عليهم مرا و ذلك أنه سبحانه اقتطع من نور غيبه، قطعة لم تكن به متصلة فتكون عنه عند التقاطع منفصلة، و لكن لما نظره سبحانه و تعالى الصور. فصار كان ثم جنسا بجمعها ضرورة فكن قطع هذا النور المنزل و الممثل من ذلك الجنس التخيّل، و الباري منزه في نفسه عن قيام الفصل به و الوصل والإضافة بالإنسان إلى جنسه فهو قطع مثلي أدي أحدي عن معني زلي فكان لخضرة ذلك المعنى بابا و على وجهها حجابا، ثم أن الحق صيره حجابا لا يرفع وبابا لا يقرع و من خلق ذلك الحجاب، يكون التجلي و من وراء ذلك الباب يكون التدلي كما إليه ينتهي التداني و التوالي، و على باطن ذلك الحجاب يكون التجلي في الدنيا للعارفين ولو بلغوا أعلى مقامات التمكين و ليس بين الدنيا و الآخرة فروق العارف في التجلي عم غير الإحاطة بالحجاب يكون تجلي الحق له خلف حجاب البهاء وإن شئت رد الثناء، وما ذكرناه زبدة الحق اليقين و تحفة الواصلين فلنرجع إلى ما كنا بسبيله من حسن النشأ، و قبله فنقول على ما قدمنا في حق الحق من التنزيه و نفي المماثل من التشبيه أنه سبحانه و تعالى و لما قطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة أنشأ منها محمد (ص) على النشأة التي لا تتجلي أعلامها و لا يظهر من صفاته إلا أحكامها ثم اقتطع العالم كله تفصيلا عن تلك الصورة وإقامة متفرقا على غير تلك النشأة المذكورة إلا الصورة الأدمية الإنسانية فإنها كانت ثوبا على تلك الحقيقة المحمدية النورانية ثوبا يشبه الماء و الهواء في حكم الدقة و الصفا فتشكل بشكله فلذلك لم يخرج في العالم غيره على مثله، فصار حضرة الأجناس إليه يرجع الجماد و الناطق و الحساس و كان محمد (ص) نسخة من الحق بالأعلام، و كان آدم نسخة

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

منه على التمام و كنا نحن نسخة منهما عليهما السلام، وكان العالم أسفله و أعلاه نسخة منا وانتهت الأقلام غير أن في نسختنا من كتابي آدم و محمد سر شريف و معنى لطيف، أم النبيون المرسلون و غير المرسلين والعارفون والوارثون منا منفسخاً منهما على الكمال و أما العارفون والوارثون من سائر الأمم، والمؤمنون منا فنسخة من آدم واسط محمد عليهما السلام في حضرة الجلال، و أما أهل الشقاوة و الشمال فنسخة من طين آدم لا غير، فلا سبيل لهم إلى خير، فتحقق المحمدية المنبه عليها بليس كمثل شيء و ما نزل عليها ممن النسخ فعدم دليل وظل و في أربعة الأربعة والحقيقة المنزه مرتفعة، ثم خلق الخلق وفتق الرتق و قدر الرزق و مهد الأرض و أنزل الرفع والخفض وأقام النشأة الأدمية والصورة الابهامية، وجعلها تتناسب و تتفاضل وتترافع وتتنازل إلى أن وصل أوانه و جاء زمانه فصير العلم كله في قبضته و محضته فكان جسم محمد(ص) زبدة محصنه، كما كانت حقيقة أصل نشأته فله الفضل بالإحاطة وهو المتبوع بالوساطة إذ كان البداية و الختم و منحل الإفشاء والكتم فهذا هو بحد اللآلئ دليل النواشي، وقد تمهد فاستره وتجسد فاخبره، فقد حصل في علمك شيء أول موجود و أين مرتبته من الوجود ومنزلته من الجود ثم علق العالم به تعلق اختيار الحق، لأنه استوجبه بحق حتى يصح أنه تعالى المنعم المفضل ابتداء على من شاء بما شاء لاحقة، و لما كان من العالم دوريا و نشأة فلكيا رجع العود على البدء، واستوى الكل في النشأ و صار اللابس ملبوسا و المعقول محسوسا، فوجود أسرار الكون الأكبر في العالم الأصغر إعادة و هو لها إشارة كما بدأكم تعودون و لقد علمتم النشأة الأولى

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فلو لا تذكرون ولهذا جعلها المحجوبون، بعقولهم كرة خاسرة فقالوا أيننا لمرودودون في الحافرة فليس هناك في النشأة حقيقة زائدة سوى أعراض واردة، إشارة وإن كان تبين فيما تقدم معناها و لكن هنا منتهاهها هل الإنسان معدوم في العالم الأكبر وهو منفصل عنه بمقامه الأزهر، فإنه آخر موجود حسا وأول موجود نفسا، فإن كان من جملة العالم الأكبر فأين نسخته وإن لم يكن من جملته فعلى أي نسبة يخبر به عند فح البصر وردد النظر، وخلص الذكر و المقابلة واستعن بالفكر والمراقبة، وتهيأ للقبول بما يرد عليك به الرسول فستقف من ذلك على جلا، وسيكشف عن عينك غطا العمى، وهذه نكتة فاعرف قدرها وحقق من أمرها، فهي زبدة الأمر وخفي السر، وإن شئت أنبتك فاسمع وحصل ما أشير به إليك واجمع العالم في الأين والإنسان في العين فإن كنت في الإين فأنت منه وإن كنت في العين، فلا نخبر بك عنه، ولست بحق في عدم الأين، ولكنك برزخ الأمرين، صاحب لقاء وإلقا وسيد نزول والتقاء برزخ فانظر أينك وحقق عينك وأنا المبرأ من تأويلك والمقدس عن تفضيلك إلا أن وافقت أمر الحق والحققتني بالخلق وهذا لب لمن كان له قلب قشر عليه لئلا يتوصل من ليس الإنسان لينبأ بشيء زائدا على جميع تلك المعاني عند افتراقها، وشمل تلك الأجناس و العيون عند اتفاقها فعلى هذا الوجه صح العارف سلخه فكان له أكبر نسخة. حظ الإنسان من العالم، واعلم أن على ما اقتضاه الكشف والعلم روح العالم و العالم الجسم فهو الآن روح للعالم الدنيا به بقاؤه، و به فتق أرضه وسماؤه وعالم الأخرى إلى أن يفتتح فيه الأمر الرباني هذا الروح الإنساني فهو الآن كصورة آدم قبل نفخ الروح، أو الأرض قبل إشراف بوح فإذا

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أخذ هذا النشأ الإنساني من هذا العالم الذنيوي، تهدمت لك الدنيا ستر وجنة الروح المضاف إلى الحق الذي نفخ منه في عالم الحق هي الحقيقة المحمدية لقائمة بالأحدية، فعلى هذا الحد هو الإنسان في الدارين، وظهوره في العالمين نشأ العالم من حقيقة المحمدية نشأ ما العرش منها لؤلؤ كان لغرض أن أجعل إلى جانب كل لؤلؤة في هذا الباب مرجانها و مع كل بداية نهايتها، غير أن الفصل لما كان لبيان ما تعددت عن ذات واحد، وظهر عنها من أجناس متباعدة أردت أن أكمل لآليه على نسق، وأجعلها طبقا تحت طبق حتى تأتي على آخر الكون، رغبة أن لا يتحير الناظر فيه فتذهب عنه أكثر معانيه، فإن استوفيت إن شاء الله لإلهيه، ورتبت نواشئه، وعرف الطالب مقراه وتبين معناه. أخذنا في سياق مرجانة على ترتيب لآليه المرجانة الألي للؤلؤة الأولى من هذا الفصل على أحسن نظم و أبدع صنع وأحكم وصل فأقول أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما أبدعه سبحانه وتعالى حقيقة مثلية، وجعله نشأة كلية حيث لا أين ولا بين وقال له أنا الملك وأنت الملك وأنا القدير، وأنت الفلك وسأقيمك فيما يتكون عنك من مملكة عظما، وطامة كبرى، سايسا ومدبرا، وناهيك وأمرأ تعطيتها على ماحة أعطيتك وتكون فيهم كما أنا فيك، فليس سواك كما لست سواي فأنت صفاتي فيهم وأسمائي، فخذ الحد وأنزل الهد، وسألك بعد التنزيل والتدبير عن النفير، والقمطير فقصر لهذا الخطاب عرفا حيا، فكان ذلك العرق الظاهر ماء، وهو الماء الذي نبابه الحق تعالى في صحيح الأنباء فقال سبحانه وكان عرشه على الماء، وهو منتهى الخلا إلا ما كان هنالك من زرع مستقر، حامل لهوا مستقر، ليس وراء ولا يكون فيه خلا أو ملا. لؤلؤة نشأت الملا

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الأعلى ثم إنجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح، فظهر الملائكة الأعلى وهو بالنظر الأجلّي فكان لهم المورد الأجل فكان صلى الله عليه وسلم الجنس العالي إلى جميع الأجناس والأب الأكبر إلى جميع الموجودات والناس، وإن تأحرت طبيئته فقد عرفت قيمته، فلما وقع الاشتراك مع الأملاك في عدم الأين، حتى كأنهم في العين أراد صلى الله عليه وسلم التفرّد بالعين وتحصيل الملائكة الأعلى في الأين. **لؤلؤة نشأة العرش منه:** فلما علم الحق سبحانه وتعالى إرادته، وأجرى في إمضائها عادته نظر إلى ما أوجد في قلبه من مكنون لأنوار رفع عنها ما اكتنفها من الأستار، فتجلى له من جهة القلب والعين، حتى تكاثف النور من الجهتين فخلق سبحانه وتعالى من ذلك النور المنفقه عنه صلى الله عليه وسلم العرش وجعله مستواه وجعل الملائكة الأعلى وغيره مما ذكره ما احتوى لكنهم منه صلى الله عليه وسلم بالموضع الأدنى ومن مستواه بالتجلي الأسنى فحصلوا في نيته الحصر، وتمكنوا من قبضته الأسر وانفرد صلى الله عليه وسلم في مستواه بمن اجتباه ومن اصطفيه، وصيره الحق تعالى خزانه سره وموضع نفوذ أمره، فهو المعبر عنه بكن لما لم يكن فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خبر إلا عنه، وهو حجاب تجليه وصياغة تجليه، وترقي تدانيه، وتلقي تدليه. **لؤلؤة نشأة الكرسي منه:** ثم نظر طالبا أين يضع قدميه وأين موضع نعليه فانبعثت من تلك الطريقة أشعة في الخلا استدارت أنوارها كاستدارة المرأة لطيفة الكيف فارغة الجوف، معلومة المنازل عن السالك والراحل، فجعل ذلك الكور وأنشأ ذلك الدور كرسيًا لقدميه وحضرة لنفوذ ما

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يصدر من الأمر بين يديه، فيخرج الأمر منه متحد العين حتى إذا وصل الكرسي أنقسم قسمين إذ كان المخاطب من ذلك الموضع إلى أقصى الأسفل موجود بين اثنين، وإن كان واحدا فمن جهة أخرى وعلى ذلك الواحد، تتابع الرسل تترى، فإن المخاطب بجميع الأشياء إنما هو الإنسان ليس ملك ولا جان فإن الملك والجان جزء منه، والنموذج خرج عنه فله بعض من شيء ثم عم بقوله ثم إلى ربهم يحشرون كما نبه على الحقيقة المحمدية التي هي أصل الإنشاء وأول الإبتداء فقال وعنده أم الكتاب فنحن الكتاب الأجلي وهو الأم الأعلى فالإنسان الكتاب الجامع، والليل المظلم والنهار المشرق الساطع فمن علو مرتبته، وسمو منزلته، وإنه واحد بالنظر إلى معناه، وإثنان بالنظر إلى حاله، وثلاثة بالنظر إلى عالمه، وأربعة بالنظر إلى قواعده، وخمسة بالنظر إلى مملكته، وستة بالنظر إلى جهاته، وسبعة بالنظر إلى صفاته، وثمانية بالنظر إلى نسخته، وتسعة بالنظر إلى مراتبه، وعشرة بالنظر إلى إحاطته واحد عشر بالنظر إلى ولايته، وهو روح القدس فإن أمده الروح من غير كشف ملكي وهو تابع لغيره فهو صديق، وهي النزلة الحادية عشر في الإنسان وإن أمده على الكشف الملكي وهو أيضا تابع أولا تابع ولا متبوع فهو نبي وهي المنزلة الثانية عشرة في الإنسان وإن أمده على الكشف الملكي وهو أيضا تابع أولا تابع ولا متبوع فهو نبي وهي المنزلة الثانية عشرة في الإنسان وإن أمده على الكشف الملكي وهو تابع ولا تابع فهو الرسول وتلك الرسالة وهي المنزلة الثانية عشر في الإنسان بتمام وجود الإنسان وتم الوجود، وتم الوجود في العشرة، ثم جاء الحادي عشر نظير لأول إذا تأملت منعطف عليه ونظير الثاني عشر

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

والثالث عشر نظير الثاني والثالث من البسائط وتبيين ذلك في الوسائط فاعتكفت ملائكة التقيد على قدميه لاحظته ولما يصدر عنه من المعلوم فيها حافظة، فإن قيل هذا الكرسي الأحملي فأين اللوح المحفوظ والقلم الأعلم وأين الدواة واليمين، وكيفية كتاب التعيين، فنقول تركنا تعيين ما ذكرته موقوفا على نفسك حتى تطلع على ذلك ببصرك عند شروق شمسك وقد نبهنا عليها في هذا الكتاب بالتضمنين لا بالتعيين فاتحد فؤادك وقوي اجتهادك عسى الله أن يفتح لك بابا من عنده عند مواظبتك على الوفاء بعده والصديق بوعيده ووعده. **لؤلؤة الأفلاك:** وهي أرواح السموات نشأ السبع الطابق الطرائق والكواكب منه سبحانه منه فلما كمل هذا الكرسي واستقر فيه الملائكة الأحمري أحال أنوار السبعة الأعلام فكان عنها السبع الطرائق متماسة الإجماع جعلها سقفا مرفوعا لمهاد سيكون إذ توجه عليه الأمر بقوله تعالى: كن فيكون وكواكبها منتهى الأشعة في الخلا على الاستيفاء فسقطت الأنوار، وتجارى وانتشأت الأفلاك، واستدارت وهي منتهى الأشعة، وبقي منتهى الأشعة على أصله نيرا في محله فالأفلاك الإحاطة، التي أتصفت بها الوساطة وتحريكها بالتماس مشروط على عقد مربوط واختصت كواكب المنازل بالكرسي الكريم لما كان المقام الذي يفرق فيه كل أمر حكم، فتنبه يا غافل وتدبر يا عاقل لهذا النشأ المصون والكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون ولما استدارت هذه الأفلاك متجوفة، واستقرت بساحتها عوالم الأملاك متخوفة وكملت البنية في النشأة العلوية، واستمرت الجرية وطلب التأثير يأتيه فلم يجد، فيرجع فقيرا إلى حجاب الأحذية فجاء عند قدميها راغبا، ولمملكته منها طالبا وضجت ملائكة السماء

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وما بقي هنالك من الأسماء إلا وجود الأرض والماء والنار والهواء. لؤلؤة نشأ العناصر الأول منه: فنظر صلى الله عليه وسلم ذاته بعين الاستقصاء، إذ قد أنشأه الحق محل الإحصاء ثم نظر ما وجد منه فوجد الملاء الأعلى، والعالم الأدنى وفقد العالم الأوسط والأقصى فأخذ يدبر في إيجاد أصول الكون الأسفل، والنور الأنزل، إذ لا بد لكل علو من سفلى ولكل طيب من نفل، فقبض عليه الحق سبحانه عند هذه النظرة، ومرور هذه الخطوة وقبض الجلالة والهيبة ليخرج ما بقي من الأشعة في تلك الغيبة فعندما اشتد عليه الأمر وقوي عليه القهر، وظهر عليه العدل والأمر، ورشح لتلك النقطة فكان ذلك الرشح ما ثم نفس عنه سيراً فتنفس فكان ذلك النفس هواء، ثم أوقفه على سر الجهة التي قبضه منها فلاح له ميزان العدل قائماً على نصف ذاته فزفر زفرة له، فكانت تلك الزفرة ناراً، فسد عنه في ميزان العدل بحجاب الفضل، فوجد برد الرحمة، فبيس ما بقي من الرشح بعد نظره فكان ذلك اليبس والبرد أرضاً قداراً، ثم ناداه من حضرة العين يا محمد هذه أصول الكون، فصيرها إليك ثم أمزج بعضها ببعض فيكون منه عالم الهواء والأرض والجامع لهؤلاء العوامل الإنسان هو الذي أشار إليه العارف بقوله لا أبدع من هذه العالم في الإمكان، فتكون الخلاف والمثل، فظهرت الصورة والشكل وكل خلق بالإضافة إلى ما خلق منه يسير، وإلى ما كون منه بعد الخلا له يصير وستعلم أن رفيقه القديم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، إلى ما خلق من طين ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فعرف من أي جاء وزال الظل ثم

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أفاء ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾، مشاهد تمكين. ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾، عند مكاشفة التعيين، ﴿ليس الله بأحكم الحاكمين﴾، بين المتنازعين من أهل البرازخ بين الشمال واليمين فصن هذه الدرر وتكتم واستتر. لؤلؤة الدخان الذي فتقت فيه في السموات العلى: ولما خلق الله هذه العناصر الأول، على الخلق الذي قدره في الأزل، جعلها سبعا طباقا، وأسكنها أقواتا وأرزاقا، كما أسكن الطباق العلى معارف وأخلاقا، فتماست طباق الأرض، وحك بعضهما في بعض، فتولد بينهما لهب، ذو سبع شعب كل شعبة من جنس أرضها، ولذلك تميز بعضها من بعضها فعلى من كل لهيب دخان مختلط، ففتق ذلك الماء والهوى والنار، ومازج أفلاك الدراري والأنوار مرتوق الشعب منزوع اللهب، ففرقته الأفلاك والنيران بحقائقها فكان فتقا، وصعد هيولانها فصيره الحق عند هذه الأسباب صورا وخلقا فاداره سبع طريق وجعل الأفلاك أرواحا لهن وحقائق فقال تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان وقال فقضيهن سبع سموات في يومين بعدما خلق الأرض وقدر فيها القوت في أربع أيام وذلك لكثافة الأجرام فإنها أربعة عناصر مختلفة الأواصر، ولما كان الدخان من نار السبع الطباق الترابية، فكانت مختلفة في اللونية، كذلك جاءت الطباق السماوية مختلفة في اللونية، فزرقة وصفرة وحمرة وبياض، وخضرة كل سماء من جنس أرضها إذ هي من بعضها، وكذلك لما كان أصل السموات أرضيا عنصريا، زالت بزوالها في الآخرة، وبقيت الأفلاك العلوية في أوجها دائرة من غير جرم محسوس ولا جسم ملموس، وكذلك لا تظهر فيها النجوم فإن الفلك يبرز بذاته على العموم. إذ النجم عبارة عما ظهر من الفلك فتأمل يا أخي

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

هذا الخبر الذي شملك، فالأفلاك باقية ببقاء الجنان، والإنسان والسموات باقية ببقاء الأرض والحدثان، فتأمل لولا الحقائق المرتبطة والأفلاك الروحانية المتوسطة، ما بدلت الأرض غير الأرض، وصارت درمكة بيضاء تحت قدم الخفض فظهور الأفلاك النيرات، عبارة عن تبديل السموات فتأمل هذه الإشارات، وابحث عما تضمنته هذه العبارات، لؤلؤة نشأ منها مثال رؤية الحق في عالم الخلق، وتجلي الحق سبحانه وتعالى للناطق من الحيوان كتجلي السراب للظمان وليس في الكون كله شيء يشبه حلي الحق إلى قلوب العباد من سماء المعرفة سوى هذه الصفة، ألا ترى التجلي لا يكون إلا من أعلى أدنى، وجعل القيعان دون الجبال مجلا للسراب الأسنى فانظر حكمة ما أجلاه وقطرة مزن ما أعذبها وأحلاها، ثم حجب حقيقة هذا السراء نصبة تشبيها بعمل أهل الكفر، ثم نبه أهل الإشارة على عظمته عنده في آخر الأمر، فقال حين أنزل عهده، وخاطب عبده حتى إذا جاءه لم يجد شيئا ووجد الله عنده، فستره أولا بعمل الكفر وبتوفيه الحساب بعده، إذ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، ولا يدرك وصفه وهو اللطيف الخبير فارفع هذه الطنب، واخترق هذه الحجب تبصر العجب العجاب، وتشكر القشر الذي صان هذا الباب. **لؤلؤة التحام اليواقيت وانتظام المواقيت:** ولما تمهدت الخليفة وامتدت الدقيقة، إلى الحقيقة، وتجسد في أول النشأ الترابي الشخص الجسماني الأدمي المخلوق بيد التنزيه والمكسو حلة التشريف والتنويه ويردد الجسد طورا بعد طور، وكورا بعد كور، في قوالب يكثر عددها ويكبر أمدها، حتى كانت تلك الأطوار في تلك الأدوار

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

نشأة متّحدة، وهينة فردية متجسدة فلما كملت نيتها، وتخلصت تصفيتها، نفخ فيه الشخص الروحاني، والكلمة الإلهية، والأمر الرباني، فقامت النشأة على ساقها تعتمد وبأمرها تستند، وتواري الدور بالنشأة على أصل البدء، إلى أن سلخ ذلك النهار من ليل أرضه، والتحق بعنصره الأعلى واختلط ببعض ببعض وبقي أوجه الأعلى رقبيا، وعلى تعاقب الأدوار حسيبا، ولتبصرنه على التعين، في مقام التمكين ولتعلمن نباه بعد حين وهو إذ ذاك أحكم الحاكمين فلما ارتفع كما ذكرناه، في الرد الذي به سترناه تحققت المهلكة بالفساد، وعم الهلاك جميع البلاد والعباد، إلى أن حلت الشمس في حملها ثبت شرفها وجذلها وسطع النور وتنزل الأمر فلم يبق أحدا أعلاه إلا صعق لذلك التجلي ولا بقي رفرق أسني إلا كان الصون حتى وصل إلى عالم الكون، فحل الدرى المشرق في برجه، وحصل الرقم المودع في درجه، فكان ياقوتة حمراء لها ياقوتة صفراء، فأودعها سبحانه فيها، وختم عليها بخاتم إن الساعة آتية أكاد أخفيها، فلما التحقت الحقيقتان والتفت الرفيقتان زهرت الأفلاك واعتصمت الأملاك، وظهرت الرجوم، لمن أراد الهجوم، وتنزل الروح الحق، والكلم الصدق، ثم اختلت الياقوتتان في الظلمات لتعاين الصغرا منهما، ما غاب عنها من الآيات، فعندما اجتمعت الصغرا بأختها كانت لها بيتا، ثم ارتقت إلى من كانت له بيتا، فأكرمت إلا موالها وحمدت مسوالها فطلعت الحمرا من خلف حجاب الكتم، فإذا هي بنور الختم فخطبه بلسان الاستنباء، أنا خاتم الأولياء ومقدم جماعة الأصفياء، أنا مكنون حكمتك، وخاتم أمتك، فقالت له هل لك في أن تكون معي وزيرا صديقا، فقال قد استخلفت عتيقا وشال رداءه فإذا

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بالصديق أذاه، وشمس الغرب وراه ثم فارقه وقد شاقه، فلما عمت الأغبار وتقطعت الأنوار والتصقت الرفيقة المثلية بالحقيقة الكلية، في أنبوب الزمردة الطينية، سمع صوت وزيرهن وصاب سره وتدبر الذي استخلفه خاتم أوليائه، في الجري على أنجائه، ثم كانت أمور في هذه التجلي، لا يسع الوقت إلى إنسانها، ولا يعطي الحال أيضا إذاعة أنبائها، فإن كان القصد في هذا الكتاب إنما هو معرفة الخليفة والختم وتنزل الأمر الحتم، فنقول فرجع عوده على بدنه في ليله وأدرك صلاة الصبح مع أهله فتسود ذلك الجسد على أمثاله ممن تقدم أو تأخر من أشكاله. لما كانت مادة الحقيقة الأصلية و النشأة البدائية إليه اسمه من ذاتها وإلى غيره من صفاتها **لؤلؤة اعتراض لمن أصاب الصيد بالمعراض**: ولما كان هذا النشأ الحمدي بهذه المنزلة العلية، كان الأصل الجامع لجميع البرية، وصح له المجد الذي لا ينبغي لغيره، وأقامه الحق سبحانه وتعالى صورة نفعه وضييره عدلا وفضلا، وجمعا وفضلا، وأراد الحق أن يتم مكرمه حسا، كما أتمها نفسا، فأنشأ لها في عالم الحس صورة مجسمة بعد القضاء الدورة التي تعطف آخرها على أولها، وكانت في أوسطها مكمة وسمى سبحانه وتعالى ذلك الجسم المكرم المطهر محمدا وجعله إماما للناس كافة، وللعالم سيّدا، ونطق على ظاهر ذلك الجسد لسان الأمر، فقال أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، ثم نزل لهم تعليما فاغترف وردد فيهم البصر والنظر، وقال إنما أنا بشر، وذلك لما كنا له مثلا، فطورا تقدس وطورا تجنس فهو السابق ونحن اللاحقون وهو الصادق ونحن المصدقون، ولما كانت أيضا صورته الجسدية جسما لمقام

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الأنبياء لا صورة الإنشاء، كما كان بدأ الوجود الكون وظهر العين فكانت دورة فلكة دورة ملك والدورة المتقدمة المذكورة، دورة ملك، لعلك تقول ، كيف يتأخر وجود الملك عن وجود المملكة وهي قد حصلت في ميدان الهلكة، قال من كان في ذلك الوقت استنادها وعلى من قام أمرها وعمادها فما أنا أشفي الغليل وأوضح السبيل، وأعرفك بامتداد الرفاق وتناسب الحقائق. لؤلؤة امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية إلى جميع الحقائق: ولما أوجد الحق سبحانه كما قدمنا الأفلاك سقفا مرفوعا لأهل السفلى ونصب الأرض مهادا موضوعا لحنالة الثقل وانتشرت عنه صلى الله عليه وسلم من مستواه في المبدأ الأعلى حقائقه وتكونت من أنوار أشعة نور طرائقه واتصلت بعالم الأرض الموضوع رقائقه، وظهرت فيهم شمائله صلى الله عليه وسلم وحقائقه، لكل حقيقة شرب معلوم ومع كل رقيقة رزن مقسوم ولحظنا تفاضل الرقائق، فوجدنا راجعة إلى تفاوت الخلائق في الخلائق، فكشفنا من مقام المشاهدة والتعيين، على رقائق الأنبياء والمرسلين فرأيناها تنزل عليهم، صلوات الله عليهم على قسمين منها ما ينزل بها ملائكة القدمين، ومنها ما ينزل عليهم من مستواه مكاشفة عين، ورأينا مشاركة أتباعهم لهم في هذين التنزيلين، ولكن بواسطتهم، لا بالعين، إلا هذه الأمة التي قيل فيها ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ فإنها تأخذ عنه من غير واسطة ولا التباس، كما أخذ عنه من تقدم من رسول مرسل أو نبي منزل، غير أن تنزل الملك قد يفاجئهم وقتا ما كما يعمهم بالإلقاء في الأجل المسمى، وأما من خلق جاحدا، وطبع ملحدا، فإن النور المحمدي لما ضرب في الأرض شعاعه، وحميت قيعانه وبقاعه تولدت بينهما حرارة،

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وتجسدت بالنبات فتكونت منها شرارة، ففتق في تلك الشرارة الجن على قسمين، رفع وخفص لما كانت تلك الحرارة نتاجا بين النور والأرض، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وخلق الجن من نارٍ﴾، إشارة إلى اختلاط الأرض بالأنوار، فمن غلب عليه النور في ذلك النتاج كان من الجن اللاحق بالبور فتنزل الرقائق على من طبع كافرا في أنابيب ذلك النار الشيطاني، وإن كان أصله من نور سلطاني وأما العصاة فتنزل رقائقهم بواسطة ما قدمناه من حرارة لا بواسطة الشرارة، فكانت رقيقته صلى الله عليه وسلم دورة الملك المالك إلى هلم جرى إلى الأبد أصلا لجميع الرقائق، وحقيقته ممددة في كل زمان وأوان إلى جمع الحقائق فهو الممد صلى الله عليه وسلم فجميع العوالم من أول منشأه إلى أبد لا يتناهى مادة شريفة مكملة لا تضاهي. **مرجأة اللؤلؤة الأولى:** حظ الإنسان منها انسلاخه عن الحقيقة المجردة بمشاهدة حقيقة من كان أوجده نفي عن نفسه، حين أحاط به نور شمس في حضرة قدسه فحصل له الإحاطة بالعلم الكلي تقديرا، وبقي له تأثير الحكيم تكويرا، فصاحب هذا المقام لا يعجز عما يسأله عنه سائل وكيف يعجز من أحاط بالعلم الكامل وتحصل العلم عنده عند السؤال، وهل الفرق بيه وبين المتعال كما أن الفرق بينه وبين عالم الذل والعز عدم الحصد والعجز وقد يسأل نفسه أو يرى فيعرف ما سكن في الليل والنهار أو تحرك في الوري، فهذا نعت من حصل في هذا الكشف الأجلّي، والمقام السنّي الأعلى، فلا تخدع نفسك بنفسك، ولا تترك الغمانم على شمسك، إلا أن استسقاك من جذبت أرضه، وتعطل عليه فرضه وهلك بعضه فأروه من

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

مزنك حتى يستصبحك فيعلم أن جميع مطالب فيك فعند ذلك أرخي العنان و أطلق سبيل العيان، وقل المريح تذروها ذروا حتى تبدوا الشمس للعيان، فإذا أحاط الإنسان بهذا الوصف وتحقق بهذا الكشف فليس وراه عدم و لا وجود، ولا عاد ولا معبود، إذ لا وري ولا أري إذ قد حصل الموجودين، وتحقق بالعدمين وفصل العدم الثالث فصلين، ولم يسبق له من العلم سوى حرف العين، وانفردت المادة بالميم، واللام بلطف القديم، فليس في ذلك المقام سوى علم مجرد وتحقيق قديم ومجدد.

مرجانة اللؤلؤة الثانية: كذلك بعض الخواطر الأول اللاحقة بالأزل لا تتصف لا بالوجود ولا بالعدم ولا تضمنها لوح ولا خطها قلم، ولا كانت مجملة في الدواة كالقمر في النواة لم تتصف بالأين ولا زالت تكرر من العين إلى العين فمن هنا وقع الشبه والاشتراك بين هذه الخواطر و عيون الأملاك وذلك قبل خلق العرش وفتق الفرش، فقد صحت له المقابلة، وعينت المماثلة. **مرجانة اللؤلؤة الثالثة:** كذلك إذا خلع الرجل نعليه وتجرد عن ثوبيه وزهد في كونه حل هذه المحل الأسنى وكان منه بقاب قوسين أو أدنى، ورثا نبويا من دنى كل قوس على حسب راميتها وعلى حسب اختلافها في مراميتها، هذا هو مقام الاستواء وحضرة وتر الأنبياء، فيه ترد عليه مخاطبات التأسيس، وقواعد التأسيس بعين الاتحاد، من غير الحاد، فتمايل ذاته في ذلك النور، تمايل السراج من وراه السرور، والابتهاج، فكانه نشوان أخذ منه الراح فرام الارتياح، ولم يجد السراج فسمع منه إليه فتواجد بعضه عليه فكان عاشقا لنفسه تواقا لشمسه فطلعت عليه من فواده، وأشرقت أرض بلاده فتعم

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

بعضه في بعض لما جادت سماؤه على أرضه. **مرجانه اللؤلؤة الرابعة:** كذلك إذا حصل الإنسان من ذاته في برزخ مقام المجد الشامخ والعز البازخ فيه تكون ليله قدره، وكمال بدره، يميز فيه بين الأشياء، ويفصل بين الأموات والأحياء، ويطلع على أهل البلاء والنعماء فيه يبرز على صحابته بالكتابين بالشمال واليمين، وهؤلاء بأسمانها وأنسابهم في عليين وهؤلاء كذلك في سجين، بعدما يحصل له فيه التجلي العلي من حضرة المتعالي بهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، منه نزل الفرقان، وإليه أنزل القرآن، وفيه يعلق الميزان وتتطاير صحائف السمائل والإيمان في هذا المقام، تقوم قيامته، الخاصة بذاته، وتقع مسائل العدل في أسمانه و صفاته، فتنتطق الجوارح لبعض العارفين، وتبدوا الفضائح لأهل التلويين، والمصالح لأهل التمكين فيه تبدل سيناتهم حسنات وكرماتهم آيات فيه يحصل لهم بعد قيام قيامته، واستواء إقامته الوارث الأنبائي والمقام الاختصاصي، فنادى في ذلك الأنبياء الخاص، ألا فأنزل إلى القصاص وعجل بالأوبة ولات حين مناص فمبادر ومتملك فتملك من تملك ومن هذه الحضرة ينقلب الولي نبيا والنبي وليا، هي حضرة الخليفة والختم ومحل الإفشاء والكتم، وإن رغم أنف المنكر، فإنه القائل المستكبر أخذ بقاء الله، إلى أن حصل في مضمار الانتباه فينقلب عينه ويتصل بينه فيا حضرة فرق ويا مقعد صدق ما أعطاه بحق.

مرجانة اللؤلؤة الخامسة: كذلك إذا طلعت نجوم العلوم من سموات الفهوم افتقر إليه كل شيء ولم يفتقر هو إلى شيء

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وسبحت دراري صفات في أفلاك ذواته على برج مقاماه
ومنازل كراماته فخلق الأيام بدورتها، وثبت الأحكام بكرتها،
فسبعة سابح في سبعة كإقبال في ثمانية وعشرين ورجعة
مقسمة على اثني عشر محلا، لتصبح اثني عشر شهرا حراما
وحلالا فليس إلا أربعة أعلام، أيام وجمع وشهورا وأعوام
فالأيام داخلة في الجمع والجمع والأيام داخلة في الشهور
والأيام والجمع والشهور داخلة في الأعوام، ثم يرجع الكور
فيتوالى الدور فالدراري جمعة تمام والمنازل شهر والبروج
عام، فإن كان يومك الأحد، فإدريس جليتك فلا تلوى على
أحد، وإن كان يومك الاثنين فآدم جليتك في برج الثناتين، وإن
كان يومك الاثنين الثلاثاء فهارون جليتك فالزمر الاهتداء،
ويحي أنيسك فالزمر العفاف والاكتفاء، وإن كان يومك الأربعاء
فيعيسى جليتك فالزمر الحياة القدسية والبيداء، وإن كان يومك
الخميس فموسى جليتك فقد ارتفع التلبس وكملت على كشف
ولا إنس ولا أنيس وقد استبشر الملك وخنس إبليس، وإن كان
يومك العروبة فيوسف جليتك صاحب الصفات المعشوقة
المحبوبة وإن كان يومك السبت فإبراهيم جليتك فبادر بكرامة
ضيفك قبل الفوت فهذه أيام العارفين، وهو لأدري أفلاك
السانرين وأما شهودهم فأربع جمع فاستمع أيها السالك واتبع
فكشف جمعهم الأولى لوحيه، والثانية قلميه والثالثة يمينيه
والرابعة علمية وعامهم اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق
السموات والأرض فعليك بالانتباه فمحرم التحريم والتبري،
وصفر التجلي والتحري وربيع العرف، وربيع الكشف
وجمادي الأولى، وجمادي الآخرة، ورجب المشهد الأشمخ
وشعبان البرزخ، ورمضان الصمدانية، وشوال عين الماهية،

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وذي القعدة البساط وذي الحجة الانبساط فهذه شهورهم، وهذه دهورهم، فشمسهم حياتهم، وزهتهم نظرهم، وكتابهم كلامهم وقمرهم علمهم، والمقاتل قدرهم، والمشتري إرادتهم وكيوان سمعهم فشمسهم روحهم، وقمرهم نفسهم، والخنس حواسهم، وترحيلهم سيرهم في المقامات وتأثيرهم ما ظهر عنهم من الكرامات ورجوع دوراتهم نزولهم إلى البدايات، بعد النهايات لكن نشأة أخرى، في يوم طامة كبرى، فيمانية وشمالية في الترحيل، بالترقي بأسماء حق الخلق، وأسماء حق الحق، على الترحيم والتحليل وكسوف يعترني، الكمل قد برى، وأدنى يكشف أعلاه، لغلب الشهادة على ما خفي، وزيادة في قمر النفس، ونقص وذلك لتعويج القوس، فخرج من حضرة الحق ودخول ومحاق وأقول ولا يكشف إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، ويكشف القمر في أوجها إذ دخل برجها، ولولا طلب الاختصار لأوضحنا هنا من الأسرار، ما فيه عيرة لأولي الأبصار فانظر على هذا النموذج، في نفسك واجتهد في ترحيل قمرك في شمسك، والله يهدي إلى الطريق الأقدم، والسبيل الأقدم. **مرجأة اللؤلؤة السادسة:** كذلك إذا كان الإنسان في مقام المجاهدة وعدم القرار، فعنصره النار فإن تلطفت ذاته بكشف الإيماء، وفني عن تأثير الإرادات، وسلطان الهوا فعنصره الهواء فإن كان في مقام الحق بالأسما بعد الأسرار، والنزول من السماء، فعنصره الماء، فإن صمت وهو متكلم وتبرأ من العلم وساوى بالأقارب والأتراب وعم بخطاب الهداية الأعداء والأحباب، فعنصره التراب. **مرجأة اللؤلؤة السابعة:** كذلك إذا علم الإنسان أن وجوده سراب إلى جانب

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وجود الوهاب يحسبه الظمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فلولا نفخة الدعوى، ما تشبه بالماء، فإن ارتقى على هذا الشكل، فسرا به عبارة عن المثل، وذلك إذا تجلّى الحق إلى قلبه في مكنون غيبه، فسطعت أنواره عند التجلي، فنحيل الظفر به في ذلك التدلي فوجد الأين لحصره، والعين تبصره والكيف ينعته، والعقل في التشبيه يمقته، فيرجع بعد الغنا إلى العجز، ويعرف إنه خلف حجاب العز، يجد الله عنده، فيوفيه عهده، فتحقق رشد. **مرجانة اللؤلؤة الثامنة:** كذلك من وسع حق قبله فقد استوى شهادته وغيبه، والتحمت يواقيته وانعدمت موافيقته، وكان الحق هنا الساري إلى عبده رحمة من عنده، وهذا الفرق بين النبي والولي والتهامي والنجدي، فإن النبي يسري إلى الحق العلي والحق يسري إلى الولي، إذ لا طاقة له على التسري لقوة امتزاجه بالورى وتثبته في الثرى، فمن غلبت عليه روحانيته واستولت عليه ربابيته سري إليه النبي على البراق العلي، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والحق يفرقه ويجمعه فمن أراد بسط هذه المرجانة، ولؤلؤتها على الاستيفاء، فليطالع من كتبنا كتاب الأسرار هنالك يعرف منزلته، ويكشف مرتبته. **مرجانة اللؤلؤة التاسعة:** كذلك عالم الشهادة تمام العوالم ونكتة العالم هو مجتمع الأسرار ومطالع الأنوار، به يصبح المجد وله يحصل الجد، فإن قال أنا سيّد العالم فله أن يقول لأن العقل لا يصح له علم إلا بعد المغيب في هذا الجسد والأفول وإن قال أنا بشر مثلكم دون زيادة فلا اشتراك في العبادة والإنسان في نفسه نسختان، ولذلك له إذا صام له فرحتان، فنسخة إحساسه تفرح بفطرها، ونسخة

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عقله تفرح بلقاء ربها، فكان الواحد مثالا والآخر تمثالا، وقد كان ملك الروح موجودا، وعالم الملك مفقودا، ولكن يلاحظه في أطوار تنقله من الأصلاب إلى أوان لانسلاخه منها والإنسلاّب، فمن انسلخ عن صلبه فقد فاز بلذة قربه ومن تقدم روحه على حسبه فقد حاز حضرة قدسه ومن دبر ملكه في عالم الغيب برأه عند وجوده من الغيب و الريب ومن كان آدمي الوضع محمدي الأسر فقد حصل المقامات على الاستيفاء وكلمة الجبار بوساطة الافتقار إلى النار في حق الأغيار كذلك من مشى في حق غيره، فقد باء بجميع خيره فإن مشى في حق الحق فهو في مقعد الصدق فتحقق ترشد. **مرجأة اللؤلؤة العاشرة:** وإن كان العارف أمره متبوعا وكلاما مسموعا وحصل المشاهدة الغيبية وحاز المرتبة القطبية، وسأقت إليه الأسرار، واطلع الأنوار من خلف الأستار وكانت مادته كالشمس في مادتها وقبلت كل ذات على حسب حقيقتها فإذا حصل في النور تغيير، فذلك راجع على محل التكوير، فكما لا يساوي قبول الجسم الصقيل قبول الدرر للنور والقيض هو واحد كذلك منازل القلوب عنه في الشاهد فالقطب يرسل نوره، والكون منه ما يكشف حجاب، ومنه ما يرخي ستوره فالغيب من كون النفس لأمر عين الشمس فالأمداد و ترى والقبول وترى و شععي. فنور العرفة كالسراج في الصفة فكما أن نور السراج ما قرب منه إلى الفتيل أظلم وعاه و ما بعد منه وارتفع سطح وأنار كذلك نور المعرفة ما امتزج منه بعالم الشهادة قل ضوءه وتراكم غمامه و نوءه، فإن المحل كشيء ونور المعرفة لطيف وما تعلق منه بالعقل والروح أنار كذات يوح و بقي على

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أصله من الجلا لما انسلخ من العما، وكما أن الفتيلة إذا كان في رأسها دخان مسامت لنور السراج لاصق به جري نور السراج في أنبوب الدخان حتى يستقر برأس الفتيلة فيقد على بعد فما ظنك بنور المعرف من بعد كذلك العارف إذا احترق قلبه بالشوق وصعدت همته إلى فوق واتصلت بنور معرفة المعروف ردها إلى قلب العارف بأسى معروف فعاش بها زمانا وأنا ربها أكوانا وكما أن السراج إذا طلعت الشمس لم يتغير ضوء نفسه كذلك نور المعرفة في العارف إذا تجلى الحق للأعيان وأظهر قدسه أنار الوجود بتجليه، وأنار العارف بذلك التجلي، وزاد على الغير بما أودعه فيه، فهو يضيء بنورين، ويشهد الحق من الجبين، وكما أن نور السراج أبدا إلى جهة فوق كذلك نور المعرفة متعلق بالحق، إن مر على السراج هواء تمايل النشوان فإن اشتد عليه الهواء عدم من العيان، وكذلك نور معرفة لعارف إن داخله تعلق بالأكوان، تمايل النشوان عن الشمانل والإيمان فإن تعلق بها تعشقا عدم من عين المشاهد تحققا، وكما أن السراج يطفى منه الهواء بالحق ويبقى منه ثيراما لم يلحق كذلك نور المعرفة ليس يذهب ذهابا كليا ولكن يذهب منه ما تعلق بالخلق ويبقى منه ما تعلق بالحق وكما يفجا النفخ لسراج بغتة فيطفئه كذلك الخطوة المستفرقة تطفى نور المعرفة ولا يكلوه، فإن بقي منه دخان فتلك الهمة، فسيعود إليه نوره وهو جالس وإن لم يبق له دخان سيكون الفرائق الفارس، وكما أن السراج إذا لم يمهده الدهن طغى كذلك نور المعرفة إذا لم يمهده التقوى عدم، وكما أن للسراج إذا لم يتعلق بجسم لم يبق له عين كذلك نور المعرفة مع الكون وكما أن نور السراج لا يكون ضوءه كاشفا إلا حيث الظلام، كذلك نور

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

معرفة العارف لا يستضيء به إلا من يصطفيه و يدينه، وكما أن السراج لا يستضيء به من بعد كذلك نور المعرفة لا يستضيئ به من جدد، وكما إن السراج يكشفه البعيد و القريب، كذلك نور المعرفة يشهد له البعيد في الأفعال و القريب، في وصفه العجيب وكما أن من حصل في ضوئه السراج لا يكشف ما بعد عنه و أعماءه، كذلك نور المعرفة من قرب منه لا يعرف سواه، وكما أن السراج يقدر منه أهل الأرض ولا ينقص ذاته، كذلك نور المعرفة إذا حقت صفاته وكما أن السراج ما اتصل منه بالفتيلة اتسع، وما بعد عنها خرج مخروط الشكل و سطع كذلك نور المعرفة إذا تعلق بالأفعال اتسع باتساعها، وإذا تعلق بالحق ضاق ورق لعجزه بمكانها وفي السراج من الأغبار ما يضيق الديوان عنه ولا يبلغ لذكته فكيف لو أخذنا في اعتبار الشمس في هذا المقام والقمر في حال نقص و التمام، أو في كون من الأكوام لضاق الزمان من إبراز سرانته للعيان، فكيف من ذلك ما ذكرناه، وليستدل بهذا على ما تركناه، وهذا هو حظ الإنسان من اللؤلؤة العاشرة قد ذكرنا بعضه، وأجمل معناه لما قصر عن لفظه والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

إثبات الإمامة على الإطلاق من غير اختلاف

أعلم أن الإمامة هي المنزلة التي يكون النازل فيها متبوعا وكلامه مسموعا وعقده لا يحل، وضرب مهند لا يقل فإذا هم أمضى، و لا راد لما به قضى، حسامه مصلت وكلامه مصمت، لا يجد الغرض مدخلا إليه، وإن رام اعتراضا عوقب

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عليه، وقد أنبأها سبحانه وتعالى كبرى وأكبر صغرى وأصغر، فأي منزلة كانت صغرت أم كبرت جلت أم قلت، فإن الطاعة فيها من المأموم واحدة والمخالفة لها فاسدة إذ قد وقع التساوي في الطريقة والإشتراك في الحد والحقيقة وحملك الإمام على قسمين: لما كان الإمام إمامين ناطق ومضمن نطقا وصادق ومودع صدقا كالإمام الذي هو الكتاب الصحيح الذي يشهد عليه بالتصريح فيحكم عليه الكتاب بما شاء كيف شاء ولذلك قال الصادق المختار فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار وكل ملك لا يكن فيه إمام متبع، فعن ما قريب ينخرّب ذلك الملك ويتصدع ولهذا توفرت دواعي كل أمة إلى اتخاذ الأئمة وهكذا جرت الحكمة الإلهية والنشأة الربانية فقال الحكيم الخبير **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** كل أمة على حسب ما تعطي حقيقتها وتقبل رقيقتها فإن الله تعالى يقول ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، فالحق البهائم بالأمم وحكم بذلك وعم وكل أمة في أفقها ناطقة وفي أوجها عاشقة فليس في الوجود جماد ولا حيوان إلا ناطق بلسان لسان ذات لا لسان حال والقائل بخلاف هذا قائل محال فالحجب كثيفة والمعاني لطيفة فلو كشف الغطاء، وزال الاستبطاء لرأيت كل ذات مسبحة في جنسها، ناطقة في نفسها، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، موف بعهده، ألا ترى أن المؤذن يشهد له مدى صوته فهذا قد عرفنا بحقيقته لغته و كلام الميت يسمعه كل حيوان ماعدا الإنس والجان، وفي كل أمة من هذه الأمم نذير من جنسها على حسب نفسها، ولا بد من اتخاذ الإمام المتبع في الشيء الذي قدم له واتبع فإن نازعه آخر هلك، وبقي الأول على ما ملك إلا إن ظهر منه نقص في شروط الإمامة ولم يثبت فيه العلامة فليعذر من وقته مقتته، وليقدم في

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

تلك المنزلة من كانت فيه الشروط على العقد المربوط، فإمام الأئمة كلها هاديا ومضلها لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فقد قرن الفساد بالاشترار وقال إن بها يقع الهلاك فلا بد من إتحاده في حكم بلاده، فلا سبيل إلى منازعته ولا مدخل إلى مطالبته إلا كما ذكرت لك من كمال الشروط واستيفانها، والوفا بحقوقها وأدائها وإمام الصلاة إمام فيها، على أركانها ومبانيها فإذا ركع فأركعوا فإذا سجد فاسجدوا ومن رفع قبل الإمام فناصيته بيد الشيطان، وكذلك القاضي إمام فيما نصب إليه، والقائم إمام فيما قدم إليه، "وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، فكلكم إنسان إمام في بيته وبنيته والإمام الأكبر المتبع الذي إليه النهاية والمرجع وتتعقد عليه أمور الأمة أجمع فكل إمام لا يخالف في إمامته إذا ظهر بعلامته، وكل إمام تحت أمر هذا الإمام الكبير، كما إنه تحت قهر القاهر القدير، فهو الأخذ عن الحق، والمعطي بحق في حق فلا تخربوه وانصروه ووقروه وعزروه فإنه إلى هذه المنزلة الشريفة الإشارة بقوله سبحانه **إني جاعل في الأرض خليفة**، ولما وقع التراض عليه جعل المعترضين سجدا بين يديه فاختص بخزي الأبد من أبي عن السجود حين بادر، امتثل الأمر وسجد وكفى بهذا الإنسان فكيف إذا انضاف إلى هذا كونه على صورة الرحمن فله الفضل على جميع الوجود بالصورة والسجود فبالصورة صحت له الإمامة، وبالسجود صحت له العلامة، حين يشهد الحق له إنه علامة، ولما كان الأمر على هذا الترتيب وأعطت الحكمة على هذا التقريب كذلك هذه النشأة الإنسانية، والنكته الربانية فيها أئمة كما فيها أمم أمة فوق أمة إذ كان أم الكتاب وحضرة اللباب، والروح الفكري إمام والروح العقلي إمام والروح المصور والروح

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الخيالي والروح الوهمي إمام الحواس أنمة، ولكل إمام من هذه الأنمة أمة والإمام الأكبر، والنور الأزهر، والقلب المقدم على عالم الشهادة والغيب وهو الروح القدسي وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب فإن كان صالحا فروح قدسي وإن كان غير ذلك فشیطان غوى، فالرغبة على دين الإمام سواء في عالم البسائط أو عالم الأجسام فإمام الإنسان هو الذي قال فيه الرحمن ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي حين ضاق عن حمل تجلية الأرض والسماء واستحال عليهما الاتصاف بالأسماء فصار قلب العارف بيت الحق ومقعد صدق فقد ثبت الإمام جمعا وأتى الناس إليهما كرما وطوعا واعلموا إن المبايعة لا تقع إلا على الشرط المشروط والعقد الوثيق المربوط كل مبايع على قد عزمه ومبلغ علمه فقد يبايع شخص على الإمامة وفي غيره تكون العلامة، فتصبح المبايعة على الصفات المعقولة لا على هذه النشأة المجهولة فيمد عند تلك المبايعة للخليفة للناقص في ظاهر الجنس الخليفة المطلوب يده، من حضرة القدس، فتقع المبايعة عليها من غير أن ينظر ببصره إليها، ولذلك يقع الاختلاف في الإمام المعين لا في الوصف المتبين فقل خليفة تجمع القلوب عليه ولاسيما إن اختلف ما بين يديه فقد صحت المبايعة للخليفة، وفاز بالرتبة الشريفة وإن توجه اعتراض فلا سبيل إلى القلوب المنعوتة بالمراض ، ولما كان الحق تعالى الإمام الأعلى والمتبع الأولى قال ﴿إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ولا ينال هذا المقام إلا الجسم بعد النبي المصطفى الأعظم إلا ختم الأولياء الأكرم، وإن لم

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

يكن من بيت النبي فقد شاركه في النسب العلوي، فهو راجع إلى بيته الأعلى لا إلى بيته الأدنى.

نكتة الشرف في شرف من فوقها شرف

وكان ولي (وقفه الله) يقول قولاً قياساً شهادة وإحساناً لم يكن الختم من بيته ومستخرجا من نسبه حتى يكون الشرف بالنسب الأكمل، وأتم للمنصب الشريف وأفضل ، ولو كحل هذا القائل عينه، وتحقق فيه ورأى سلمان رضي الله عليه ملحقاً بأهل البيت لعرف أن المراد ليس في البيت:

فمن شرف النبي على الوجود ختام الأولياء من العقود

من البيت الرفيع وساكنيه من الجسم المعظم في الوجود

و بينتي الحقائق في ذراها و فضل الله فيه من الشهود

لو أن البيت يبقى دون ختم لجاء اللص يفتك بالوليد

فحقق يا أخي نظرا إلى من حمى بيت الولاية من بعيد

فلو لا ما تكون في أبينا لما أمرت ملائكة المسجود

فذاك الأقدسى امام نفسي بسمى و هو حي بالشهيد

و حيد الوقت ليس له نظير فريد الذات من بيت فريد

لقد ابصرته ختما كريما بمشده على رغم الحمود

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

كما أبصرته شمس البيت منه
لو أن النور يشرق من سناه
لأصبح عالما حيا كريما
فمن فهم الإشارة فليصنها
فنور الحق ليس له خفاء
رأيت الأمر ليس به تـوان
نطقت به وعنه وليس إلا
وكوني في الوجود بلا مكان
فما ومه السماء جلال ربي
أردت تكتنما لما تجاري
وهل تخشى الذناب عليه من قد
وخاطبت النفيسة من وجودي
أبعد الكشف عنه لكل عين
فردت في الجواب عليّ صدقا
وسله الحفظ ما دام التلقي

مكان الخلق من حبل الوريد
على الجسم المغيب في اللحود
ظليق الوجه يرفل في البرود
وإلا سوف يلحق بالصعيد
على الأفناك في سعد السعود
سواء في هبوط أو صعود
وإن الأمر فيه على المزيد
دليل أنني ثوب الشهيد
ولكن حل في قلب العبيد
إليه النكر من بيض و سود
مشى في القفر في عقر الأسود
على الكشف المحقق والشهود
جحدت و كيف ينفعني جحودي
تضرع للمهيمن و الشهيد
وسله العيش للزمن السعيد

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

عصاما بالمودة في الوريد	سألتك يا عليم السر مني
بكعبتكم إلى يوم الصعود	وأن تبقى على رداء جسمي
كما أخفيت باسك في الحديد	و أن تخفي مكاني في مكاني
كسرتك نور ذاتك في العبيد	و تستر ما بدا مني اضطرار
بتوفيقي موثيق العهد	وأن تبدي علي شهود عجز

وسيدو لك أمره ويتضح لك سره ولا ينبئك مثل خبير، فتلحق بالسميع البصير وتتحقق بالعجز والتقصير فلنذكر الآن نسختك من هذا الخليفة البيتي الإمام ثم أختم نسختك من ختم الأولياء الكرام والختم يكون التمام.

النكتة المؤخرة في الدورة المدخرة

على عيني فصيره عديما	ولما جل عتبي حل عيبي
على قلبي فصيره سليما	و عند شهود ربي حل حبي
على نوري فصيره هشما	ولما فاح زهري هب سري
من الرحمن صيرني كليما	ولما اضطر أهلي لاح نار
و كان براق سيرني بي كريما	ولما كنت مختارا حبيبا
نزلت فكنت رحمانا رحيفا	مطوت ولم أبا بكل أهل

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

دوين العرش وقادا رجيما	وكنت إلى رجييم البعد نجما
وكان إمام وقت الشمس ميما	ولما كنت مرضيا حصورا
على نكره بصيره رميما	لحظت الأمر يسري من قريبا
لعمام العقد قواما عليما	وكنت به كغرد بعد ست
لا عجزت العبارة و الرقوما	فلو أظهرت معنى الدهر فيه
محيطا في شهادته عظيما	ولكني سترت لكون أمري
لعين صار بالتقوى سليما	فسترت الأمور بكل كئيف

فصل: ولما تكلمنا على الشرف النبوي الأجلّ من طريق البيت الأعلى حتى نستوفيه في آخر الكتاب من غير اختصار ولا إسهاب، ولكن يسير الفاظ جزئية تدل على معان كلية.

فصل: كذلك للإنسان نسبتان وله في العالم منصبان فأشرف نسبه وأعلى منصبه أن ينتسب للحق لا لوالديه وأن يقيم سره أبدا خذ بما بين يديه فإذا صحت له هذه الرتبة وفاز بأعلى درجة القرية وتصرف عن سماع الأذن المتعال صح له النسب العالي فكان إذ ذاك عبد الله بن فلان، وأما ما يقتدي به الثقلان.

فصل: ولما قدّمنا شرف البيت الأعلى إذ كان الأشد والأولى أردنا أن تتميز الرتب بالأخذ في شرف النسب الذي يتعلق به الورث الحسي، والعرض النفسي.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فصل: كذلك صح التقدم لعالم غيب الإنسان على ما فيه من نسب الحيوان فهو محركه ومصرفه ومنبئه ومعرفة، ولكن احتجب عن أكثر الناس عالم غيبهم بما ظهر، فلذلك حرموا اكتساب اللآلئ واقتناء الدرر وحيل بينهم وبين الأسرار، وضرب بينهم وبين الأسرار، وضرب بينهم وبين مطلع الأنوار بظل هذا الجدار، وإن كان له وجود شريف وسر لطيف، سانبهك عليه وأندبك إليه وأعرف لأن الورث وراثا كما أن العلم عالمان فالورث الأعلى في العالم الأجلى ورث أسرار وتجليات الأنوار والورث الأسنى في العالم الأدنى ورث استخلاف على أمصار وتعبد أحرار.

فصل: ولما كانت الشمس لا بد لها من تحول مطلعها وتبدل موضعها كذلك لا بد من طلوع شمس حقك على ظاهر خلقك، واعلم أن الشمس لا تزال جارية من المغرب إلى المشرق بنفسها كما لم تزل جارية من المشرق إلى المغرب بغيرها غير أن البصر قاصد واللب حائر، فلا بد لها يوما أن تظهر حركتها وتعطي بركتها فمن جاء أجله المسمى ولم تغفر حوبته فقد أغلق باب توبته وطلعت شمس من المغرب ولا ينقعه إيمان ذلك الوقت ما لم يكن أمن و هو قوي مستبصر فإن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يعز عز.

فصل: و لما كان هذا الأمر هو الكنز الخفي بالبحر الغربي أشار إلى أن القلب هو مقعد الصدق و محل أسرار الحق و هو البحر المحيط و المعبر عنه بالعالم البسيط عنه تكون المركبات ومنه تصد الحركات و السكنات.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فصل: و لما قال ولا يعرف ذلك الكنز إلا من كان روحا لا جسما و علمه الحق من لدن علما، وأنبعث من كان كليما في طلبه ليعرف شرف مذهبه وأظهر المعروف المحمود في المنكر المشهود و جاء بثلاث أفعال من المقام العال ففعل إضافة إليه وفعل إضافة إلى الحق و فعل شرك في العبارة عنه بين الحق و الخلق.

فصل: كأنه أشار إلى أن الإنسان ما دام في نفسه البهيمة ملاحظا لنفسه النباتية لا يتجلى له أمر و لا يبدي له سر فإن ارتقى عن درجة الأجسام، وزال عن عالم الأوهام والتحق بمقام الإلقاء والإلهام أتعب في طلبه علماء الأحكام، فصار شاهده يطلب غائبه ليعرف مقاصده و مذهبه، فإن وقع عليه قيده بشرط واستوثق من عقده وربطه، فأبدي له من المعاني ما ينفر عنه طبعه و يرد عليه شرعه، فيذكر و يعلم أن الله قد أنبا لصقه و قدر، فهذه علوم الآداب و الحكمة، وباب التواصل إلى حضرة الرحمة.

فصل: ولما قال فالذي يعرف حقيقة ذلك الكنز ومحل النجاة والفوز يقيم جداره، و يسكن داره و لا يطلب أجرا و يحدث لمن عليه منه ذكرا.

فصل: أشار إلى كتمان الأسرار من جانب الجبار لينظر أهل الإنكار فيصح منهم الاعتذار، ونسي بما في طي هذه الأخبار.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فصل: و لما قال بلغ اليتيمان أشدهما و توفي الأدوار أمدهما يظهر الكنز و تقوم دولة العز.

فصل: كأنه يقول فإذا بلغ الروح العقلي منتهى نظره و بلغ الروح الفكري غاية فكره، و وفيت الأدوار الفلكية أربعين إخلاصها و شركت بين تقدمها في ذلك و مناصبها حتى جاء الروح القدسي أميرا و اتخذ الروح العقلي وزيراً و الفكري سميراً و الحيواني سريراً.

فصل: و لما قال و تشرق من الذي أشراقه و تعقد عليه أرزته و يظهر اعذل و يكون الفضل و لكن إلى الشرق رجوعها بعد ما ينقضي من العرب طلوعها.

فصل: كأنه يقول وإذا كان السر من قلب طالعا فقد كان فيه غاربا و يكن كان غروبه طلوعا من ذلك الأفق العلي و غروبا من المقام الأعلى، ثم قد يكون طلوعه من الأفق النفسي يكون غروبا من الأفق السفلي.

فصل: و لما قال فإذا ظهر الأمر في مجمع البحرين، و لاح السر المكتم لذي عينين، كأنه يشير إلى ظهور النكتة الربانية، في هذه النشأة الإنسانية فإنه مجمع البحر الآن و الكون و العين و قوله في عينين، يشير إلى صاحب الصفتين، فمن فهم فقد فاز فوزا عظيما ، و كان بالله عليما.

فصل: و لما قال و قام سمي النبي و عن يمينه سماه الولي، وذلك عندما ينعدم الخاء و يخط الألف في السماء و يجري

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وادي منى و يظهر الإنسان في الماء وتكون الشمس في
الجوزاء، فإذا استوى الفلك على الجودي وقيل بعد القوم
الظالمين وقيل السفيناني و صار من الفاسقين و نادى الأب ابنه
وقيل له أنه ليس من أهلك إني أعظك أن تكون من الجاهلين.

فصل: أشار بذلك إلى الورث النبوي، و المقام البرزخي ورفع
الحجاب الإلهي في قتل السفيناني و تحصيل المراكب الإحشاني
على الجودي الأنباني.

فصل: ولما قال و كانت علامة أيمن الخذ وكونه يمين الواحد
المالك فمن ثبتت له تلك العلامة فقد صحت الإمامة.

فصل: و لما كانت المبايعة لهذا الإمام بين الركن و المقام وليس
له وراءها مرمى لرام.

فصل: كذلك إذا كان واقفا بين مقام الخلّة، و ركن من رام
باضيافه سد الخلّة الذي قال فيه صلى الله عليه و سلم في
صحيح الخبر: «رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن
شديد» خطابا لجميع البشر. هناك يوصف بعند ذي العرش
مكين مطاع ثم أمين، و تعقد له مبايعة التعيين في الحرم المنيع
و البيت الرفيع.

فصل: ولما كان فتح المدينة التي هيأتها هكذا بالتكبير و التهليل،
و في مقدم العسكر جبريل، و قد عطف اللواء المشرق نحو
بلاد المشرق، ورياح المغرب تزعجه، و بشائر الفتح تلهجه
و الملائكة به حافون، و عليه ملتفون وأمامه مصطفون.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فصل: إذا فتح العارف مدينته الكبرى بالمجاهدة والمعاناة والمكابدة وارتقى إلى فتح مدينة الرسول ففتحها بالتهليل و ذلك بتنزيل الروح الأمين من ربه على قلبه بسرائر غيبه و الملائكة من بين يديه و من خلفه رسدا فحينئذ يرجع من حيث جاء مسرورا، و قد ترك البلاد ديورا، فتحقق و تخلق و الله الموفق.

فصل: ولما قال فإذا أخذت في هذا الرحيل، فاطو بساطك أيها الخليل و سر معه بما معك من كثير أو قليل فإن لم يكن عندك قوة مال، و لا طاقة لك بحمل العيال، فسر إلى معدن الإمام، لحيثوا لك من المال إن استطعت أن تحمله، و ذلك أيضا له علامة مع جلي الجبهة، و قني الأنف و سيرته في الملك بين اللين والعنف، فاصحب ذلك الركب المحفوظ المصان الملحوظ، فإنه لا خير فيما تبقى بعده، ولكن الخير أماه و عقده.

فصل: كذلك العارف إذا نزل روح قدسه إلى فتح مدائن نفسه، ورجع إلى حضرة أنسه، لزم الجوارح أن يرجعوا وراءه، ويلازمون تلقاه، فإن افتقروا استمدوه، وإن غير عليهم استعدوه.

فصل: و بعد انقضاء هذه الدول يخرج الأعور في وجعله تزل، فيميت بإذن الله فتنة و يحي ما أمات، وينزل الله الغيث و يخرج النباتات، و تأتي إليه الأموال، و ينعقد عليه الآمال، إلا من تحصن و تصبر، و أكل من الحشيش الحرث، حتى يأتي الأمر الأكدم، فيقتله عيسى عند باب له و يظهر دمه في الحربه، ويسرع إلى الحصار بالأوبة و يخرج من وراء السد بأكثر عدد و أقوى مدد، فيدعو عيسى بن مريم (ع) على أولئك الأمم، بعدما لم يتركوا بالأرض ديارا أو أرسلوا السهام في الجو ليقتلوا من في السماء فيردها سبحانه عليهم مخصوبة بالدماء فيسلط

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الله في ليلة ذا التعف في أعناقهم فيموتون في ليلة إلى آخرهم، ثم تخصب الأرض ويكثر الزرع و تعظم الثمرة، وتظل الرهط الكثير الشجرة و تحي الشريعة المحمدية و تظهر الحقيقة الأحدية إلى أمد معلوم وقدر محتوم، و تنفخ دابة وتطلع شمس و لا يقبل عند ذلك إيمان نفس والله يعصمنا من غوائل الفتن و يصرف عنا و جود المحن.

نكتة علم الأنبياء في تكبير ختم الأولياء

و هو النسب الأعلى الذي تقدم ذكره في نكتة الشرف جهل من جهل عرف من عرف ، و لما أشار من إشارته علم وطاعته غم، و هو الذي يلقي الأمور و يشرح الصدور، إن أنبه على تعيين هذه النكتة وأن تأتي بها كالساعة بغتة، وذلك لتوفير داعية من إذن واعيه، فلا بد من بسطها و حل ما قوي من ربطها و ما ذكره الله تعالى في كتابه في هذا الختم من الأسرار ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه من الأخبار وورد الأمر بأن أذكر من الكتب العزيز مقاماته وآياته و نلغز أيضا أسمائه و صفاته، فاعلم أيديك الله بكلمة، ووهبك معالم حكمه، وأوضح لك سر قدسه و إن الختم الذي يحمل لواء الولاية، ويكون المنتهي للمقام والغاية، أنه قد كان ختمًا لا يعرف وكان أمرا حسيمًا فاستتر و ختم أمرا مقاميًا فظهر، وإن ظهر فليس له المقام العلي، فإنه من جملة أعدائه أتباعه وصحابته وأشياعه ألا ترى الأمر الإلهي قد حكم، و نفذ تقديره و ختم، فصير من كان نبيا عندما بعث صلى الله عليه وسلم وليا بحسن الاستماع حكم الإتياع والتحق بالطاعة، و كان من بعض

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أطوار القيامة، لذلك جري الحكم في هذا أولي، الآتي بعد الختم العلي، فليس الختم بالزمان وإنما هو باستيفاء مقام العيان، وإن كان لا بد أن يفارق حركة فلك هي زمانه، ووقته وأوانه فينسب إلى الزمان من هذا الجانب، وهكذا أمره في سائر المذاهب.

إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته والأعلام بأحواله وآياته

واعلم أن الله تعالى ذكر الختم المكرم، والإمام المتبوع المعظم، حامل لواء الولاية وخاتمها، وإمام الجماعة وحاكمها وأنبا به سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه العزيز تنبيهها عليه و على مرتبته ليقع التمييز فإن الإمام المهدي المنسوب إلى بيت النبي، لما كان إماما متبوعا وأمرًا مسموعا ربما اشتبهت على الدخيل صفاتهما واختلطت عليه آياتهما و أما عيسى عليه السلام فلا يقع في آياته اشتراك، فإنه نبي بلا ريب ولا ارتباك و لما كان الختم والمهدي كل واحد منهما ولي ربما وقع اللبس و حصل التعب لدواعي النفس، فلهذا الأمر الكبار ما نبه عليه لأهل البصائر والأبصار وأما العوام فليس لنا معهم كلام، ولا له بساحتهم إمام، فإنهم تابعون أسماؤهم مقتدرون بأمرانهم والأمراء و العلماء يعرفونه، و يقتفون أثره ويتبعونه حتى أن عيسى عليه السلام ليذكره فيشهد له بين الأنام، وأنه الإمام الأعظم والختام، لمقام الأولياء الكرام وكفى بعيسى عليه السلام شهيدا، وإن وراءكم له عقبة كؤدا، لا يقطعها إلا من ضمير بطنه و سهل حزته، فموضع نبه عليه سبحانه أنه سيظهر على

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

أوليائه و ينصر على أعدائه، و ذلك فاعلم. وهذا فصل: يحتوي على مولده و نسبه و مسكنه و قبيلته و ما يكون من أمره إلى حين موته و اسه و أسماء أبويه مما تضمنه نص القرآن الصحيح و الخبر الواضح الصريح فأما القرآن فتضمن ذكره و ذكر أخيه، و أما الخبر فيعم ذكره دون أخيه إلا في موضع واحد فذكره مع متبعيه، و تتبعت مواضع التنبيهات عليه و التنصيص في القرآن فوجدته كثيرا لكن على تقاسيم البرهان فمنها في البقرة موضعان، فيها علاماته، و مكانته و آياته في آل عمران أربع مواضع الاعتناء به قبل وجود عينه، و تقوم شرفه قبل كونه و آثاره الحميدة، و أفعاله المشهودة و إلحاقه بالنقص و الحط و النقص، و الحل بعد الشد و الربط، و مسكنه الذي لا تغيره الذاريات، و لا تجهله التاليات، أوجب التصديق به خالقه، و أودعه في الشرع و ائقه، و في النساء أربعة مواضع، التحق بعضها بصاحب النور و تنزهه في ذاته عن قول الزور، و مناجاته مع إخوانه، و جولاته في ميدانه، أفرد بالصدق في نطقه، مناسبة بينه و بين خالقه، جاء حرف تنبيهه، لا تبعيض فأبانه و أظهر للعقول السليمة منزلته و مكانه، ثم ذكره بما دل عليه أبو يزيد في مناجاته بمساء التوحيد و شاركه في أوضح الأسماء صاحب سورة الإسراء و في المائدة في ثمانية مواضع علمه الراسخ و منصبه الشامخ، و نوره الأوضح، و سره الأوضح و نصحه و تحريضه و تخصيصه و تخفيضه، لا طه بالأنقص بتصريح النص، لتكميل علمه و تنقيح فهمه، خاطب الحق عباده على مقوله، كما فعل بأنبيائه و رسله، و ذكر بالأفعال الغيبية في العين، و رده من عالم البقاء إلى عالم لبس الكون، طوّل بخطه الأعلى من المقامات العلى، فالحق بالسفلى و بالعدول عن

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الطريقة المثلى اتحد سره بربه، تعشقا لأنسلاخ زمان قربه، فأراد الرجوع عن مدركه، والسلوك على منهجه، فنودي في الأعنان في عرصات الكيان بلسانك الشرك، والبراءة من الأفك، فوحد واستشهد، وسبح للواحد الأحد، و في الأنعام موضع رتقه رتقا لا يفتنق، وجعله خلقا لا يخلق و في براءة موضع لما وقف على حقيقة شرف نفسه فاطه بما يسر من جنسه و في مريم موضعان، توج فساد و أخدم نار العنان، وفي الأنبياء موضع زكي فتزكى و نودي فلم يتلكأ، وفي المؤمنين تشام فريع و أخضب ورتع، وفي الصافات عرض بأخيه مع جملة بنيه، و في الثورى موضع مهد له السبيل و عرف أسباب التنزيل، و في الزخرف موضع نبه على مقامه تنبيها لا يرد ببرهان لا يصد و في الحديد موضع الحق بالياء، ولم يصح أن يكون متلوا فكان صديقا ولما فإن النبي هو المتلوا لا التالي، و الولي هو المولى عليه ليس الوالي، وفي الصف موضعان قيل عنه فقال ورد ذنبه فزال المطال وفي التحريم حرم، و اقر له بالمقام وسلم و أما الخبر الصحيح في مثل البخاري ومسلم، فانظروا ما أشار إليه ابن بطال و صاحب كتاب المعلم إلى غير ذلك من الآيات البيّنات، و أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإنه اجتمع به في الأرض التي خلق منها آدم عليه السلام، و في هذه الأرض من العجائب ما يعظم سماعه، و يكبر استشاعه، و قد ذكرت هذه الأرض و ما فيها من العجائب و ما تحويه من الغرائب، في كتاب أفرده لهما سميته بكتاب الأعلام، بما خلق الله من العجائب في الأرض التي خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام و اعلموا أن زمانه أربع من صورة العقود الأولى على حسب ما حط له في الأزل فكان

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

ثلاثين عدداً، وكن لشیطان جهلك شهاباً رسداً، فإن لم تقو على التفسير، فعن قرب يأتيك بقميصه البشير فيكشف كروبك ويرتد بصيراً يعقوبك، هو شق في خلقه، و سطر من جهة خلقه وحقه، فانظر هناك تجده أباك وأما الختم في حق الإنسان فهو عبارة عن المقام الذي لا ينتهي بك إليه، ويقف عليه وكل سالك حيث وصل ومقامه حيث نزل فلا يتعين، فيوقف عنده، ويظهر المعارف لنا حده ولكن ختم المقامات التوحيد وأسرار الوجود في مزيد.

اللؤلؤة اللاحقة بالياقوتة السابعة: ولما كانت القطوف دانية في انعطاف القرون الثالثة المتوالية و كان قطف فوق قطف، وعطف فوق عطف، وانتهى الأمر، وقيل ما بقي خير ولا مير واستمسكوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغهم عنه أنه ما يقتضي زمان إلا ويأتي شر منه، وغفلوا عن القرن الرابع الآتي بعد الثلاثة الذي هو زمن المهدي، والختم الولي، ونزول عيسى النبي، وذلك إنه لما انتهت القرون الثلاثة ودخل صفر، ظهر الفساد في البشر، وتوالت أدوار النحوس في الأكر، إلى أن دخل رجب الفرد الملحق بأول الثلاثة السرد فالتحق بأصحابه و تميز في أبوابه، والتحمت القرون، بظهور السر المصون، ولما كان ذو الحجة وسط الثلاثة المحرمة وكان من أعظم الشهور المعظمة، وإذا كان شهر رمضان التبعات، والمغفرة لأهل عرفات فهو الأول بالفضيلة، وهو الوسط بالدورة الربانية، والحكمة الإصلاحية فخذ روحانيته في التقديم، وذلك من باب الحكمة لا التحكيم فهو الأول، وإن كان وسطاً ولم أقل في ذلك شططاً ثم لما كان الترحيب التعظيم التحق الآخر بصاحبه التقديم،

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

وهو الأصعب والأصم الملحوق بالثلاثة الحرم، لكن أقوى ما تقوم عليه الحجة الحاقة في التعظيم بذى الحجة، وقد يكون الآخر بالجسم، يتقدم على الأول في الحكم، ألا ترى نص النبي صلى اله عليه وسلم لأصحابه عنهم للعامل منهم، أجر سبعين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم فأكد بالعطف التفاضل في النطق فانظر إلى عظيم هذا البذل وعميم هذا الفضل فإن احتج عليك الحضم الضعيف بمفاضلة المد والنصيف فاعلم أن للمفاضلة أبوابا وأن لها عند المفضل أسبابا أذهى راجعة إلى الزيادة و النقص بالحكم الاصطلاحي والنص فقد فضل الواحد صاحبه بتكليم الله له وفضله الآخر بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإذ صح القول وتبين التساوي فقد فضلونا من غير الجهة التي به فضلناهم و عرفونا بغير الدليل الذي عرفناهم وقد يقع الإشتراك بيننا في الصفة ويجتمع في بعض مراتب المعرفة فإذا تحققت هذا التفضيل فقد فتح لك في التفضيل وساخ لك التأويل ولما كان ذو الحجة أوان الفضل والتعيين حملنا ما بعده من الشهور على المتين من السنين فكان طلوع بعد انقضاء لآخاء من حروف الهجاء، وكان ميلاده انقضاء الضاد والباء، بعد ميلاد الإنشاء، وانتظام الأجزاء، ولعل الناقد يدخل البائع في العلم فقل له ذلك أوان الحكم في دولة العز، بظهوره عند انقضائه، وجود ختم أوليائه، عند فنا العدد المذكور من الشهور، والله أعلم .

قدم الكتاب وهو المسمى

بكتفاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفهارس

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
{وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَيُّهَا فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}	93	النمل	34
{الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ}	146	البقرة	34
{لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ}	62	يوسف	34
{فَلَمَّا تَبَيَّنَ بِهِ وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ}	20	التحریم	34
{لَمَّا بَخَسَىٰ مِنَ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الطَّمَاءُ}	28	فاطر	35
{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا}	48	المائدة	37
{وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}	36	يونس	37
{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}	151	الأنعام	61
{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}	33	الأعراف	61
{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}	3	الحديد	61
{وَتَرَوْا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}	120	الأنعام	61
{فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}	13	الحديد	61
{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}	20	لقمان	61
{فَلَمَّا تَمَّارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَافٌ ظَاهِرًا}	22	الكهف	61
{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}	7	الروم	61
{لَا تُذَكِّرُهُ الْإِنصَارُ وَهُوَ يُذَكِّرُ الْإِنصَارَ وَهُوَ الطَّيِّفُ الْخَبِيرُ}	103	الأنعام	63
{وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَمْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}	83	النساء	67
{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}	20	لقمان	69
{وَقُلْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ فِيهِ}	26	فصلت	80
{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}	225	البقرة	80
{وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}	3	المؤمنون	80

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

80	الفرقان	72	{وإذا مروا باللغو مروا كراماً}
80	القصص	55	{وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه}
80	الطور	23	{لا لغو فيها ولا تأثيم}
80	مريم	62	{لا يسمعون فيها لغواً إلا سلباً}
80	النبا	35	{لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً}
81	الغاشية	11	{لا تسمع فيها لاغية}
81	البقرة	37	{فتلقى آدم من ربه كلمات}
81	البقرة	124	{وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات}
81	الأنعام	34	{وإذا تبدل لكلمات الله}
81	يونس	64	{وإذا تبدل لكلمات الله}
81	الكهف	109	{قل لو كان البحر مِداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جنتا بمثله مناداً}
81	لقمان	27	{ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم}
82	البقرة	31	{وعلم آدم الأسماء كلها}
82	التحریم	12	{وصنفت بكلمات ربها}
82	النحل	103	{اللسان الذي يُلجئون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}
82	الشعراء	195	{بلسان عربي مبين}
82	القصص	34	{هو الفصح مبني لسان}
82	الأحقاف	12	{للسان عربياً لينذر الذين ظلموا}
82	الزمل	16	{يا أيها الناس علمنا منطق الطير}
83	المؤمنون	62	{وكنيتنا كتاب ينطق بالحق}
83	الأنبياء	65	{لقد علمت ما هؤلاء ينطقون}
89	الكهف	109	{قل لو كان البحر مِداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جنتا بمثله مناداً}
89	لقمان	27	{ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله}
99	البقرة	282	{الغوا لله ويطمئنكم الله}
92	النور	30	{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}
92	غافر	60	{ادعوني استجب لكم}
92	الرعد	39	{ينحوا لله ما يشاء ويخشون}

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

108	المزمل	8	{وَأَنكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنْ إِلَيْهِ نَبِيْلًا}
108	الإنسان	25	{وَأَنكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيْلًا}
109	البقرة	32	{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}
109	الأنعام	83	{تَرْفَعُ رُجُوبَ مَنْ نَشَاءُ إِنْ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}
135	يوسف	33	{وَقَالَتْ هَيْبَتُ لَيْكُ}
139	القلم	42	{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}
172	مريم	1	{كَهَيْبَتِ}
172	الشورى	2و1	{حَمَّ * عَصَى}
182	يس	39	{وَالْقَمَرَ قَدْرَانَهُ مَتَازِلَ}
192	الرحمن	29	{كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}
222	الكهف	65	{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَدْنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}
231	الشورى	13	{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}
234	الكهف	28	{بُرِيذُونَ وَجْهَهُ}
234	الرعد	39	{يَسْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَشِئُ}
251	النساء	162	{لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ}
265	النمل	40	{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْسُدَ إِلَيْكَ طَرَفَكَ}
268	الروم	11	{اللَّهُ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}
269	لقمان	11	{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}
276	الإسراء	72	{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا}
277	فاطر	32	{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُدْنِ اللَّهُ}
286	ق	37	{إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}
293	النساء	168	{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا وَعَصَوْا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَنْظُرْ لَهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ طَرِيقًا}
293	الأحقاف	30	{يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ}
293	طه	63	{وَيَذَرُهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَى}
293	طه	104	{إِذْ يَقُولُ مُتَّبِعْتُمْ طَرِيقَهُ إِنْ لَيْسَ لَهُ يَوْمًا}
293	الجن	11	{وَمَا لَكُمْ لَنْ تَكُنَّا طَرِيقًا لِقَدِّ}
293	الجن	16	{وَالْوَأَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِمَسْقِينَاهُمْ مَاءً عَذْبًا}

التصوف الإسلامي

من الرجز إلى العرفان

300	الحجرات	14	{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَكُنْ قُلُوبًا أَسْمَنًا وَلَمَا يَخْلُقِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ}
300	الحج	46	{قَالَتْهَا لَا تَغْنَى الْبَيْتُزُّ وَكُنْ تَغْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}
300	محمد	24	{أَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}
304	الحج	36	{قَالَتْهَا مِنْ تَغْنَى الْقُلُوبِ}
304	النجم	36	{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}
304	الزمر	22	{الَّذِينَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}
304	النور	35	{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}
304	الكهف	18	{وَمَنْ يُضِلَّهُ فَعَنُّهُ لَهْ وَكَيْبًا مُرْتَدِّدًا}
312	الأعراف	175	{أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا}
312	الأعراف	176	{كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثُ}
317	الأحزاب	41	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ تَقْوًا كَثِيرًا}
319	الجمعة	10	{الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ اللَّهَ لِقَائِهِ إِيمَانًا وَقُوَّةً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}
312	الصفات	131	{وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَطْلُومٌ}
330	النحل	125	{ادْخُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْجِظَةِ الْحَسَنَةِ}
330	الحشر	7	{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}
330	البقرة	282	{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ }
336	الحجر	75	{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنْتَوَسَّمِينَ}
337	الحجر	29	{وَنَلَقَّحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}
340	يوسف	4	{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}
340	الصفات	102	{قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنبُؤُكَ}
340	الفتح	28	{لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَيْدِيَّ بِالْحَقِّ}
340	الزمر	42	{اللَّهُ يَتَوَلَّى الْفَاسِقِينَ حِينَ مَوْتِهِمْ وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَتَابِعِهَا}
341	المؤمنون	110	{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}
342	يوسف	13	{يَا أَيُّهَا الْمَثَلِيُّونَ لِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}
346	الكهف	65	{وَعَلَّمَانَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

فهرس الأحاديث

الصفحة	الزاوي	الحديث
35	رواه الترامي في مسنده	عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذلك العالم الكامل وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله فذلك العالم الفاجر
51	رواه الترمذي	يا غلام احفظ الله يحفظك
51	رواه مسلم	الإثم ما حاك في صدرك
51	رواه البخاري وابن ماجه	الحلال بين والحرام بين
51	رواه البخاري	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
81	رواه مسلم	لم يبعث الله نبيا إلا بلغة قومه
83	رواه البخاري	إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة
118	رواه السيوطي في الجامع الصغير	تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة
151	رواه مسلم والترمذي	إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
182	متفق عليه	لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف
182	رواه مسلم	الاسم الأعظم في فواتح البقرة وآل عمران.
182	رواه الترمذي	الإيمان بضع وسبعون شعبة
204	متفق عليه	لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا أتباعي.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

218	رواه احمد	الأبدال بالشام أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله رجلا مكانه.
225	رواه مسلم وأبو داود وأحمد والنسائي	إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة
244	رواه احمد	أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض.
300	رواه الترمذي	ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.
300	رواه أحمد	القلوب أربعة
312	رواه الترمذي	أدبني ربي فأحسن تأديبي
335	رواه الترمذي	اثقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
336	رواه مسلم	أنا أفرس بالرجال منك
340	متفق عليه	تشميت العاطس
342	متفق عليه	الرويا الصالحة جزء من سنة وأربعين جزءاً من النبوة
342	رواه مسلم	الرويا ثلاثة
345	رواه البخاري	قالت عائشة كانت روياه كفلق الصبح

فهرس المطاكو

القراآن الكوريم

- 1 - إبراهيم سلامة الرّاضي، مرشد المرید في الفقه والتصوف والتوحيد، الطبعة الثانية، المطبعة الحامدية، القاهرة 1983.
- 2 - ابن الحاج التلمساني، شمس الأنوار وكنوز الأسرار، دار المنار، تونس، د.ت.
- 3 - أبو إسحاق الشناطي، الموافقات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- 4 - أبو بكر محمد الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، الطبعة الثالثة، تحقيق محمود أمين النواوي، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة 1992.
- 5 - أبو بكر عبّاد الرندي، شرح الحكم العطانية، الطبعة الأولى، مراجعة د/ عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة 1988.
- 6 - أبو الحسن الشاذلي، درة الأسرار وتحفة الأبرار، جمع ابن الصبّاغ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1988.
- 7 - أبو الحسن الهجويري، كشف المحجوب ترجمة د/ إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية، بيروت 1980.
- 8 - أبو العباس أحمد التجاني، الإرشادات الربّانية بالفتوحات الإلهية، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت 2002.
- 9 - أبو العباس البوني، منبع أصول الحكمة، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، بدون تاريخ.
- 10 - أبو العباس البوني، شمس المعارف الكبرى، الطبعة الأولى، دار المنار، تونس 1990.
- 11 - أبو العباس أحمد الشترجي الزبّيدي، طبقات الخواص، الطبعة الأولى، دار المناهل، بيروت 1986.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 12 - أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصّوّفة، ضبط عبد الرحمن اللانقي وحياة شيخنا اللانقي، دار المعرفة، بيروت 1996.
- 13 - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السكف، مؤسسة الرسالة، دمشق 1985.
- 14 - أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1984.
- 15 - أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، الطبعة الثالثة، تحقيق د/ عبد الحلّيم محمود، دار المعارف بمصر، القاهرة 1988.
- 16 - أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت 1986.
- 17 - أبو حامد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة، بيروت، بدون تاريخ.
- 18 - أبو حامد الغزالي، مكاشفة القلوب المقرّب إلى حضرة علام الغيوب، الطبعة الأولى، دار البيان، القاهرة 1990.
- 19 - أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الشهاب، باتنة، الجزائر 1989.
- 20 - أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار، دار الكتب العلميّة، بيروت 1986.
- 21 - أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.
- 22 - أبو حامد الغزالي، مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلميّة، بيروت 1986.
- 23 - أبو حامد الغزالي، المقصد الأمّني في شرح أسماء الله الحسنى، دار الكتب العلميّة، بيروت، بدون تاريخ.
- 24 - أبو حامد الغزالي، أيها الولد المحبّ، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، مطبعة الشّحمي، تونس، بدون تاريخ.
- 25 - أبو حفص السّهروردي، عوارف المعارف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت 1986.
- 26 - أبو سعيد الخراز، الطريق إلى الله أو كتاب الصّدق، تحقيق د/ عبد الحلّيم محمود، المكتبة العصرية، بيروت 1967.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 27 - أبو عبد الرحمن السلمي، المقدمة في التصوف الطبعة الأولى، تحقيق د/ يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت 1999.
- 28 - أبو عبد الرحمن السلمي، الطبعة الأولى، تحقيق وتطبيق د/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 29 - أبو علي بن سينا، الإشارات والتنبيهات، الطبعة الثانية، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، القاهرة 1968.
- 30 - أبو علي بن سينا، مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية، المكتبة الشعبية، بيروت، بدون تاريخ.
- 31 - أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، مؤسسة خلدون للدراسات والنشر، عمان 1990.
- 32 - أبو معشر الفلكي، اسم المؤلف هو عنوان الكتاب، المكتبة الشعبية، بيروت، بدون تاريخ.
- 33 - أبو نصر السراج، اللمع، تحقيق د/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة ومكتبة المثنى بغداد 1960.
- 34 - أبو نعيم الإصفهاتي، حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- 35 - الدكتور أسعد أحمد علي، معرفة الله والمكزون السنجاري، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت 1981.
- 36 - أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، الطبعة الأولى، تحقيق وتطبيق عبد الغني نكه مي، حلب 1986.
- 37 - أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد، طبعة خاصة، الكويت 1999.
- 38 - أحمد العياشي سكيرج، كشف الحجاب، المكتبة الشعبية، بيروت، بدون تاريخ.
- 39 - أحمد الماروقي السهروردي، المنتخبات من المكتوبات، مكتبة إيشيق، استانبول 1989.
- 40 - أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، م 10 و م 11، طبع المكتب التعليمي السعودي، الرباط المغرب، د.ت.
- 41 - أحمد بن حنبل، الزهد، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة 1987.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

42 - أحمد بن المبارك، الإبريز، دار الفكر، بيروت، بدون

تاريخ.

43 - أحمد بن محمد بن عجيبة، لإيقاظ الهمم بشرح الحكم،

تقديم محمد أحمد حسب الله، دار المعارف بمصر، القاهرة 1985.

44 - أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي، المواد الغيضية،

الطبعة الثانية، المطبعة العلاوية مستغام الجزائر 1989.

45 - أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي، المنح القدسية،

الطبعة الثانية، المطبعة العلاوية مستغام، الجزائر 1986.

46 - أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي، رسالة القول

المعروف، المطبعة العلاوية مستغام، الجزائر، بدون تاريخ.

47 - أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي، البحر

المسجور في تفسير القرآن، بمحض النور، الطبعة الأولى، المطبعة العلاوية، مستغام، الجزائر بدون تاريخ.

48 - أحمد بن مصطفى الكمشخاوي، جامع الأصول، الطبعة

الأولى، المطبعة الجمالية، القاهرة 1383هـ.

49 - أحمد عبد الرحيم السليح، السلوك عند الحكيم الترمذي،

دار السلام، القاهرة 1988.

50 - أحمد رزوق الفاسي، مفتاح الإفادة لنوي العقول والهمم

على معاني ألفاظ كتاب الحكم، تحقيق مصطفى مرزوقي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2003.

51 - أحمد رزوقي الفاسي، قواعد التصوف، مراجعة محمد

زهري النجار، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1997.

52 - أحمد زكي تفاحه، الإسلام والحكم، دار التعارف بيروت

1977.

53 - الدكتور أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، الطبعة

التاسعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1976.

54 - إسماعيل بن السيد محمد القادري، الفيوضات الربانية،

دار الفكر للطباعة، دمشق 1992.

55 - ألبير نصر نادر، التصوف الإسلامي (تصوص

ودروس)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1960.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 56 - الدكتور أمين راشد، نظرية المعرفة عند المتصوفة، دار المنار، القاهرة 1990.
- 57 - د/ أنور فؤاد أبي خزام، معجم مصطلحات الصوفية، الطبعة الأولى، مراجعة د/ جورج ميري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1993.
- 58 - أ.ي. ونسك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، دار الدعوة استانبول مع دار سحنون، تونس 1988.
- 59 - بديع الزمان النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، إستانبول 1994.
- 60 - بديع الزمان النورسي، المكتوبات، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، إستانبول 1994.
- 61 - بديع الزمان النورسي، أنوار الحقيقة في التصوف والسلوك، الطبعة الأولى، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار الكتب المصرية القاهرة 2002.
- 62 - بديع الزمان النورسي، الاسم الأعظم، الطبعة الثالثة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار الكتب المصرية، القاهرة 2000.
- 63 - تاج الدين بن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت.
- 64 - تاج الدين بن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، الطبعة الأولى، المطبعة السعدية، القاهرة 1972.
- 65 - تاج الدين بن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير.
- 67 - ثريا عبد الفتاح ملخص، منهج البحوث العنصرية، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982.
- 68 - جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي، دار الحديث العنصرية، بيروت، د.ت.
- 69 - جلال الدين السيوطي، تنبيه الغبي بآية ابن عربي، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة 1995.
- 70 - جلال الدين السيوطي، منظومة السيوطي، الطبعة الثالثة، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة 1960.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 71 - جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك، دار جوامع الكلم، القاهرة 1986.
- 72 - جلال الدين الرومي، المثنوي، الطبعة الأولى، ترجمة ودراسة ونشر د/ محمد عبد السلام كفاي، المكتبة العصرية، بيروت 1966.
- 73 - جمال الدين محمد أبي المواهب الشاذلي، قوانين حكم الإشراق، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1999.
- 74 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1978.
- 75 - الحارث بن أسد المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، الطبعة الثانية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف بمصر، القاهرة 1990.
- 76 - الحارث بن أسد المحاسبي، كتاب العلم، تحقيق محمد العابد مزالي، الدار التونسية للنشر، تونس 1975.
- 77 - د/ حسن الشرفاوي، معجم ألفاظ الصوفية، الطبعة الأولى، مؤسسة مختار، القاهرة 1987.
- 78 - داود بن عمر الأنطلي، تذكرة أولي الألباب، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.
- 79 - رجاء العتيري، من مناهج العقل الفلسفي، دار تير الزمان، تونس 1999.
- 80 - ريكمان، منهج جديد للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولى، ترجمة علي بن عبد المعطي محمد والدكتور محمد علي محمد، مكتبة مكاي، بيروت 1979.
- 81 - زكريا الأنصاري، شرح الرسالة القشيرية، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.
- 82 - الدكتور زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأندلس والأخلاق، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- 83 - زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة وتحقيق د/ فؤاد حسنين علي، دار رحاب، الجزائر 1986.
- 84 - د/ سعد الحكيم، المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة) نندرة للطباعة والنشر، بيروت 1981.
- 85 - د/ سعد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، الطبعة الأولى، بيروت، د.ت.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 86 - سعيد عبد الفتاح، أخبار الحلاج، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 2000.
- 87 - سعيد حوى، جولات في الفقهاء الكبير والأكبر وأصولهما، دار الشهاب، باتنة الجزائر 1987.
- 88 - سعيد حوى، تربيّتنا الروحية، مطبعة رحاب، الجزائر، د.ت.
- 89 - سعيد حوى، المستخلص في تركية الأنفس، دار السلام، دمشق 1985.
- 90 - سعيد حوى، مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، حلب 1986.
- 91 - د / سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف بمصر القاهرة، 1965.
- 92 - د / سيد حسين نصر، الصوفية بين المس واليوم، الطبعة الأولى، ترجمة د/ كمال خليل اليازجي، الدار المتحدة للنشر بيروت 1975.
- 93 - السيد صديق القنوجي، أبجد العلوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1999.
- 94 - ش.ح.طومسون، السّحر، الطبعة الأولى تعريب سمير شبخاني، المكتبة الثقافية، بيروت 2002.
- 95 - شمس الدين بن قيم الجوزية، الروح، دار المنفي، جدة، 1984.
- 96 - شمس الدين بن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، دار الكتاب العربي، بيروت 1972.
- 97 - شمس الدين بن قيم الجوزية، طريق الهجرتين ومفتاح باب السعادتين.
- 98 - شمس الدين بن قيم الجوزية، مفتاح دار العودة ومنشور ولاية العلم والإدارة، الطبعة الأولى، دار الجبل بيروت 1994.
- 99 - شمس الدين القرطبي الأنصاري، الجملع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967.
- 100 - شمس الدين القرطبي الأنصاري، التنكرة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت 1987.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 101 - شهاب الدين يحي السهروردي، اللمحات، تحقيق إميل معلوف، دار النهار، بيروت 1969.
- 102 - د/ عامر النجار، التصوف النفسي، دار المعارف بمصر، القاهرة، دت.
- 103 - د/ عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر القاهرة 1990.
- 104 - عبد الباقي مفتاح، مفاتيح فصوص الحكم، الطبعة الأولى، دار القبة لزرقاء، مراكش 1997.
- 105 - عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، طبع الأتجلو مصرية، القاهرة 1954.
- 106 - د/ عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، القاهرة 1988.
- 107 - د/ عبد الرحمن بدوي، الإنسان الكامل في الإسلام، الطبعة الثانية، وكالة المطبوعات الكويت، 1976.
- 108 - د/ عبد الرحمن بدوي، شطحات الصوفية، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت 1978.
- 109 - د/ عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984.
- 110 - د/ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات الكويت 1981.
- 111 - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للكتاب، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984.
- 112 - عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل لتهديب المسائل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1959.
- 113 - عبد الرحمن بن محمد الفاسي، شرح حزب البر، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1998.
- 114 - عبد الرزاق القاشاني، رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأنواق والأحوال، تحقيق سعيد عبد الفتاح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1995.
- 115 - عبد الرزاق القاشاني، شرح فصوص الحكم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1997.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 116 - عبد الرؤوف المناوي، الكواكب النورية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق د / عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1994.
- 117 - د/ عبد الستار عز الدين الراوي، التصوف والباراسايكولوجي، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان 1994.
- 118 - عبد السلام محمد بدوي، الأسماء الحسنى، دار المعارف بمصر القاهرة 1990.
- 119 - عبد الغني النابلسي، أسرار الشريعة، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت 1985.
- 120 - عبد الغني النابلسي، تطهير الأنام بتعبير المنام، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.
- 121 - عبد الغني النابلسي، ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، الطبعة الأولى، تطبيق عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت 2001.
- 122 - عبد الفتاح السيد الطوخي، كشف أسرار العلوم، مطبعة علي صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت.
- 123 - عبد القادر الجزائري، المواقف، الطبعة الثانية، دار البيقظة العربية، بيروت 1966.
- 124 - عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، طبع مصطفى بابي الحلبي، القاهرة 1960.
- 125 - عبد القادر الجيلاني، الغنية في التصوف والآداب، دار الألباب، دمشق، د.ت.
- 126 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، تحقيق محمد سالم بواب، دار الألباب، دمشق 1992.
- 127 - عبد الكريم بن هوزان القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- 128 - عبد الكريم بن هوزان القشيري، لطائف الإشارات، الطبعة الثانية، تحقيق د/ إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 129 - عبد الكريم الجبلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تحقيق رجب عبد المنصف، المطبعة الأزهرية، القاهرة 1997.
- 130 - عبد الكريم حسان، التصوف في الشعر العربي، مكتبة الأتجلو مصرية، القاهرة 1954.
- 131 - عبد الله بن علوي العطاس، ظهور الحقائق في بيان الطرائق، طهران، د.ت.
- 132 - عبد الله عبد الرزاق، الصوفية والمجتمع في غرب إفريقيا، المكتب المصري للتوزيع، القاهرة 1991.
- 133 - عبد المجيد الشرنوبلي، شرح الحكم العطنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 1991.
- 134 - د/ عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة 2003.
- 135 - عبد الملك النيسابوري الخركوشي، تهنيت الأسرار، تحقيق بسام، محمد بارود، طبع المجتمع الثقافي، أبو ظبي 1999.
- 136 - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار، دار الكتب العلمية، بيروت 1997.
- 137 - عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في قواعد الصوفية، تحقيق طه عبد الباقي سرور ومحمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف بيروت 1985.
- 138 - عبد الوهاب الشعراني، الجواهر والدرر، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1998.
- 139 - عبد الوهاب الشعراني، الكبرى الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، تصحى عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت 1998.
- 140 - عبدة بن أنبوحة الشنقيطي، ميزاب الرحمة الربانية، المكتبة الشعبية وبيروت، د.ت.
- 141 - د/ عثمان موافي، منهج النقد التاريخي عند المسلمين، الطبعة الأولى، الإسكندرية، د.ت.
- 142 - عز الدين عبد السلام، حل الرموز، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة العلم والإيمان، القاهرة 1995.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 143 - عز الدين بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال، دار الفكر المعاصر ببيروت، دار الفكر دمشق 1998.
- 144 - عز الدين بن عبد السلام، مقاصد الرعاية، دار الفكر المعاصر ببيروت، دار الفكر دمشق 1995.
- 145 - د/ عزمي إسلام، لودفيج فتنجشتاين، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت.
- 146 - د/ عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1999.
- 147 - علي أبو حيّ الله المرزوقي، الجواهر للامعة، مطبعة المنار، تونس، د.ت.
- 148 - علي برادة، جواهر المعاني، دار الجيل، بيروت 1988.
- 149 - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت 1969.
- 150 - علي سالم عمار، أبو الحسن الشاذلي، الطبعة الأولى، دار التأليف القاهرة 1961.
- 151 - د/ علي زيعور، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت 1979.
- 152 - عمر بن قنور الجزائري، الإبداع وإعادة، مطبعة سولال، الأبيار الجزائر 1928.
- 153 - د/ عمر فروخ، التصوف في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت 1981.
- 154 - د/ عنابة الله إبلاغ الأفغاني، جلال الدين الرومي، بين الصوفية وعلماء الكلام، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1987.
- 155 - د/ غازي عنابة، إعداد البحث العلمي، دار الجل، بيروت، د.ت.
- 156 - فخر الدين الرازي، نوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 2000.
- 157 - فريد الدين العطار، منطق الطير، دراسة وترجمة د/ بديع محمد جمعة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1997.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 158 - ماء العينين بن فاضل بن مامين، نعت البدايات وتوصيف النهايات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1998.
- 159 - ماء العينين بن فاضل بن مامين، مذهب المخوف على دعوات الحروف، تحقيق عبد الرؤوف محمد سالم، المطبعة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.
- 160 - محمد أدب كلكل، تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر، الطبعة الثانية، المطبعة العربية، حماه والمطبعة العلمية دمشق 1994.
- 161 - محمد الخاتي النقشبندي، بهجة السنية، دار الشفقة، إستنبول 1989.
- 162 - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الرابعة، ضبط وتخريج وتطبيق د/ مصطفى ديب البغا، دار الهدى عين مليلة الجزائر 1990.
- 163 - محمد بن أحمد ميارة الفاسي، الدر الثمين والمورد المعين، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- 164 - محمد بن إسماعيل الصنعاني، رسالة شريفة في أعداد الحروف والأوقاف، الطبعة الأولى، دار القدس، صنعاء 1992.
- 165 - محمد بن عبد الجبار النفري، المواقف والمخاطبات تحقيق آرثر يوحنا آربري، دار الكتب المصرية، القاهرة 1934.
- 166 - محمد حقي النازلي، خزينة الأسرار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 2000.
- 167 - محمد بن علي الحكيم الترمذي، منازل العباد من العبادة، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة 1988.
- 168 - محمد بن علي الحكيم الترمذي، طبائع النفوس، تحقيق د / أحمد عبد الرحيم السايح، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة 1988.
- 169 - محمد بن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.
- 170 - محمد بن حبي التادفي الحنبلي، قلاند الجواهر، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 2000.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 171 - د/ محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1980.
- 172 - محمد الحافظ التجاني، أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية، دار الطباعة الحديثة، القاهرة 1963.
- 173 - د/ محمد سعيد رمضان البوطي، باطن الإثم، دار البعث، قسنطينة 1987.
- 174 - د/ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، دار الفكر دمشق 1991.
- 175 - د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ودار عويدات بيروت 1988.
- 176 - د/ محمد عبد اللطيف، مناهج البحث، دار الكتب الطمّية بيروت 1979.
- 177 - محمد غازي عرابي، فتح الوجود، دار قتيبة، بيروت 1985.
- 178 - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، دار الحديث القاهرة 1991.
- 179 - د/ محمد قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.
- 180 - محي الدين الطعمي، تكلمة الفتوحات المكية المسمى عروش الحقائق، الطبعة الأولى، المكتبة الثقافية، بيروت 1994.
- 181 - محي الدين الطعمي، إحياء علوم الصوفية، الطبعة الأولى، المكتبة الثقافية، بيروت 1994.
- 182 - محي الدين عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- 183 - محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، تحقيق د/ أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت 1980.
- 184 - محي الدين عربي، رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 185 - محي الدين بن عربي، مجموعة رسائل ابن عربي، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت 2000.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

- 186 - محي الدين العربي، مواقع النجوم، ومطلع أسرار الأهله والعلم، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة 1965.
- 187 - محي الدين بن عربي، كتاب الوصايا، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، 1993.
- 188 - محي الدين ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان، الطبعة الأولى، دراسة وتحقيق قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي 1998.
- 189 - محي الدين بن عربي، الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط دار الطبع، مطموسة، القاهرة 1968.
- 190 - محي الدين بن عربي، عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة 1954.
- 191 - محي الدين بن عربي، منزل المنازل الفهوانية، الطبعة الأولى، تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار النهار، بيروت 1995.
- 192 - محي الدين بن عربي، الديوان، الطبعة الثانية، شرح أحمد حسن لسبح، دار الكتب العلمية، بيروت 2000.
- 193 - د/ مصطفى محمود، السر الأعظم، دار المعارف بمصر، القاهرة، دت.
- 194 - د/ مقداد يالجن، فلسفة الحياة الروحية، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت 1985.
- 195 - د/ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مطابع الوطن، الكويت 2001.
- 196 - نجم الدين كبرى، فوانح الجمال وفوانح الجلال، تحقيق د/ يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية القاهرة 1998.
- 197 - نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، الطبعة الأولى، دار الوحدة، دمشق 1983.
- 198 - ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة 1997.
- 199 - يحي بن شرف النووي، يستان العارفين، دار الشهاب، باتنة الجزائر 1989
- 200 - يوسف السيد هاشم الرفاعي، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، الفيصل للإعلان، الكويت 1999.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى المرفاد

- 201 - يوسف محمد طه زيدان، الطريق الصوفي وفروع
القلدرية بمصر، الطبعة الأولى، دار الجول ببيروت 1991.
- 202 - يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، دار الفكر
بيروت 1993.
- 203 - يوسف النبهاني، الأنوار المحمدية من المواهب
اللذنية، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- 204 - يوسف النبهاني، الاستعانة الكبرى بأسماء الله
الحسنى، المكتب العلمي للطباعة والنشر، بيروت 1932.
- 205 - يوسف النبهاني، شواهد الحق، الطبعة الأولى، دار
الكتاب العلمية بيروت 1996.
- 206 - يوسف النبهاني، حزب الاستغاثات، الطبعة الأولى،
دار الكتب العلمية، بيروت 2001.
- 207 - Didier Julia, Larousse philosophique,
libraire Larousse, Paris 1964.
- 208 - Eva de Vitray Meyerovitch, Anthologie
du soufisme, sindbad, paris 1978.
- 209- Glinka, Chimie générale, éditions M.I.R
Moscou 1981.
- 210 - Groupe d'écrivains, le soufisme la voie
de l'unité, L'originel, Paris 1980.
HUIWIRI, somme spirituelle, - 211
traduction du persan de Djamshid Mortazavi, sindbad,
Paris 1988.
- 212 - Halladj, poèmes mystiques, traduction
de l'arabe de Sami Ali, sindbad, Paris 1985.
- 213 - IBN ARABI, les illuminations de la
Mecque, textes choisis sous la direction de Michel
Chodkiewicz, sindbad, Paris 1988.
- 214 - Jean Chevalier, le soufisme et la
tradition islamique, RETZ, Paris 1974.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

-
- 215 – Louis Massignon, essai sur les origines
du lexique technique de la mystique musulmane,
Librairie philosophique, Paris 1954.
- 216 – MARTIN Lings, un saint soufi du 20^{ème}
siècle, Le Seuil, Paris 1988.
- 217 – MICHEL Chodkiewicz, un océan sans
rivage, Le Seuil, Paris 1992
- 218 – MICHEL VALSAN, l'islam et la
fonction de René Guénon, éditions l'œuvre, Paris 1984.
- 219 – MIODRAG Cekic, philosophy and
Science, sofia 1973.
- 220 – RENE Guénon, symboles
fondamentaux de la science sacrée, Gallimard, Paris
1962.
- 221 – RENE Guénon, la crise du monde
moderne, édition BOUCHENE, ALGER 1990.
- 222 – TITUS Burkhardt, symboles,
L'unicorne, paris 1980.

كورتيات ومجلات

- 1 - مجلة التصوف الإسلامي ، العدد 106 ربيع الأول 1408 هـ / 1987م، ميدان الحسين - القاهرة.
العدد : 108 جمادى الأولى 1408هـ/1988م
العدد : 10 ربيع الأول 1409هـ/1988م
العدد : 11 رمضان 1409هـ/1989م
العدد : 12 جمادى الأولى 1410هـ/1989م
- 2 - مجلة الموافقات، العدد الثاني، المعهد الوطني العالي لأصول الدين - الجزائر 1993 والعدد الرابع 1995.
- 3 - الكتاب التذكري، محي الدين بن عربي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة 1389هـ/1969م.

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

الفهرس العام

	الإهداء
	المقدمة
19	السباب الأول: التأسيس المعرفي للتصوف في الإسلام
21	الفصل الأول: المعرفة والمنهج في الإسلام
61	الفصل الثاني: التصوف: الظاهر والباطن
73	الباب الثاني: التفكير المعرفي لرمزية المصطلح الصوفي
75	الفصل الأول: اللغة في القرآن
93	الفصل الثاني: الإشارة والعبارة (التفسير الصوفي نموذجاً)
107	الفصل الثالث: اللغة الحكيمية واللغة السريانية
151	الفصل الرابع: الحرف والعدد والوقف والفلك
203	الفصل الخامس: الشطح الصوفي
219	الفصل السادس: المصطلح الصوفي
257	الباب الثالث: مسالك المنهج الذاتي في المعرفة الصوفية
259	الفصل الأول: المعرفة الصوفية وقصور العقل
291	الفصل الثاني: الأدوات الذاتية للطريق الصوفي (الطريقة - القلب - الشيخ - الأدب - الذكر - الفتح - المقام - الكشف - الفراسة - الرويا - العلم الأدنى)
349	الخاتمة
355	الملحق العرفاني: ثلاث رسائل للشيخ الأكبر ابن عربي
357	الرسالة الأولى: نفاوس العرفان
373	الرسالة الثانية: كتاب الكنه
389	الرسالة الثالثة: عتقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب
471	الفهارس
473	فهرس الآيات
479	فهرس الأحاديث
481	فهرس المصادر

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

نبذة من السيرة الذاتية للمؤلف

صاحب هذا الكتاب هو الدكتور محمد بن بركة أصغر أستاذ في تاريخ الجامعة الجزائرية إذ التحق بجامعة الجزائر بصورة دائمة وعمره اثنان وعشرون سنة، يرجع نسبه إلى قبيلة البوازيد وهم أشرف حسنيون عمروا مدينة الدوسن ضاحية معروفة من عمالة بسكرة بالوحدات الجزائرية. نشأ في بيت علم درج أفراده على حفظ القرآن والمتون وسلوك طريق التصوّف كإبراً عن كابر. يعمل أستاذاً محاضراً في التصوّف والفلسفة الإسلامية بجامعة الجزائر. حصل على شهادة دكتوراه الدولة في التصوّف الإسلامي بتقدير مشرف جداً مع التّهاني والتوصية بالطبع، وقبل ذلك على شهادة المنهجية في البحث وشهادة الماجستير في نفس المبحث أي التصوّف. تولى مهام عديدة منها إدارة الدراسات ثم الدراسات العليا ثم رئاسة المجلس العلمي وعضوية اللجنة الوطنية

التصوّف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

لإصلاح برامج التعليم العالي ونيابة رئيس اللجنة الوطنية للعلوم الإنسانية والاجتماعية الدكتور عمّار هلال رحمه الله. تنصّبُ نشاطات الدكتور محمّد بن بريكة البوزيدي الحسني بالداخل والخارج على التعريف بالتصوّف و أعلامه. ودفع شُبه المفكرين. وبالإضافة إلى دروسه ومقالاته ومحاضراته فإنه

شرع في طبع (موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية) بدار المتون الجزائرية للنشر والترجمة و الطباعة والتوزيع، وهذا الكتاب أول جزء منها ويعتبر هذا العمل الرائد أول موسوعة مغربية في التصوّف الإسلامي.

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان

التصوف الإسلامي

من الرمز إلى العرفان



دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع

الجزائر- الجمهورية الجزائرية

فرع مجموعة كوماس

لصاحبها : عبدالرحمن هنانو (أبوسمراء)

الهاتف: 078311838 /062914444

www.komasgroup.i8.com

komasgroup@yahoo.fr

www.almoutoon-édit.i8.com

almoutoon_admn@yahoo.fr

DAR AL-MOUTOON Algiers - ALGERIA

التصنيف والتركيب والتنضيد : مجموعة كوماس

PRINTED IN ALGERIA

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET



الدكتور محمد بن بريكة

- البريزيري الحسني -

ركتوراه الدولة في التصوف الاسلامي
استاذ الدراسات العليا جامعة الجزائر

لقد آليت على نفسي الفرف من أمهات كتب التصوف فهملت
و مازلت فما نفذ الشراب ولا رويت . ولا يكاد يوجد كتاب
معتمد في هذا الفن إلا اطلعت عليه و نهملت منه أو جعلت
تحصيله بغيثي و العثور عليه مني ، و إن حصل التقصير
فهو من جملة العبر إذ هو دليل استيلاء النقص على جملة
البشر ، و الحمد لله الذي تكرم فأعطى بعد أن و جدني
ضالاً فهدى ، و جعلني من العاملين بـوصيته الإلهية الجامعة
و الربانية النافعة فأماً اليتيم فلا تقهر و أمأ السائل فلا تنهر
و أمأ بنعمة ربك فحدث و صلى الله على الحبيب المصطفى
صلاة تكون لنا باباً مشهوداً و على أعدائه حجاباً
مسدوداً و سلم تسليمياً كثيراً ما ذكره الذاكرون و غفل عن
ذكره الغافلون ، صلاة و سلاماً أرجو بهما الصحبة في
الدارين و تحصيل القرب منه و الحسنيين :
فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً و هو أوفى الخلق بالذمم

شهر الثمار المرفح 1427